المملـكة العربية السـعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العلا العربية
فرع الأدب

أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت

بحث مكمل لنيل درجة التخصص (الماجستير) في كلية اللغة العربية وآدابها ، فرع الأدب والبلاغة

إعداد الطالبة

مقبولة علي مسلم الحصيني

(٤٢٤٨٠١١٦)

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الحافظ بن إبراهيم البقري

الأستاذ المشارك في جامعة أم القرى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

ثمة إعجاز بلاغي يظهر في روعة التناسب ودقة التلاحم بين آيات القرآن وسوره ، وهذا ما دفعني إلى اختيار موضوع الدراسة : (**أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت**) . فعلم المناسبة من أجل علوم القرآن ، وأدلّها على إعجاز بيانه ، وارتباط آياته وسوره ، وهو علم يعرف منه علل الترتيب ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال[1] .

ولقد أقمت هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد تحدثت فيه عن تعريف علم المناسبة وتطور الكتاب فيه ، ثم انتقلت للحديث عن سورة العنكبوت بين سياقين : سياق النزول ، وسياق التلاوة .

ثم البدء في فصول الرسالة الستة :

١- الفصل الأول : وجوه التناسب في **السورة :** وأتناول فيه وجوه التناسب بين السورة واسمها ، ثم التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها ، وأخيراً وجوه التناسب بين السورة وما قبلها وما بعدها .

٢- الفصل الثاني : مقصود السورة الأعظم وأغراضها الكلية : ومن خلال هذا الفصل نتعرف على الموضوع الذي تدور حوله سورة العنكبوت ، وهو : (بيان قوة المؤمنين وضعف الكافرين ، والثبات على الدين ، مع المثابرة في إنكار المنكر وإقرار المعروف) ، وقد قسم المعنيون بأغراض السور القرآنية أغراض سورة العنكبوت إلى ثلاثة أغراض : الغرض الأول : الابتلاء سنة قائمة منذ الأزل ، الغرض الثاني : عرض نماذج من ابتلاءات الأنبياء ، الغرض الثالث : التقاء الحق الذي جاء في هذا الكتاب مع الحق الذي قامت عليه السموات والأرض .

٣- الفصل الثالث : وجوه النظم والتناسب في **بناء الجملة :** وأدرس خلاله بعض الأساليب الإنشائية الطلبية ، نحو : الاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والنداء .. كما بحثت في هذا الفصل أسلوب التوكيد ، وأنتقل بعده إلى مبحث التعريف والتنكير ، وينتهي هذا الفصل بدراسة الصور البيانية المختلفة ، من تشبيه و مجاز وكناية .

٤- الفصل الرابع : وجوه النظم والتناسب في **بناء الجمل والفصول :** وفيه أتناول مقاطع السورة ودراسة حالات الوصل والفصل فيها ، والغرض من مجيئها .

٥- الفصل الخامس : وجوه النظم والتناسب في **فواصل السورة :** وأبحث فيه عن العلاقة التناسبية بين فاصلة السورة والغرض العام ، ومن ثَم دراسة الفاصلة مع المقطع الذي جاءت فيه .

٦- الفصل السادس : المتشابه بين **سورة العنكبوت وسور القرآن الأخرى .**

وتنتهي رحلتي مع هذا البحث بخاتمة أرصد فيها أهم النتائج .

الباحثة : مقبولة الحصيني

---

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين البقاعي ، ج١ ، ص٥ .

Abstract

There is challenging Eloquence which appears clearly in the wonderful fitness and accurate bonding in the verses of the Holy Quraan. This is what motivated me to choose this study (The Effect of Speech Order on the Fitness of Meaning in Suret Al-Ankaboot). The science of fitness is one of the greatest sciences of the Holy Quraan which refers to its challenging eloquence and bonding of its verses. It is a science from which the causes of order are known. It is the secret of Eloquence

As it leads to achieving the fitness of what the state requires.

This study consists of an introduction in which I talked about the definition of the science of fitness and the development of its writing. Then I talked about suret Al-Ankaboot in two contexts:

- the context of oracle (descending).
- the context of reading (Telawa).

Then I moved to the six chapters of the thesis as follows:

Chapter ١:

Kinds of fitness in the sura. In this chapter I dealt with sorts of the fitness of the sura and its name and its relation to what precedes and follows it.

Chapter ٢:

The greatest aim of the sura and its general purposes. In this chapter I dealt with the subject of the sura which is the strength of faithful people and the weakness of the unbelievers, stability and clinging to religion and persistence in supporting the good and resisting the evil.

The purposes of suret Al-Ankaboot are divided into three categories as follows:

١ – examining which is a an old way (sonna).

٢ – giving examples of examining prophets.

٣ – the meeting of the truth which is express in the Holy Quraan with the truth on which the heavens (skies) and land depend.

Chapter ٣:

This chapter dealt with the kinds of fitness in the structure of the sentence. In this chapter, I dealt with some structures such as interrogation, command (order), prohibition and calling. Then I dealt with definite and indefinite.

Chapter ٤:

Kinds of fitness in the structure of sentences and syllables. It dealt with parts of the verses of the sura and the state of separation (stopping)or continuation and their purposes.

Chapter ٥:

Kinds of fitness in the positions or places of separation in the sura. It dealt with the sutable relation between the places of separation of the sura and its general purpose; thus studying the position of separation with the part of verse in which it came.

Chapter ٦:

the similarity between the verses of suret Al-Ankaboot and other suras.

This study ends with a conclusion of the most important results.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم ، والحمد لله منـزل الكتاب المعجز بنظم آياته ، وتناسب سوره وفواصله ، فهو معجزة الإسلام الخالدة ، وهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ، أفصح العرب لساناً ، وأوضحهم بياناً ، الذي أوتي جوامع الكلم .
أما بعد ..

فقد آثرت أن تكون دراستي قرآنية ؛ لكون القرآن الكريم أبلغ الكلام بلا منازع ، وفي معايشته أعظم الفوائد ، وجني أطيب الثمار ، وقد وقع اختياري على هذا الموضوع ، وهو : (أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت) بتوفيق من الله ، ثم بمعونة - الوالد - أ.د. عبد الحافظ إبراهيم البقري .

واخترت سورة العنكبوت ؛ لأنها - في تقديري - زاد وعدة للدعاة إلى الله ، فقد عرضت منهج الدعوة من عدد من أنبياء الله ورد ذكرهم فيها ، وبينت كيف صبروا على ما قوبلوا به من إيذاء أقوامهم .

هذا إلى جانب أنها قررت - بداية - أن ابتلاء المؤمنين بعامة ، والداعين إلى الله بصفة خاصة سنة كونية جرت فيمن كانوا قبلنا من الأمم ، كما تقرر السورة وحدة الحق الذي جاء به القرآن الكريم ، وقامت عليه السموات والأرض .

وأخيراً تؤكد السورة في خاتمتها عون الله تعالى وتأييده للذين يجاهدون في تحمل البلاء ، وهدايتهم ، وتثبيت الله تعالى لهم : ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا فِيَنا لَنهدَينهم سبلَنا وَإن اللهَ لَمَعَ الُمحسِنِينَ** ﴾(١) .

وقد أقمت هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد يتحدث عن علم المناسبة وتطور الكتابة فيه ، ووقوع سورة العنكبوت بين سياقين : سياق التلاوة ، وسياق النزول ، ثم أشرع في فصول البحث الستة ، ثم خاتمة تلخص أبرز النتائج التي انتهيت إليها في البحث . وكانت فصول البحث كالتالي :

- **الفصل الأول : وجوه التناسب** في **السورة :** وقد تناولت في هذا الفصل وجوه التناسب بين السورة واسمها ، وبين فاتحة السورة وخاتمتها ، وبين السورة وما قبلها وبعدها .

- **الفصل الثاني : مقصود السورة الأعظم وأغراضها الكلية :** وقد قسمت فيه السورة إلى ثلاثة أغراض .

- **الفصل الثالث : وجوه النظم والتناسب** في **بناء الجملة :** وأدرس فيه بعض الأساليب البلاغية

---

(١) سورة العنكبوت : آية (٦٩) .

التي احتوتها السورة . وقد اعتبرت أن الصورة البيانية هي فصل من فصول بناء الجملة اعتماداً على أن الصورة البيانية هي إحدى مقومات النظم . وهذا ما أكده شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) عندما قال في فصل تحرير القول في الإعجاز والفصاحة والبلاغة : " فإن قيل : قولك إلا النظم يقتضي إخراج ما في القرآن من استعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز ، وذلك ما لا مساغ له .

قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز ؛ وذلك لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث ، وبها يكون ، فلا يتصور أن يكون هاهنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره ، أفلا ترى أنه إن قدر في (اشتعل) من قوله تعالى : ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرأس شَيباً** ﴾ (١)، أن لا يكون (الرأس) فاعلاً له ، ويكون (شيباً) منصوباً عنه على التمييز ، لم يتصور أن يكون مستعاراً ؟ وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة ، فاعرف ذلك "(٢).

● **الفصل الرابع : وجوه النظم والتناسب** في **بناء الجمل والفواصل :** وأبحث خلاله العلاقات بين الجمل ، سواء أكان منها ذو محل إعرابي ، كجملة الحال وعلاقتها بما قبلها ، أم ليس له محل إعرابي ، كالجمل التي تخضع لأحكام الفصل والوصل .

● **الفصل الخامس : وجوه النظم والتناسب** في **فواصل السورة :** وأدرس فيه التناسب بين الفاصلة والغرض العام للسورة ، ثم بيان العلاقة بين الفاصلة والآية التي جاءت فيها .

● **الفصل السادس :** المتشابه بين سورة العنكبوت وسور القرآن الأخرى .

ولقد كان لجهود العلماء المفسرين والبلاغيين دور أساسي في إخراج هذا البحث ، ومن ذلك : كتاب الكشاف للزمخشري ، والتفسير الكبير للرازي ، ونظم الدرر للبقاعي ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ، وروح المعاني للآلوسي ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب .

ومن كتب البلاغة : دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني .

وفي آخر المطاف أسجد شكراً للمتفضل علي سبحانه وتعالى ، والذي أعانني وسخر لي سبل إنجاز هذا البحث . ثم الشكر للنبي المصطفى ﷺ ، الصادق في التبليغ ، والمعلم الأول لما جاء في التنزيل .

---

(١) سورة مريم : آية (٤) .

(٢) دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود شاكر ، الناشر : مكتبة الخانجي ، ط٢ ، ص٣٩٣ .

وقُبلة على جبين الأم الحنون ، والنبع المتدفق بالعطاء ؛ أهديك عملي هذا عبارة شكر ، وأبسط رد للجزاء ، فأطال الله عمرك ، وأسبغ عليك لباس الصحة والعافية ، ورحمك الله يا أبتي ، وجعل جزاءَك الفردوس الأعلى من الجنة ، والشكر موصول لكلّ فرد في عائلتي ، وأخص بذلك أخي محمد ، الذي لم يتوانَ عن مساعدتي ، فتقبل مني جميل الشكر والتقدير . ولك يا أبا فيصل خالص الشكر والتقدير ، فقد كنت لي خير زوجٍ وصديق معين ، أعتذر لك عن تقصيري ؛ لانشغالي بالبحث .

والعذر كل العذر لابني فيصل ، وابنتي جنى ، في انشغالي عنهما أثناء سنوات الدراسة ، وأرجو أن أعوضكما عن ذلك مستقبلاً - إن شاء الله - .

وأسطر أجلّ عبارات الشكر والتقدير للوالد أ.د. عبد الحافظ البقري ، المشرف على هذا البحث منذ نشأته ، فشكراً على رحابة صدرك ، وحسن توجيهك وحرصك ، فلك مني صادق الدعاء .

والشكر موصول إلى سعادة أ.د. عوض الجميعي ، الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية قسم البلاغة والنقد ، ورئيس القسم سابقاً ، الذي لم يبخل علي من جهده ووقته حين أُسند إليه الإشراف على هذه الرسالة بعد سفر أ.د. عبد الحافظ البقري ، فكان لنصائحه وتوجيهاته ومراجعته للبحث الأثر الفاعل ؛ حرصاً منه على أن يخرج هذا البحث في الصورة التي أُريدت له . كما يطيب لي في هذه المناسبة أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى سعادة الأستاذين الفاضلين : أ.د. محمد إبراهيم شادي ، و : أ.د. صلاح شحاتة ؛ لقبولهما مناقشة هذا البحث ، وإبراء مرئياتهما حوله ، وستكون - بإذن الله - محلّ تقديرٍ وعناية .

كما أشكر القائمين على كلية اللغة العربية في هذا الصرح العلمي الشامخ (جامعة أم القرى) فأتقدم لكلّ من درست على يديه بخالص الشكر والتقدير ، والدعاء لهم أن يكون ذلك في ميزان حسناتهم . ولسيدة العطاء : أ.د. رباب صالح جمال ، التي تحتضن بحنان الأم ، وحرصِ المعلم كلّ من تتولى تعليمه ، فأقول لها : جزاك الله عنا كل خير ..

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر كلّ من قدم لي يد العون .

❑ ❑ ❑

التمهيد

علم المناسبة من أجل علوم القرآن ، وأدلها على إعجاز بيانه ، وارتباط آياته وسوره ، فالمراد بالمناسبة في اللغة : المقاربة والمشاكلة[١] .

وأما المناسبة في الآيات والسور فمرجعها إلى " معنى رابط بينهما ، عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني "[٢] .

وعلم المناسبة علم يعرف منه علل الترتيب ، وهو سر البلاغة ؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال[٣] .

وتتنوع وجوه التناسب في سور القرآن ، فهناك تناسب يجمع بين السورة واسمها ، وآخر بين فاتحة السورة وخاتمتها ، وثالث بين السورة وما قبلها وبعدها من السور - وبإذن الله سندرس هذا في أول فصل من هذا البحث - .

أ / أطوار الكتابة فيه :

التناسب علم قل اعتناء الباحثين به ، وأولُ من عرف به أبو بكر النيسابوري ، " قال الشيخ الحسن الشهراباني : أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره : هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري ، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزرى على علماء بغداد ؛ لعدم علمهم بالمناسبة "[٤] .

ثم يأتي عز الدين بن عبد السلام ليقول في علم المناسبة بأنه يشترط فيه حسن ارتباط الكلام ، فيقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره .

أما الشيخ ولي الدين الملّوي فيقول : " قد وهم من قال : أنه لا يطلب للآية الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المفرقة . وفصل الخطاب : أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ،

---

(١) ينظر : لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد ابن منظور المصري ، الناشر : دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ج١٤، ص٢٤٢ ، حرف النون ، مادة (نسب) ، والبرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، الناشر : المكتبة العصرية ، بيروت ، طبعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ج١ ، ص٣٥ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ص٦٩٥ .

(٣) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ج١ ، ص٥ ، في مقدمة المؤلف .

(٤) الزركشي في البرهان ، ج١ ، ص٣٦ .

فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ ، مرتبة سوره كُلها وآياتها بالتوقيف ، كما أُنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، والذي ينبغي في كل آية : أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم "[١].

وأكثر فخر الدين الرازي في كتابه (التفسير الكبير) من ذكر الروابط بين الآيات والسور .

وأما أول من خص هذا العلم بالتأليف فهو : أبو جعفر بن الزبير الثقفي الغرناطي في كتابه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) ، ثم برهان الدين البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، و (أسرار التنزيل) للسيوطي ، ولخص منه مناسبات السور في كتابٍ أسماه (تناسق الدرر في تناسب السور)[٢].

ونتدرج في السلم التاريخي لعلم المناسبة لنجد فيه مؤلفات قليلة ونادرة ، تجعلنا نطالب أهل الفهم الواعي والعلم الواسع أن يثروا مكتبة التناسب بالمؤلفات والبحوث التي تروي عطش المتلهف ، وتنفع الطالب المنقب في هذا العلم الجليل .

ومن الدراسات الحديثة :

١- جواهر البيان في تناسب القرآن ، لعبد الله محمد الغماري ، طبع بمصر ، مطبعة محمد عاطف وسيد طه .

٢- الرافعي في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، وهو الجزء الثاني من كتاب : تاريخ آداب العرب .

٣- د. محمد دراز في كتابه النبأ العظيم ، فقد اهتم بجانب التناسب المعنوي ووحدة السورة وطبق على سورة البقرة .

٤- سيد قطب في : التصوير الفني في القرآن ، وكذا في تفسيره : في ظلال القرآن .

ب/ سورة العنكبوت بين سياقين : سياق النزول وسياق التلاوة :

١- ترتيب السور حسب النزول :

لقد جاء نزول سور القرآن مقسماً بين مكة والمدينة ؛ فهناك خمسٌ وثمانون سورة نزلت في مكة ، والباقي - وهو تسع وعشرون سورة - نزلت في المدينة[٣].

والسور المكية ترتيب نزولها حسب ما ذكره ابن النديم في (الفهرست) ، قال : " حدثني أبو الحسن

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ص٦٩٤ .

(٢) ينظر : المرجع السابق .

(٣) ينظر : الزركشي ، ج١ ، ص١٩٤ .

محمد بن يوسف قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن غالب قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن الحجاج المديني قدم من المدينة سنة تسع وتسعين ومائتين قال : حدثنا بكر بن عبد الوهاب المديني قال : حدثني الواقدي محمد بن عمر قال : حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن محمد بن نعمان بن بشير قال : أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ ، ثم نون (القلم) ، ثم (يا أيها المزمل) ، وآخرها بطريق مكة ، ثم (المدثر) .

وروي عن مجاهد قال : نزلت (تبت يدا أبي لهب) ، ثم (إذا الشمس كورت) ، ثم (سبح اسم ربك الأعلى) ، ثم (ألم نشرح لك صدك) ، ثم (والعصر) ، ثم (والفجر) ، ثم (والضحى) ، ثم (والليل) ، ثم (والعاديات ضبحاً) ، ثم (إنا أعطيناك الكوثر) ، ثم (ألهاكم التكاثر) ، ثم (أرأيت الذي) ، ثم (قل يا أيها الكافرون) ، ثم (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) ، ثم (قل هو الله أحد) ، ثم (قل أعوذ برب الفلق) ، ثم (قل أعوذ برب الناس) ، ويقال : إنها مدنية ، ثم (والنجم) ، ثم (عبس وتولى) ، ثم (إنا أنزلناه) ، ثم (والشمس وضحاها) ، ثم (والسماء ذات البروج) ، ثم (والتين والزيتون) ، ثم (لإيلاف قريش) ، ثم (القارعة) ، ثم (لا أقسم بيوم القيامة) ، ثم (ويل لكل همزة) ، ثم (والمرسلات) ، ثم (ق ، والقرآن ..) ، ثم (لا أقسم بهذا البلد) ، ثم (الرحمن) ، ثم (قل أوحي) ، ثم (يس) ، ثم (المص) ، ثم (تبارك الذي نزل الفرقان) ، ثم (سورة الملائكة) ، ثم (سورة مريم) ، ثم (سورة طه) ، ثم (إذا وقعت الواقعة) ، ثم (الشعراء) ، ثم (النمل) ، ثم (القصص) ، ثم (سورة بني إسرائيل) ، ثم (سورة يونس) ، ثم (سورة هود) ، ثم (سورة يوسف) ، ثم (سورة الحجر) ، ثم (الأنعام) ، ثم (سورة والصافات) ، ثم (سورة لقمان) آخرها مدني ، ثم (سورة قد أفلح المؤمنون) ، ثم (سبأ) ، ثم (سورة الزمر) ، ثم (سورة حم المؤمن) ، ثم (سورة حم السجدة) ، ثم (سورة حم عسق) ، ثم (حم الزخرف) ، ثم (حم الدخان) ، ثم (حم الشريعة) ، ثم (حم الأحقاف) فيها آي مدني ، ثم (والذاريات) ، ثم (هل أتاك حديث الغاشية) ، ثم (سورة الكهف) آخرها مدني ، ثم (الأنعام) فيها آي مدني ، ثم (سورة النحل) آخرها مدني ، ثم (سورة نوح) ، ثم (سورة إبراهيم) ، ثم (سورة السجدة) ، ثم (والطور) ، ثم (تبارك الذي بيده الملك) ، ثم (الحاقة) ، ثم (سأل سائل) ، ثم (عم يتساءلون) ، ثم (والنازعات) ، ثم (إذا السماء انفطرت) ، ثم (إذا السماء انشقت) ، ثم (الروم) ، ثم (العنكبوت) ، ثم (ويل للمطففين) .. "[1]، ويكون بهذا ترتيب سورة العنكبوت حسب النزول : الرابعة والثمانين حسب

---

(١) الفهرست ، لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، د.ط ، ص٣٧-٣٨ .

ما أورده الزهري في كتابه[١] .

واختلف حول آخر ما نزل في مكة ، فالبعض قال : العنكبوت ، والبعض الآخر قال : المؤمنون ، وفئة ثالثة قالوا : المطففين[٢] . ونستقر على ما أجمعت عليه أغلب الآراء في أنّ سورة العنكبوت تعد من أواخر السور التي نزلت بمكة ، وإن كانت تحتوي على آيات مدنية ، قيل إنها الإحدى عشرة الآية الأولى[٣] .

٢- سورة العنكبوت ضمن سياق التلاوة :

اختلف العلماء حول ترتيب السور في القرآن الكريم ، فمنهم من قال : إن ترتيبها توقيفي ، بدليل ما ذكره أبو بكر الأنباري : " أنزل الله القرآن إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تتنزل لأمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع السور والآيات والحروف ، كله عن النبي ﷺ فمن قدم سورة أو آخرها أفسد نظم القرآن"[٤] .

والبعض قال : إن ترتيب السور في المصحف اجتهادي ، واستند في ذلك إلى ما رواه " أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين ؛ فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ووضعتموها في السبع الطوال ؟. فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ((ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)) ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة ، وكانت (براءة) من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها . فقُبض رسول الله ﷺ ، ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ووضعتها في السبع الطوال "[٥] .

ورأي ثالث قال : إن بعض السور كان ترتيبها توقيفياً ، وبعضها الآخر كان اجتهادياً . يقول ابن عطية في مقدمة تفسيره : " وظاهر الآثار أن السبع الطوال ، والحواميم ، والمفصل كان مرتباً في زمنه ﷺ ،

---

(١) ينظر : تنزيل القرآن ، لابن شهاب الزهري ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، الناشر : دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ط٢ ، ص٢٩ .

(٢) ينظر : الزركشي في البرهان ، ج١ ، ص١٩٤ ، والإتقان ، للسيوطي ، ص٧٦ .

(٣) ينظر : المرجعان السابقان .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، الناشـر : دار الفكـر ، لبنـان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ط١ ، ج١ ، ص٢٤٦ .

(٥) الإتقان ، للسيوطي ، ص١٦٠ .

وكان في السور ما لم يرتب ، فذلك هو الذي رتب وقت الكتب "[1].

وأميل إلى القول الذي قال : إن ترتيب سور القرآن في المصحف توقيفي ، فعند دراستي لسورة العنكبوت وجدت أن هناك تناسباً يربط بين السورة وما قبلها وما بعدها ، وهذا يرجح على أن ترتيبها توقيفي موحى به إلى النبي المصطفى محمد ﷺ - والله أعلم - .

وتعد سورة العنكبوت من السور المكية ، وترتيبها بين سور القرآن التاسعة والعشرون ، وتقع آياتها بين الجزء العشرين والحادي والعشرين من القرآن الكريم ، وتقع في المصحف بعد سورة القصص وقبل سورة الروم ، ويبلغ عدد آياتها تسعاً وستين آية .

❒ ❒ ❒

---

(١) نقلاً من كتاب : الترتيب والتناسب في آيات القرآن وسوره ودلائل الإعجاز ، د. محمد رأفت سعيد ، الناشر : دار الوفـاء ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص٥١ .

الفصل الأول

وجوه التناسب في السورة

الفصل الأول

وجوه التناسب في السورة

أ / التناسب بين السورة واسمها :

دائماً ما يكون الاسم هو الرمز الأول الذي يعطيك انطباعاً عاماً عن موضوع هذا المسمى ، فنجد تناسباً كبيراً بين المضمون والاسم الذي عنون به ، أو رمز به .

وهذا ما نجده في أسماء سور القرآن ؛ إذ إن العقل المتدبر الواعي يدرك أن هذه الأسماء ناسب كل اسم منها السورة التي وضع لها ، حيث اختيرت أسماؤها بعناية إلهية تكشف عن تناسب شديد يربط بين مضمون السورة واسمها(١) .

فسورة العنكبوت ، وهي السورة التاسعة والعشرون في ترتيب سور القرآن ، يبلغ عدد آياتها تسعاً وستين آية ، كما أنها تصنف ضمن السور المكية(٢) ، ولم يذكر لها اسم غير هذا ، حيث عرفت به منذ عهد الرسول ﷺ ، حتى إن مشركي مكة كانوا يستهزئون عندما سمعوا بتسميتها هي وسورة البقرة ، فرد عليهم القرآن : ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾(٣) .

ولو أردنا النظر إلى وجه التناسب بين سورة العنكبوت واسمها لوجدنا أنّ هناك تناسباً ظاهراً واضحاً نراه في ورود اسم العنكبوت في السورة عند قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون اللهِ أوليَاء كمَثَل العَنكبوت اتخَذَت بيتاً وَإن أوهَنَ البيوت لَبيت العَنكبوت لو كانوا يَعلمونَ** ﴾(٤) .

لذلك " ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به ، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذَ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق ، أو صفه تخصه ، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى . ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز ؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم

---

(١) للاستفادة في هذا الموضوع يمكن العودة إلى الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، ص١٣٩-١٥٢ .

(٢) هناك اختلاف حول مدنية بعض آيات السورة ، ولكن تجمع بعض التفاسير على مكيتها . ينظر : في ظلال القرآن لسيد قطـب ، الناشر : دار الشروق ، ط٩ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ج٥ ، ص٢٧١٨ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، الناشر : دار سحنون ، تونس ، د.ط ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص١٩٩ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٤١) .

لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها ، وعجيب الحكمة فيها . وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها كثيراً من أحكام النساء .... "[١].

وحينما نحلق في أجواء السورة نجد أنّ هناك نوعاً آخر من التناسب ليس له ذلك الظهور ، ويحتاج إلى فهم معاني السورة ، ومن ذلك إبراز جانب قوة المؤمنين في تمسكهم بدينهم الإسلامي ولجوئهم إلى الله في السراء والضراء لإيقانهم بلقائه ، قال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يَرجو لقَاء الله فَإن أَجَلَ اللهِ لآتٍ وَهوَ السميع الْعَليم** ﴾[٢]. بينما نرى في الجانب المقابل ضعف الكافرين ، حيث قال تعالى فيهم : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون الله أولَيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبوت اتخَذَت بَيتاً وَإِن أَوهَنَ الْبيوت لَبَيت الْعَنكَبوت لَو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾[٣]، كذلك ضعف ما استندوا إليه ، فقد عرف كفّار مكة بأنهم وثنيون يعبدون الأصنام والتماثيل التي لا تقدم لهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً ، قال تعالى : ﴿ **إِنمَا تَعبدونَ من دون اللهِ أَوثَاناً وَتَخلُقُونَ إِفْكاً إِن الذينَ تَعبدونَ من دون الله لا يَملكُونَ لَكُم رِزقاً فَابتَغوا عندَ الله الرزقَ وَاعبدوه وَاشكُروا لَه إِلَيه ترجَعونَ** ﴾[٤]، جاءت هذه الآية حكاية لما قاله إبراهيم عليه السلام حينما كان يدعو قومه إلى عبادة الله ، ويوضح لهم ما خفي عن بصائرهم . فلقد اتخذوا من الأوثان - الأصنام - آلهة يعبدونها من دون الله ويرجون منها ما لا تملكه - وهو الرزق - ، وهي عاجزة عن تقديم أدنى ما يحتاجون إليه ، فما رزاق سوى الله ، وما وهاب للعطايا ومحقق للأمنيات إلا الله وحده سبحانه وتعالى ، ينزل الرزق بشتى أنواعه وتعدد أشكاله وألوانه[٥].

فهؤلاء قوم إبراهيم ومن أشبههم في فكرهم وعبادتهم اتخذوا من الأوثان التي هي من صنع أيديهم أولياء يلجأون إليها ويبكون لها ويخشونها وهي جامدة لا حراك لها لا تدفع ضراً عن نفسها ، فكيف ستجلب خيراً لطالبها ، فحالهم هذا ليس له مثيل سوى بيت العنكبوت في ضعفه ووهنه ، وهذا يعيدنا إلى اسم السورة (العنكبوت) ، ويكشف عن تناسب معجز بين محتوى السورة والاسم الذي وضع لها ، وما اسم السورة إلا مفتاح ينبئك بمحتواها ومضمونها .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ج١ ، ص٢٧٠-٢٧٢ ، ينظر أيضاً : الإتقان ، للسيوطي ، ص١٥٠ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥) .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤١) . ينظر ما قاله محمد علي الصابوني في هذا الصدد ، في كتابه إيجاز البيان في سور القرآن ، الناشـر : مكتبة الغزالي ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص١٢١ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (١٧) .

(٥) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، الناشر : دار الكتـاب ، لبنـان ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ج٣ ، ص١١٤ .

ب/ المناسبة بين فاتحة سورة العنكبوت وخاتمتها :

ثمة إعجاز بلاغي يظهر في روعة التناسب ودقة التلاحم بين آيات القرآن وسوره ، فكل سورة تبدأ رحلتها بافتتاحية تفصح عن غرض محوري ترتبط به أجزاء السورة ليتوالى الحديث بعد ذلك آخذاً بعضه بأعناق بعض ، حتى نصل إلى خاتمة تهمس للعقل اليقظ المتدبر فتعيده إلى بدء السورة ومفتتحها ، لتكتمل بذلك الرحلة في السورة القرآنية وقد ترابطت بدايتها ونهايتها .

والمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها تتضح في : أن استفتاح السورة ذكر أن الابتلاء من مقتضيات الإيمان ، وهو سنة كونيه : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾[1]. ثم جاءت الخاتمة : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[2]، والجهاد هنا عني به الصبر على المحن ، وتحمل المشاق في سبيل الإيمان .

فجاءت الخاتمة تحمل هذه البشرى لهؤلاء الذين صبروا على الفتن ، وواجهوا المحن بصبرٍ وثبات ، تبشرهم بتوفيق الله لهم في لزوم طريق الإيمان ، ثم معيته - تعالى - لهم ، والمعية هنا معية خاصة بالعون والتوفيق والنصر والتأييد ، فتعانقت خاتمة السورة مع فاتحتها[3].

جـ/ المناسبة بين سورة العنكبوت وسورة القصص :

١) تناسب فاتحة السورتين :

لقد أُنزل القرآن وهو يحوي كثيراً من الأسرار التي تحفّز الهمم وتستوقف العقول للبحث في نكت تلك الأسرار وإبراز أوجه الإعجاز ، ومن ذلك مجيء سوره مرتبة على هذا النسق الرباني البديع ، فعند قراءتنا لآيات وسور هذا الكتاب المبين وفهمنا لمعانيه ومراميه يطالعنا تناسب بين آياته ، وتلاحم وتعانق يربط بين سوره ، وما كان هذا الترتيب إلا من حكيمٍ عليم .

فهذه سورة العنكبوت التاسعة والعشرون في ترتيب سور القرآن جاءت لما اقتضته الحكمة الإلهية بعد سورة القصص وقبل سورة الروم ؛ لتتجلى لنا حلقات وصل بين آياتها وموضوعاتها . فعند دراستنا لآيات سورتي العنكبوت وسورة القصص تظهر لنا وجوه من التناسب تستدعي التأمل والاعتبار ، ومن ذلك :

---

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٢-٣) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .

(٣) ينظر كلّ من : روح المعاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، الناشر : دار إحياء التـراث ، بـيروت ، د.ط ، ج٢١ ، ص١٥ ، والتحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٦ .

● أنّ كلتا السورتين - القصص والعنكبوت - تصنفان ضمن السور المكية[١]، كما اتفقت افتتاحيتهما بالحروف المقطعة ، فسورة القصص افتتحت بقوله تعالى : (طسٓمٓ) ، وسورة العنكبوت كانت افتتاحيتها (الٓمٓ) ، ولقد اختلف العلماء في تفسير معنى تلك الحروف المقطعة ، وكان لهم حديث طويل حولها[٢]، وأميل إلى قول من قال بإحالة علم معناها إلى علاّم الغيوب سبحانه وتعالى .

● ووجه آخر من التناسب يقفنا عليه جلال الدين السيوطي ، حيث يقول " ظهر لي في وجه اتصالها بما قبلها أنه تعالى لما أخبر في أول السورة السابقة عن فرعون أنه : ﴿ **عَلا في الأرض وَجَعَلَ أهلَها شيَعاً يَستَضعف طَائفَةً منهم يذَبح أبَناءهم وَيستَحيي نِسَاءهم** ﴾[٣]، افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان بعذاب دون ما عذّب به فرعون بني إسرائيل ؛ تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم ، وحثّاً على الصبر ، ولذلك قال هنا : ﴿ **وَلَقَد فَتَنا الذينَ من قَبلهم** ﴾ "[٤].

وعند قراءتنا لسورة القصص وبعد قوله تعالى : ﴿ **طسم تلْكَ آيات الْكتَابِ الْمبِينِ** ﴾[٥]، تبدأ السورة في استعراض قصة فرعون وكيف كان ابتلاء بني إسرائيل به ، حيث ﴿ **إن فرعَونَ عَلا في الأرض وَجَعَلَ أهلَها شيَعاً يَستَضعف طَائفَةً منهم يذَبح أبَناءهم وَيستَحيي نِسَاءهم إنه كَانَ منَ الْمفْسِدينَ** ﴾[٦]،

لم تتوقف السورة إلى هنا ، بل أخذت في عرض قصة سيدنا موسى وما لاقاه عند دعوته لفرعون وقومه من الاعتراض والتكذيب له ومحاربته فيما يدعو إليه ، فما كان منه إلا أن صبر وثابر في دعوته إلى الله ، حتى جاء نصر الله ومكافأة جلَده وصبره بأن أُغرق فرعون وقومه ، قال تعالى : ﴿ **فَأَخَذْنَاه وَجنودَه**

---

(١) للاستفادة في هذا الموضوع يمكن العودة إلى ما سبق ذكره في الهامش رقم(٢) ، ص١٠ من هذا البحث .

(٢) ينظر إلى أي تفسير من تفاسير القرآن ، وأرجح : التفسيير الكبير ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، الناشــر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، ط١ ، ج٢ ، ص٣ ، بالإضافة إلى كتاب البرهان للزركشي ، ج١ ، ص١٦٥-١٧٨ .

(٣) سورة القصص : الآية (٤) .

(٤) تناسق الدرر في تناسب السور ، للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، الناشر : عالم التراث ، دمشق ، ص٧٢ .

(٥) الآيتان (١-٢) .

(٦) سورة القصص : الآية (٤) .

﴿ فَنَبَذْنَاهم في اليَم فَانظُر كيفَ كَانَ عَاقبَةُ الظالمينَ ﴾ [1]، ثم توالت الآيات حتى جاءت على ذكر قارون وما أنعم الله به عليه ، حتى إن كلّ من حوله تمنى أن عنده مثل قارون ، واغتر وظن أن ما عنده ليس بزائل ولا مزحزح ، فقال : ﴿ إنمَا أوتيته عَلى علمٍ عندي ﴾ [2]، فخسفت به وبداره الأرض بأمر من الله ، قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِه وَبِدَاره الأرضَ فَمَا كَانَ لَه من فئةٍ ينصرونَه من دون اللهِ وَمَا كَانَ منَ المُنتَصرينَ ﴾ [3]. فناسب هذا التقديم للابتلاءات ونتائجها للصابرين أو المعترضين أن تفتتح سورة العنكبوت بقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۞ أحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقُولُوا آمنا وَهم لا يفْتنونَ ۞ وَلَقَد فَتنا الذينَ من قَبلهم فَليَعلمَن الله الذينَ صَدَقُوا وَليَعلمَن الكَاذبِينَ ﴾ [4]، فقوله : ولقد فتنا الذين من قبلهم ... تشير إلى من جاء ذكرهم في سورة القصص في الابتلاءات لتبرهن على مدى قوة إيمان المسلم ، وأنّ ما حصل للأمم السابقة من الأنبياء وأقوامهم سيتعرض له المؤمنون ، ولعل في ذلك تسلية لما لقيه المؤمنون من مشركي قريش في مكة .

فهاتان الآيتان من سورة العنكبوت جاءتا مناسبتين لما جاء في السورة السابقة من ابتلاءات بني إسرائيل بفرعون ، ثم ابتلاء أم موسى بفراقه ، وكيف كان جزاء صبرها أن عاد إلى أحضانها ، ثم ابتلاء موسى بالرجل الذي قتله ونجاته من العقوبة . وكل هذه ابتلاءات أعقبها خير ورحمة ، ثم ذكرت السورة ضرباً آخر من الابتلاءات كان نهايتها عذاباً وسوء عقاب مثل ما حدث لقارون[5] .

٢) تناسب خاتمة سورة القصص مع فاتحة سورة العنكبوت :

ونصل مع خاتمة سورة القصص إلى عدة أوجه من التناسب تلتقي بها مع فاتحة العنكبوت ، أولها : حينما قال تعالى : ﴿ إن الذي فَرَضَ عَليكَ القُرآنَ لَرَادكَ إلى مَعَادٍ ﴾ [6].

---

(١) سورة القصص : الآية (٤٠) .

(٢) سورة القصص : الآية (٧٨) .

(٣) سورة القصص : الآية (٨١) .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (١-٢-٣) .

(٥) ينظر : البرهان في ترتيب سور القران ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، تحقيق : محمد شـعباني ، الناشـر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص٢٧٠ ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين البقاعي ، ج٥ ، ص٥٣٤ .

(٦) سورة القصص : الآية (٨٥) .

ﺫ ـ (رادك) : مصدر من الرد ، وهو صرف الشيء ورجعه[1] ، و (المعاد) اختلف المفسرون في تأويله ، فمنهم من رأى أنه يقصد به الموت ، أو رده إلى الجنة ، أو أن المعاد هو يوم القيامة . و لا أُريد أن أفصل القول في تلك الأقوال ؛ لأن المقام لا يختص بذكرها[2] ، وإنما أذكر ما اطمأنت نفسي إليه من أن المقصود بالمعاد (مكة) ؛ استناداً إلى ما جاء عند الإمام البخاري ، حيث قال : " حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا يعلى حدثنا سفيان العصفوري عن عكرمة عن ابن عباس : (لَرادك إِلَى معاد) ، قال : إلى مكة "[3]. وأرشدنا إلى ذلك أيضاً حينما أشارت افتتاحية سورة القصص إلى خروج موسى ، ثم عودته إليها داعياً إلى ربه ومنتصراً بتحطيم جبروت فرعون وقومه بقوة الله ونصره ، فهي بمثابة الاطمئنان لرسول ﷺ في تحقيق وعد الله له بأن سيرده إلى مكة منتصراً وفاتحاً ، وكذلك لتعليق المسلمين بالأمل في العودة إلى مكة .

ولمّا كان هذا الفتح لا بد له من مشقّة ومكابدة ومواجهة مع العدو ، وقد يشق على البعض من المؤمنين ، لهذا ناسب ذكر قوله : ﴿ **أحَسِبَ الناس أن يترَكُوا ...** ﴾ في فاتحة سورة العنكبوت ، فمن ارتضى بالإسلام ديناً فعليه أن يصبر ويصمد أمام كلّ ما يواجهه من فتنة وصعوبات[4] .

وأما الوجه الثاني : فعند قوله تعالى : ﴿ **وَادع إِلَى رَبكَ** ﴾ [5] ، ولقد ذهب الإمام الرازي في هذا الوجه من التناسب إلى القول بأن " في الدعاء إليه الطعان والحراب والضراب ؛ لأن النبي عليه السلام وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد إن لم يؤمن الكفار بمجرد الدعاء ، فشق على البعض ذلك ، فقال تعالى : ﴿ **أحَسِبَ الناس أن يترَكُوا ...** ﴾ "[6] ، وفي ذلك نظر ، حيث إن الجهاد لم يفرض ويتقرر في القرآن إلا بعد الهجرة إلى المدينة ، وسورة العنكبوت مكية ، فيمكن القول بأن ليس المقصود من (ادع إلى ربك) قتال أهل الكفر ؛ وإنما المقصود " الدوام على الدعوة إلى الله ، لا إلى إيجاد الدعوة ؛ لأن ذلك حاصل "[7] ،

---

(١) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور ، ج٦ ، ص١٣٢ ، حرف ذ - ر ، مادة (ردد) .

(٢) لمعرفة تلك التأويلات بتوسع يمكن العودة إلى : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ١٤٠٥هـ ، ج٢٠ ، ص١٢٣-١٢٦ .

(٣) صحيح البخاري ، المحقق : مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، دمشق ، بـيروت ، د.ط ، كتـاب تفسـير القـرآن ، ج٤ ، ص١٧٩٠ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٢٣ ، والبرهان ، للغرناطي ، ص٢٧١ .

(٥) سورة القصص : الآية (٨٧) .

(٦) التفسير الكبير للرازي ، ج٢٥،ص٢٣ .

(٧) التحرير والتنوير ، لطاهر ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص١٩٦ .

فلا تدع - يا محمد - اليأس من قبول المشركين لدعوتك يتسلل إليك ويضعف من عزيمتك واستمرارك في دعوتهم ، فكن صامداً أمام الطعنات والضربات التي قد تلاقيها من العدو ، وتحمل الأذى والألم في سبيل الثبات على دعوتك ودينك ، وقد يشق هذا الأمر على بعض المؤمنين ، فجاء قوله تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ [(1)]، فمن صدق قلبه ثبت وتحمل كل الصعوبات والفتن وهو ثابت قوي الإيمان .

ومن زاوية أخرى نلمح وجه تناسب ثالثاً في قوله تعالى : ﴿ **ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون** ﴾ [(2)]، فالخطاب موجه إلى النبي ﷺ ، وهو الأسوة الحسنه لأصحابه وأتباعه ، فجاء النهي يحمل معنى الثبات والدوام على نبذ عبادة الأوثان وإشراك إله آخر مع الله ؛ لأنه هو المتفرد والمستحق للعبادة وحده سبحانه ، وكلّ ما سواه مصيره الهلاك والموت .

﴿ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ تنبيه وتذكير إلى من ظن أنّ بهلاكه ينتهي كلّ شيء ، فمآل الموجودات ومرجعها إليه تعالى ، وهذا التذكير بأن هناك عودة إلى الله فيها حساب وعقاب تستدعي التفات أصحاب العقول إلى أنّ إيمانهم سيقاس بالابتلاء والافتنان ، فمن صبر ظفر ، ومن فَجَر خاب وخسر ، وهذا الجزاء والعقاب سيكون موعده يوم القيامة ﴿ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [(3)].

٣) تناسب الخاتمة فيهما :

وبعد أن ذكرت تناسب افتتاحية السورتين واتصال خاتمة القصص بفاتحة العنكبوت ، بقي أن نعرف التناسب الذي يجمع بين خاتمة السورتين ، " فلما كان في خاتمة القصص الإشارة إلى هجرة النبي ﷺ ، وفي خاتمة هذه الإشارة إلى هجرة المؤمنين بقوله : ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون** ﴾ ناسب تتاليهما "[(4)].

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

(٢) سورة القصص : الآية (٨٨) .

(٣) ينظر : الرازي التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٢٣ ، والبقاعي نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٣ .

(٤) تناسق الدرر في تناسب السور ، للسيوطي ، ص٧٢ ، وذكره الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٣٢ .

إذن فبشارة النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **إن الذي فَرَضَ عَلَيكَ القُرآنَ لَرادكَ إلى مَعَادٍ** ﴾ [(١)] ، وهي إشارة للعودة من المدينة إلى مكة فاتحاً لها بعد أن حاربه المشركون فيها ، حتى إنه لم يجد خياراً غير الخروج منها ، ناسب التقاء هذه البشارة في خاتمة القصص مع قوله في خاتمة سورة العنكبوت : ﴿ **يَا عِبَاديَ الذينَ آمَنوا إن أرضي وَاسعَةٌ فَإِيايَ فَاعبدون** ﴾ [(٢)] ، وهذه أيضاً دعوة للمؤمنين بالهجرة من مكة إلى يثرب ، وذلك حينما اشتد أذى قريش - المشركين - لمن آمن - بما أنزل على محمد - ، حتى إنّ بعضهم خاف من شدة ما يلاقيه أن يترك إسلامه ويتبع ملتهم وهو كاره لذلك ، فجاءت هذه الآية لتدعوهم للهجرة إلى المدينة ، فأرض الله واسعة ، وبهذا يكون قد تناسب مجيء سورة القصص قبل سورة العنكبوت .

٤) معانٍ تتناجى في داخل السورتين :

ومن أوجه التناسب كذلك بين السورتين أن جاءت كلتاهما على ذكر نعمة الله على أهل مكة ؛ بأن جعل بلدهم آمناً وافر الرزق ، حيث قال تعالى في سورة القصص : ﴿ **وَقَالُوا إن نتبع الهدَى مَعَكَ نَتَخَطف من أرضَنَا أَوَلَم نمَكن لهم حَرَماً آمناً يجبَى إليه ثَمَرَات كُل شَيءٍ رزقاً من لدنا وَلَكن أَكثَرَهم لا يَعلَمونَ** ﴾ [(٣)] ، لقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : ﴿ **إنكَ لا تَهدي مَن أَحبَبتَ وَلَكن اللهَ يَهدي مَن يَشَاءُ** ﴾ [(٤)] ، نزلت في محمد ﷺ عند دعوته لعمه أبي طالب ، وقد كان الرسول حريصاً على أن يدخل كل من حوله في الإسلام ؛ لينعم بخيره وأمنه ، وكان يلح في دعوته ويؤكد عليها ، فكان ﷺ يدعو عمه أبا طالب إلى الدخول في الإسلام حتى وهو في لحظاته الأخيرة من الدنيا ، كان يأمل ويرغّب عمه في نطق الشهادة ، إلا أنه أبى قولها خوفاً من أن يعيبه شيوخ مكة ويقولوا : إن جزعه من الموت دفعه إلى ترك ما كان عليه آباؤه وأجداده[(5)] ، وكذلك كفار مكة كانوا يعتذرون عن ترك عبادة أوثانهم وأصنامهم بالرغم من إيقانهم بصحة ما يدعو إليه محمد ﷺ وحقيقته بأن تغير عليهم القبائل وتغزوهم وتخرجهم من أرضهم ، ﴿ **إن نتبع الهدَى مَعَكَ نَتَخَطف من أرضَنَا** ﴾ ، فجاء الرد على

---

(١) سورة القصص : الآية (٨٥) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥٦) .

(٣) سورة القصص : الآية (٥٧) .

(٤) سورة القصص : الآية (٥٦) .

(5) ينظر : أسباب نزول القرآن ، للإمام أبي الحسن علي الو احدي ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، الناشر : دار الكتب العلميـة ، بيروت ، د.ط ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ص٣٤٨ .

قولهم وحجتهم الواهية من الله تعالى ، حيث قال : ﴿ **أَوَلَم نمَكن لهم حَرَماً آمناً** ﴾ ، فقد ميز الله بلدهم - مكة - بأن حرم فيها القتال والحرب ، في حين يشكو من يقطن حولها وخارجها من الغزو والغارات وعدم الاستقرار والأمان ، فقد خصها الله بهذه الميزة كما كان العرب يعرفون ذلك ويحترمونه ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن دَخَله كَانَ آمناً** ﴾ [(١)].

ثم قال الله تعالى زيادة في تأكيد نعمته على أهل مكة : ﴿ **يجبَى إليه ثَمَرَات كُل شَيءٍ** ﴾ ، فهي وافرة الماء متنوعة الخيرات ، فإذا كان حاصل كل هذا أنّ مكة تميزت بأعظم نعمة ، وهي الأمن وزيادة الرزق ، فما المسوغ لإعراضهم وجحودهم وتمسكهم بعبادة الأوثان التي لا تقوى على تقديم خير ولا دفع شر[(٢)] ؟. ثم أعقبتها سورة العنكبوت تؤكد حرمة البلد الأمين - مكة - ودوام أمنه في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَم يَرَوا أنا جَعَلْنا حَرَماً آمناً وَيتخَطف الناس من حَولهم أفَبِالْبَاطل يؤمنونَ وَبِنِعمَة الله يَكْفُرونَ** ﴾ [(٣)]، فالإنسان إذا ركب البحر يكون حريصاً وخائفاً من غدر الأمواج وتلاعب الرياح بالسفن ، خلاف ما يكون عليه وهو في بيته ومسكنه من الاستقرار والاطمئنان ، فالآية جاءت لإيضاح ذلك ووصف المشركين عند محاصرة الخوف لهم عند ركوبهم الفُلك والسير في البحر ، فإنهم يلجأون إلى الواحد القهار الذي يملك نجاتهم من غدر تلك البحار ، فلم يتوسلوا بصنم أو حجر ؛ لأنهم في قرارة أنفسهم يعلمون علماً يقينياً أن لا منجا ولا ملجأ إلا إليه سبحانه وتعالى ، ولكن سرعان ما يذهب كلّ ذلك ويعودون إلى جحودهم ونكرانهم لفضل ربهم وتمسكهم بغيهم والانغماس في غفلتهم .

ثم جاء قوله : ﴿ **أَوَلَم يَرَوا أنا جَعَلْنا حَرَماً آمناً ...** ﴾ لتذكرهم أنّ الله الذي اعتصموا به وأخلصوا في الدعاء له وهم في حال الخوف هو من رزقهم الأمن الذي ينعمون به في بلدهم - مكة - ، بينما يعيش من حولهم من القبائل حالةً من الحرب والخوف والغزو ، أفلا يعقلون أنّ هذه نعمة خص اللهُ بها كل من دخل مكة ؟ ألا يستطيع من أسبغ عليهم كلّ هذا أن ينزعه منهم ؟ وبعد كلّ هذا يعبدون ما صنعت أيديهم ويتركون عبادة خالقهم المتفضل بنعمه عليهم[(٤)] ؟!.

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٢) ينظر : الرازي التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٤ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٦٧) .

(٤) ينظر : التفسير الكبير للرازي ، ج٢٥ ، ص٨٢ ، وقبس من نور القرآن الكريم ، لمحمد علي الصابوني ، الناشر : دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ج٣ ، ص٢٨٥-٢٨٧ .

د / المناسبة بين سورة العنكبوت والروم :

من مظاهر الإعجاز القرآني حسن ترتيب السور ، ولذا جاء تقديم سورة العنكبوت على سورة الروم ، فما حلقات الوصل التي تجمع بينهما ؟ وما الذي أجمل في الأولى وفُصل في الثانية ؟.

إنّ علم المناسبة هو الكفيل بأن يكشف لنا عن المعاني التي تتلاقى مؤتلفة في سور القرآن الكريم ، لذلك اخترت أن يكون هو الوسيلة التي أكشف بها عن أوجه العلاقات التناسبية بين السورتين (العنكبوت والروم) ، وإن كانت أوجه التناسب تتفاوت درجاتها بين الظهور والخفاء ، ولعلّ هذا ما سنوضحه من خلال دراستنا .

١) تناسب فاتحة السورتين :

قال الرازي في التفسير الكبير : " إنّ كل سورة افتتحت بحروف التهجي فإن في أوائلها ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾[١] ، ﴿ الٓمٓصٓ ۝ كِتَٰبٌ ﴾[٢] ، ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾[٣] ، ﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[٤] ، ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[٥] ، ﴿ يسٓ ۝ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[٦] ، ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[٧] ، إلا هذه السورة وسورتين أخريين[٨] "[٩] .

كذلك أكد صاحب تناسق الدرر على ذلك بقوله : " فإن كلاً منهما[١٠] افتتح بـ (الٓمٓ) ، غير معقّب بذكر القرآن ، وهو خلاف القاعدة الخاصة في المفتتح بالحروف المقطعة ، فإن كلها عقّب بذكر الكتاب أو وصفه ، إلا هاتين السورتين وسورة القلم "[١١] ، كما ذكر ذلك الطاهر بن عاشور عند تفسيره لسورة العنكبوت : " واعلم أن التهجي المقصود به التعجيز يأتي في كثير من سور القرآن ،

---

(١) سورة البقرة : الآيتان (١-٢) .
(٢) سورة الأعراف : الآيتان (١-٢) .
(٣) سورة طه : الآيتان (١-٢) .
(٤) سورة السجدة : الآيتان (١-٢) .
(٥) سورة فصلت : الآيتان (١-٢) .
(٦) سورة يس : الآيتان (١-٢) .
(٧) سورة ص : الآية (١) .
(٨) يقصد بالسورة : سورة العنكبوت ، والسورتين : الروم ومريم ، وذكر ذلك عند تفسيره لسورة العنكبوت ، ج٢٥ ، ص٢٤ .
(٩) التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٨٤ .
(١٠) يقصد سورتي العنكبوت والروم .
(١١) السيوطي ، ص٧٣ .

وليس يلزم أن يقع ذكر القرآن أو الكتاب بعد تلك الحروف وإن كان ذلك هو الغالب في سور القرآن ، ما عدا ثلاث سور ، وهي فاتحة سورة مريم ، وفاتحة هذه السورة ، وفاتحة سورة الروم "(١).

وبعد استعراض تلك النصوص أستطيع أن أتفق معها في القول بأنه بالإضافة إلى اتفاق السورتين في مكيتهما ، فكلتاهما افتتح بالحروف المقطعة (الٓمٓ) ، إلا أنهما تميزتا عن غيرهما من السور التي تفتتح بالحروف المقطعة أنهما لم تأتيا على ذكر الكتاب أو التنزيل كما اعتدنا في جميع السور المبتدأة بهذه الافتتاحية ، وإنما تلاها من المواضع المعجزة التي احتواها القرآن ، كالإخبار عن بعض الغيبيات والتكاليف . فقد تحدثت افتتاحية سورة العنكبوت عن تكليف الله للمؤمنين بمجاهدة النفس والصبر على ما نزل بهم من فتن وابتلاءات ؛ لأن كل مسلم معرض لاختبار إيمانه وقوة صبره وتحمله في سبيل بقائه وتمسكه بدينه . لهذا جاء قوله : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ (٢)، عقب الحروف المقطعة (الٓمٓ) .

أما سورة الروم فاختصت بالإخبار عن أمر غيبي لا يعلم وقوعه إلا الله ، فلما كان هذا الإخبار معجزاً في حد ذاته ناسب أن تتقدمه الحروف المقطعة ؛ تنبيها ولفتاً لأنظار السامعين إلى أهمية ما سيأتي الإنباء عنه ، وهو أن تغلب الروم فارس بعد أن هزمت منهم(٣).

٢) تناسب فاتحة سورة الروم مع بعض آيات سورة العنكبوت :

كما اتصلت افتتاحية سورة الروم : ﴿ الٓمٓ ۞ **غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ (٤)، بما سبقها من آيات سورة العنكبوت في عدة أوجه من التناسب ، كان أبرزها عند قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ (٥)، أهل الكتاب هنا هم اليهود والنصارى الذين نزلت عليهم كتب سماوية ، فلقد أوصى الله النبي وعامة المسلين بحسن التعامل معهم ورقي

---

(١) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٢ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢) .
(٣) ينظر : الرازي التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٨٥ .
(٤) سورة الروم : الآيات (١-٢-٣-٤) .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (٤٦) .

الجدال ، بحيث يكون بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ لكونهم يتفقون مع المسلمين في إيمانهم بوجود الله والخوف منه ، ثم استثنى ﴿ **إلا الذينَ ظلموا منهم** ﴾ ، فيجب عدم الرضوخ لعنادهم وتكبرهم .

ولما كان مشركو مكة وثنيين يعبدون الأصنام فقد كانوا ينصبون العداء والكراهية لأهل الكتاب ، ويفرحون لأدنى أذى يلحق بهم ، فحينما وقعت هزيمة الفرس للروم - والروم أهل كتاب - استغل المشركون هذه الحادثة للسخرية والشماتة من المسلمين ؛ لأن أهل ملتهم الفرس قد ألحقوا الهزيمة بالروم ، والذين يتفقون مع المؤمنين في الإيمان بوجود الله ، فجاءت سورة الروم لتخبر وتبشر بغلبة الروم للفرس قال تعالى : ﴿ **غُلبَت الروم ۞ في أدنى الأرضِ وَهم من بَعد غَلبِهم سَيَغلبونَ ۞ في بِضع سِنِينَ لِلهِ الأمر من قَبلُ وَمن بَعد وَيومَئذٍ يَفرح المؤمنونَ** ﴾ ، فلما سمع المؤمنون هذه الآيات أثلجت صدورهم وفرحوا بوعد الله لهم بأن إخوانهم في الملة سينتصرون ، وكل هذا من هزيمة الروم ومن ثم غلبتهم كان بفضل الله وقدرته لحكمة أرادها سبحانه وتعالى ، وهي الإخبار عن أمر غيبي دليل على سعة علم الله ، وكسر شوكة المشركين بعد أن ظنوا أنهم ألحقوا الشماتة بالمسلمين - والله أعلم - ، فناسب بذلك تتابع السورتين(١) .

كذلك عند قراءتنا لقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ **أولم يَروا أنا جَعلنا حَرماً آمناً وَيتخَطف الناس من حَولهم أفَبِالباطلِ يؤمنونَ وَبِنِعمَة الله يَكفُرونَ** ﴾(٢)، نجد وجهاً ثان من التناسب ، فحينما ذكر الله - جل في علاه - ما تفضل به على أهل مكة من الأمن ، حيث لا نهب ولا سلب ولا قتال بالرغم من قلة عددهم ، في الوقت الذي يشكو من حولهم من القرى ويلات الحرب وطعنات الرماح ، لكنهم مع كل هذا يرفضون الاعتراف بفضل خالقهم عليهم ، فيصرون على عبادة أوثانهم وما صنعت أيديهم ، تاركين عبادة الواحد القهار . أفلا يعتبرون بما حدث لغيرهم من الأمم ؟ فهذه الروم والفرس تتعرض للحرب والهزائم بالرغم من كثرة عددهم وعدتهم ، فلا يغررنهم ما هم فيه من نعيم ، ولا يفرحوا بنصر إخوانهم في المعتقد ، فإن الهزيمة ستلحق بهم ، ﴿ **غُلبَت الروم ۞ في أدَنى الأرضِ وَهم من بَعد غَلبِهم سَيَغلبونَ** ﴾(٣)، فناسب تتاليهما(٤) .

---

(١) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ؛ لأنه جاء على ذكر هذا الوجه من التناسب ، ج٢٥ ، ص٨٤ .

(٢) الآية (٦٧) .

(٣) سورة الروم : الآية (٢-٣) .

(٤) جاء على ذكر هذا الوجه من التناسب ابن الزبير الغرناطي . ينظر : كتابه البرهان في ترتيب سـور القـرآن ، ص٢٧٣ ، وذكـره البقاعي ، ج٥ ، ص٥٨٣ .

ووجه ثالث من المناسبة يصل بين خاتمة سورة العنكبوت وفاتحة ما بعدها ، وذلك عند قوله تعالى : ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا فينَا لنهدَينهم سبلنَا وَإن اللهَ لَمَعَ المحسِنينَ** ﴾ [1]، ولقد قال الإمام السيوطي في وجه اتصال هذه الخاتمة بفاتحة الروم : " إنها ختمت بقوله ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا ...** ﴾ ، وافتتحت هذه بوعد من غُلب من أهل الكتاب بالغلبة والنصر ، وفَرح المؤمنين بذلك ، وأن الدولة لأهل الجهاد فيه ، ولا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلك من هزيمة "[2]، إلا أن الألوسي لم يستحسن هذا الوجه من التناسب ، حيث يرى " أن قتال أهل الكتاب ليس من المجاهدة في الله ﷻ ، وبذلك تضعف المناسبة "[3]، ثم يعلل وجه التناسب في ذلك بأن " ما افتتحت به هذه السورة متضمناً نصرة المؤمنين بدفع شماتة أعدائهم المشركين وهم لا يزالون مجاهدين في الله تعالى ولأجله ﷻ ، ولا يضر عدم جهادهم بالسيف عند النزول ، وهذا في المناسبة أوجه فيما أرى من الوجه الذي ذكره الجلال "[4].

ومن هنا جاء اعتراض الألوسي على ما ذكره السيوطي في كونه اعتبر الروم أهل جهاد ، ولذلك جاء الإخبار عنهم بالنصر ، فرد الألوسي ذلك بأن الجهاد لا يكون إلا في سبيل الله ؛ وإنما وجه المناسبة بينهما في كون المشركين ألحقوا الشماتة بالمؤمنين عند غلبة فارس للروم ، فأراد الله أن يكافئ هؤلاء المؤمنين المجاهدين في سبيل الثبات على دينهم والمحسنين في أعمالهم بأن يفرحهم بنصر الروم بعد هزيمتهم من الفرس ، وفي ذلك إخراس لألسن المشركين ، وقطع طريق شماتتهم بالمؤمنين ، وهذا ما أميل إليه مما قاله الألوسي ، حيث إن الله وعد المجاهدين لأنفسهم وشهواتهم بأن يكون معهم دائماً ، ﴿ **وَإن اللهَ لَمَعَ المحسِنينَ** ﴾ [5]، فحينما كان ما كان من سخرية المشركين ، أراد الله أن يثبت لهم صدق ما وعدهم به ، وهو نصر الروم بعد هزيمتهم من الفرس في وقت معلومٍ أخبر به قبل وقوعه ، ولا يعني الإخبار عن انتصار الروم - وهم أهل كتاب - أنهم في جهاد ، فلا جهاد إلا لمن آمن بالله ورسله .

٣) معانٍ تتناجى في داخل السورتين :

ولا تتوقف أوجه التناسب عند الذي ذكرناه ، بل تمتد حلقات التواصل والتعانق بين آيات السورتين ، فنجد قوله تعالى في سورة الروم : ﴿ **اللهُ الذي خَلقَكُم من ضَعفٍ ثُم جَعَلَ من بَعد ضَعفٍ قُوةً ثُم**

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .

(٢) تناسق الدرر في تناسب السور ، ص٧٢ .

(٣) روح المعاني ، للألوسي ، ج٢١ ، ص١٧ .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .

جَعَلَ من بَعد قُوةٍ ضَعفاً وَشَيبَةً يَخلُق مَا يَشَاءُ وَهوَ العَليم القَدير ﴾ [1]، يلتقي مع قوله في سورة العنكبوت : ﴿ أَوَلَم يَرَوا كَيفَ يبدئ اللهُ الخَلْقَ ثُم يعيده إن ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِير ۝ قُلْ سيروا في الأرض فَانظُروا كَيفَ بَدَأ الخَلقَ ﴾ [2].

لما أنكر الله تعالى على الجاحدين والمشركين في عبادته كفرهم وعنادهم ، وكيف لا يتأملون خلق أنفسهم وما حولهم ، ﴿ أَوَلَم يَرَوا كَيفَ يبدئ اللهُ الخَلْقَ ثُم يعيده ﴾ ، وقدرة الله في إنشاء الخلق ثم إعادة خلقه وتكوينه بعد إهلاكه ، وهو أهون عليه ، ولا يعجزه ذلك سبحانه ، وإذا كنتم غير مدركين لذلك فسيروا ﴿ في الأرض فَانظُروا كَيفَ بَدَأ الخَلْقَ ﴾ ، وتتبعوا بأنفسكم وشاهدوا كيف كانت مراحل الخلق ؟ وكيف أتمها ؟ ويستطيع أن يعيدها بعد إهلاكها ، أفبعد هذا كله لا يعتبرون ولا يؤمنون ؟!.

ثم أعقبتها سورة الروم لتفصل بآياتها ذلك المجمل ، قال تعالى : ﴿ اللهُ الذي خَلَقَكُم من ضَعفٍ ثُم جَعَلَ من بَعد ضَعفٍ قُوةً ثُم جَعَلَ من بَعد قُوةٍ ضَعفاً وَشَيبَةً يَخلُق مَا يَشَاءُ وَهوَ العَليم القَدير ﴾ ، فتستمر الآيات في سورة الروم بعرض مراحل نمو الإنسان ، وكل هذا يدلّنا على عظيم خلق الله ، ويبرهن على علو مكانة الإعجاز التناسبي بين السور ؛ حيث أتت الروم على تفصيل ما أُجمل ذكره في العنكبوت ؛ ليعي الإنسان أنّ ما أغمض عليه في موضع يستطيع أن يفسره في موضعٍ آخر ، فسبحان الله المحكم لتنسيق آياته وسوره [3].

وأما الوجه الآخر من التناسب بين السورتين ، فنجده عند ابن الزبير الغرناطي ، حيث يقول : " فإنه سبحانه لما قال : ﴿ وَمَا هَذه الحَيَاةُ الدنيَا إلا لَهو وَلَعب وَإن الدارَ الآخرَةَ لَهيَ الحَيَوَانُ لَو كَانوا يَعلَمونَ ﴾ [4]، أتبع ذلك سبحانه بذكر تقلب حالها ، وتبين اضمحلالها ومحالها ، وأنها لا تصفو ولا تتم ، وإنما حالها أبداً التقلب وعدم الثبات ، فأخبر بأمر هذه الطائفة التي هي من أكثر أهل الأرض وأمكنهم - وهم الروم - ، وأنهم لا يزالون مرة عليهم وأخرى لهم ، فأشبهت حالهم هذه حال اللهو واللعب ، فوجب اعتبار العاقل بذلك ، وطلبه الحصول على تنعم دار لا يتقلب حالها ولا يتوقّع انقلابها

---

(١) الآية (٥٤) .

(٢) الآية (١٩-٢٠) .

(٣) لقد لفتنا إلى هذا الوجه من التناسب الأستاذ : محمد شعباني عند تحقيقه لكتاب (البرهان في ترتيب سور القرآن) ، لابن الزبير الغرنـاطي ، وذلك في الهامش رقم ٤٦٢ ، ص٢٧٣ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٦٤) .

وزوالها ، ﴿ **وَإِن الدارَ الآخرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ** ﴾ ، ومما يقوي هذا قوله تعالى : ﴿ **يَعلَمونَ ظَاهراً منَ الْحَيَاة الدنيَا** ﴾ ، أي : لو علموا باطنها لتحققوا أنها لهو ولعب ، ولعرف أمر الآخرة من عرف نفسه وعرف ربه . ومما يشهد لكلّ من المقصدين ويعضد كلا الأمرين قوله سبحانه : ﴿ **أَوَلَم يَسِيروا في الأَرض** ﴾ الآيات ، أي لو فعلوا هذا وتأملوا لشاهدوا من تقلب أحوال الأمم ، وتغير الأزمنة والقرون ما بين لهم عدم بقائهم على أحد ، فتحققوا لهوها ولعبها ، وعلموا أن حالهم ستؤول إلى حال من ارتكب في العناد والتكذيب وسوء التباد والهلاك "[1].

وهكذا نرى أن المولى سبحانه حينما قال في آخر سورة العنكبوت : ﴿ **وَمَا هَذه الْحَيَاةُ الدنيَا إلا لَهو وَلَعب وَإِن الدارَ الآخرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾ [2]، أراد أن يخبر عن حال هذه الدنيا وأنها لا تصفو لأحد ، ولا تبقى على حال واحدة ، فمن غرته الدنيا بفتنتها وكثرة معطياتها فليع أنّ هناك يوماً ستنتهي فيه هذه الحياة الدنيا بملذاتها وشهواتها ؛ ليعود بأعماله إلى الله في الدار الآخرة ، فإذا لم يدرك الغافل صدق حقيقة نهاية حياته الدنيوية ؛ فعليه أن يسير في أرجاء المعمورة لينظر ببصيرته ما كان من أمر الأمم السابقة ، وكيف أن الحياة الدنيا انتهت بهم إلى مهالك وعواقب لم يحسبوا لها حساباً ، بل ظلّوا في طغيانهم حتى جاء أمر الله ، فقال في ذلك : ﴿ **أَوَلَم يَسِيروا في الأَرض فَينظُروا كَيفَ كَانَ عَاقبَةُ الذينَ من قَبلهم** ﴾ [3].

❑ ❑ ❑

---

(١) البرهان في ترتيب سور القرآن ، ص٢٧٣ .

(٢) الآية (٦٤) .

(٣) سورة الروم : الآية (٩) .

الفصل الثاني

مقصود السورة الأعظم وأغراضها الكلية

الفصل الثاني

مقصود السورة الأعظم وأغراضها الكلية

مقصود السورة الأعظم :

نرمي في هذا الفصل إلى دراسة الموضوع الذي تدور حوله سورة العنكبوت .

فبعد قراءة السورة اتضح لي أن آياتها التفّت حول محور أساسي ، هو : الثبات على الدين مع المثابرة في إنكار المنكر وإقرار المعروف .

وفي نظم الدرر يضع البقاعي أيدينا على مقصود السورة ، وهو " الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعاء إلى الله تعالى وحمده من غير فتر "[(١)]، وهذا ما أكدته الآيات التي تتحدث عن الأنبياء والمؤمنين عند اصطدامهم بالقوى الكافرة المعادية للإسلام - وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد - .

وإذا انتقلنا إلى سيد قطب يوضح الهدف العام للسورة ، فيقول : هو " الحديث عن الإيمان والفتنه ، وعن تكاليف الإيمان الحق التي تكشف عن معدنه في النفوس ، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان ، إنما هو الصبر على المكاره والتكاليف في طريق هذه الكلمة المحفوفة بالمكاره والتكاليف "[(٢)]، ومن خلال هذين النصين يمكننا القول بأن موضوع السورة هو الثبات على الإيمان مهما قست وتعددت المحن والابتلاءات ، و " تهوين ما يلقاه المؤمنون من العذاب في سبيل دينهم "[(٣)].

وقد قال بعض من اهتموا بأمر التناسب ، ولاسيما الغرض العام وما يتفرع منه : " قال بعض المتأخرين : الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر إلى انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها "[(٤)]. وصدق السيوطي في ذلك ، فقد تفرع من مقصود السورة أغراض عدة يتفاعل بعضها مع بعض ، مكونةً حلقة تناسبية تربط بين آيات السورة ومعانيها في وحدة موضوعية محبوكة

---

(١) ج٥ ، ص٥٣٣ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧١٨ . وذكره د. عبد الله شحاتة في كتابه أهداف كل سورة ومقاصـدها في القـرآن الكريم ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٦م ، ج١ ، ص٢٨٤ ، ولكنه لم يشر إلى ذلك .

(٣) النظم الفني في القرآن ، لعبد المتعال الصعيدي ، الناشر : مكتبة الآداب القاهرة ، د.ط ، ص٢٣٢ .

(٤) الإتقان ، للسيوطي ، ص٦٩٧ .

النظم من لدن حكيم عليم .

ولكن قبل أن ننتقل بتأملاتنا في الكشف عن الأغراض نريد أن نتعرف على معنى (الفتنة) في اللّغة والاصطلاح ؛ لأنها تعد المحور الرئيسي في السورة .

فالفتنة كما جاءت عند ابن منظور في مادة فتن هي " جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحانُ والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك فَتنت الفضة والذهب : إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد "[1]. وهذا هو المعنى اللّغوي للكلمة ، وله دلالته وإيحاؤه لما تصنعه الفتنة بالقلوب ، وفصلها بين صادق الإيمان ومدعيه ، أما معنى الفتنة في القرآن الكريم فإن محمد الخطيب يذكر أنها تخرج إلى أحد عشر وجهاً ، من ذلك : أن " الفتنة بمعنى الابتلاء . قال تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقُولُوا آمَنا وَهم لا يفْتَنونَ** ﴾ ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَد فَتَنا الذينَ من قَبلهم** ﴾ يعني ابتلينا . كقوله تعالى : ﴿ **وَفَتَناكَ فُتوناً** ﴾ ، يعني ابتليناك ابتلاءً "[2]، وهذا المعنى للفتنة نجده في سورة العنكبوت تؤكده سياقات هذه الكلمة في السورة .

❐ ❐ ❐

---

(١) لسان العرب ، ج١١ ، ص ١٥٢ ، حرف (ف) ، مادة (فتن) .

(٢) نظرة العجلان في أغراض القرآن ، لمحمد بن كمال أحمد الخطيب ، الناشر : المطبعة العصرية ، دمشق ، د.ط ، ص٢٢-٢٣ .

الأغراض الكلية لسورة العنكبوت :

قسم المعنيون[١] بأغراض السور القرآنية أغراض سورة العنكبوت إلى ثلاثة أغراض :

الغرض الأول : الابتلاء سنة قائمة منذ الأزل :

ويبدأ من قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۞ **أحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقُولُوا آمَنا وَهم لا يفْتَنونَ** ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ **وَليَحملُن أثقَالَهم وَأثْقَالاً معَ أثْقَالهم وَليسألُن يَومَ القِيَامَة عَما كَانوا يَفْتَرون** ﴾ [٢].

يحتوي هذا الغرض على حقيقة الإيمان ، وإثبات أزلية الابتلاء ، وبيان جزاء كلّ من المؤمن والكافر ، ثم التأكيد على أن جميع الضمانات الدنيوية المقدمة للحيلولة دون إيمان المرء ستندثر يوم الفصل ، فكل مسؤول عما قدمت يداه : ﴿ **وَليسألُن يَومَ القِيَامَة عَما كَانوا يَفْتَرون** ﴾ .

قال تعالى في مبتدأ السورة : ﴿ الٓمٓ ۞ **أحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقُولُوا آمَنا وَهم لا يفْتَنونَ ۞ وَلَقَد فَتَنا الذينَ من قَبلهم فَلَيَعلَمَن الله الذينَ صَدَقُوا وَلَيَعلَمَن الْكَاذِبِينَ** ﴾ ، لقد تضمنت الآيات موجزاً مجملاً لما سيأتي الحديث عنه مفصلاً في ثنايا سورة العنكبوت ، حيث تبدأ السورة بعد الحروف المقطعة بأسلوب إنكاري بالغ القوة يخبر بأنّ كل مؤمن معرض لتمحيص إيمانه والكشف عن صدق مكنونه ، وإن سنة الابتلاء لم تكن وليدة عهد بعينه ، بل كلّ الأمم التي سبقتنا من الأنبياء وأقوامهم ، والصالحين وأتباعهم قد مروا بألوان من المحن والشدائد ، أبانت عن حقيقة قلوبهم وصدق صبرهم .

والفتنة في سورة العنكبوت جاءت في صور متنوعة ، فـ " مرة تكون بالأذى ، ومرة تكون بطلب الآيات والمعجزات ، ومرة تكون بطرد المؤمنين وإبعادهم عن أرضهم ، ومرة تكون بالأهل والمال والأولاد ، ومرة تكون بالافتراء والكذب والادعاء "[٣]، وإن كان خروج المؤمنين من أرضهم لم يكن طرداً ، وإنما هي دعوة من الله لعباده المؤمنين بالهجرة إلى مكان آمن يطمئنون فيه بالعبادة ؛ لقوله تعالى :

---

(١) هذا أمر ظهر الاعتناء به عند سيد قطب رحمه الله .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (١-١٣) .

(٣) دراسة في سورة العنكبوت ، الشيخ أحمد القطان ، ومحمد الزين ، الناشر : مكتبة السندس ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، ص١٦-١٧ .

﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [1]، وفي النهاية ﴿ **مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [2]، الموت آت لا محالة من وقوعه ، وكل آمل في لقاء ربه والانتقال إلى الحياة البرزخية المنعمة ، فليتخذ من الصبر على المحن والابتلاءات سبيلاً ، وما الصبر إلا جهاد في سبيل الذود عن النفس وحمايتها من الضعف والانكسار أمام تيارات الحياة المختلفة ، وهذا من سنة الله في الابتلاء ، فمن كان حليفه الثبات على الدين والاطمئنان به بشره الله بالجزاء الأعظم ، حيث قال : ﴿ **.. لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [3].

وفي تناسب بلاغي بديع النظم والتركيب تعود الآيات لتؤكد قضية الافتتان ، وتفصل القول فيها ، فالإنسان معرض للابتلاء من أقرب الأقربين له والديه ، بالرغم من أن الله أوصى ﴿ **الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً** ﴾ ، وطاعتهما في كل ما يأمران به ، إلا في حالٍ واحدة ، هي : ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا** ﴾ [4]، وسعد بن أبي الوقاص ﷺ أنموذج للفئة الصابرة والثابتة على توحيدها ، فحينما أضربت أمه عن الطعام والشراب أملاً في أن يترك ابنها الدين الذي اعتنقه ، ما كان له بالرغم من حبه لأمه وطاعته لها إلا أن ثبت على دينه وأصر على استمساكه به . وهذا نوع آخر لسنة الله في الابتلاء تظهر عنده قوة تحمل المؤمن في مواجهته للقوى المعادية مهما كانت مكانتها وقربها من نفسه .

وفي المقابل فئة مهزوزة الإيمان ، بنيتها الدينية ضعيفة ، فبمجرد تعرضها لأدنى أذى تعلن استسلامها متنازلة عن إيمانها وعقيدتها ، وكأن العذاب الذي تلقاه من المعارضين والمحاربين للإسلام يرقى إلى عذاب الله تعالى : ﴿ **فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ** ﴾ ، فإذا ما لاح لهم نصر الله لعباده المؤمنين عادوا إلى صفوف المؤمنين يذكّرونهم بأنهم كانوا معهم : ﴿ **وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ** ﴾ وبذلك تتجلى سنة الله في الابتلاء بالكشف عن زيف إيمانهم وحقيقة

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٦) .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥) .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٧) .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٨) .

نفاقهم : ﴿ **أَوَلَيسَ الله بِأَعلَمَ بِمَا في صدورِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [١].

ونتأمل هنا دقة التعبير القرآني عندما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **جَعَلَ فتنَةَ الناسِ كَعَذَابِ اللهِ** ﴾ ، فمن المعلوم أن للإنسان طاقة تحمل يفقد بعدها الصبر على شدة الإيذاء ، لكنه في قرارة نفسه المطمئنة إلى فرج الله يعلم أنّ ما يلقاه من الإيذاء والتعذيب لا يمثل قدراً أمام عذاب القوي وعقابه للمذنبين والمسيئين ، فالآية الكريمة بذلك تصور حقيقة تلك النفوس الضعيفة ، ولعل " هذا هو مفرق الطريق بين الإيمان في القلوب والنفاق "[٢].

ثم يأتي قوله تعالى : ﴿ **وَلَيَعلَمَن اللهُ الذينَ آمَنوا وَلَيَعلَمَن الْمَنَافقينَ** ﴾ [٣]، فتتجلى حكمة الابتلاء في الكشف عن النفوس الصادقة في إيمانها ، والكاذبة في دعواها لهذا الإيمان .

وتتوالى وجوه التناسب بين الآيات لتعرض نوعاً آخر من الفتنة التي يتعرض لها المؤمنون ، وهي فتنة مساومة أهل الكفر لأهل الإيمان ، وإغراؤهم لهم بحمل خطاياهم عنهم ، لكن القرآن يكشف زيف هذه المزاعم لأهل الكفر ، حيث يقول سبحانه : ﴿ **وَقَالَ الذينَ كَفَروا للذينَ آمَنوا اتبِعوا سَبِيلَنَا وَلْنَحمِلْ خَطَايَاكُم وَمَا هم بِحَامِلينَ من خَطَايَاهم من شَيءٍ إنهم لَكَاذبونَ** ﴾ [٤]، هكذا أكد الرد الإلهي كذب وعودهم لـ" دفع التبعية عن الغير وتبرئته من جنايته "[٥]، ثم جاءت جملة ﴿ **إنهم لَكَاذبونَ** ﴾ تؤكد حقيقة كذبهم .

ثم يأتي البيان القرآني " بإثبات أن هناك معاداً يحملون فيه خطاياهم وخطايا من حملوهم على الكفر "[٦].

ولقد اختار البيان القرآني كلمة (أثقال) مجازاً عن الذنوب والتبعات ، وفي هذا " تمثيل للشقاء والعناء يوم القيامة بحال الذي يحمل متاعه وهو موقَر به ، فيزاد حمل أمتعة أُناس

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٠) .

(٢) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٢٤ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (١١) .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (١٢) .

(٥) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٠ .

(٦) النظم الفني في القرآن ، لصعيدي ، ص٢٣٣ .

آخرين "[1]، وكان هذا تأكيداً على زيادة الثقل عليهم ، ولكن لا يعني دفع العقاب عن المحمول عنـه .

﴿ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [2]، جاءت الآية بتأكيد وقوع ذلك اليوم الذي يشككون في قدومه ، وبالرغم من علم الله بكل ما عملوه ، إلا أنهم سيسألون سؤال ازدراء وإذلال عن كلّ ما تعمدوا الكذب فيه ، وذلك لما في السؤال من الرعب الذي يوقعه في القلوب .

الغرض الثاني : عرض نماذج من ابتلاءات الأنبياء :

ويبدأ هذا الغرض من قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَد أرسَلْنا نوحاً إلى قَومه فَلَبِثَ فيهم ألفَ سَنَةٍ إلا خَمسِينَ عَاماً فَأَخَذَهم الطوفَانُ وَهم ظَالمونَ** ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ **اتلُ مَا أوحيَ إليكَ منَ الكِتابِ وَأقم الصلاةَ إن الصلاةَ تنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمنكَرِ وَلذكْرُ اللهِ أكْبر وَاللهُ يَعلم مَا تَصنَعونَ** ﴾ .

وتتناول الآيات في هذا الغرض عرضاً لصور من الابتلاءات التي تعرض لها الأنبياء بدءاً بسيدنا نوح ثم إبراهيم ، ومروراً بلوط وشعيب - عليهم السلام - ، والإشارة إلى ثمود قوم صالح ، وعاد قوم هود ، وما اعترض دعوة الدعاة من العقبات والصعوبات ، وكيف انتهت بفرج الله للأتقياء ، وإذلاله للأشقياء . ثم يربط بين الحق الذي جاء في تلك الدعوات بالحق الكامن في خلق السموات والأرض ، وأن كلا من عند الله .

ويأتي النظم القرآني بعطف قصة نوح على ما أُجمل فيه القول في أول السورة عند قوله تعالى : ﴿ **وَلقَد فَتنا الذينَ من قَبلهم** ﴾ [3]، فهذا نبي الله نوح يلبث في قومه ﴿ **ألفَ سَنَةٍ إلا خَمسِينَ عَاماً** ﴾ يدعوهم بقلب يغمره الإيمان ، وحرص يسبق خطواته إليهم أملاً في إيمانهم ، ولكن لا مجيب إلا من رحم ربي ، فقابل كل هذا الصد والإعراض ، والسخرية والاستهزاء بمزيد من الصبر والدعوة دون ملل أو فتر ، حتى جاء أمر الله على قومه العاصين ﴿ **فَأَخَذَهم الطوفَانُ** ﴾ .

---

(١) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢١ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (١٣) .

(٣) ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٢ .

ثم يتبعه في الذكر والبلاء إبراهيم عليه السلام فلم يكن قذفه في النار وخروجه من بلاده بالأمر الهين ، فقد أخذ يدعو قومه الوثنيين - عباد الأصنام - إلى عبادة خالقهم ، وليس ما صنعت أيديهم ، فما الرزق إلا من الواحد الرزاق . ولما كان صبره على قومه صبراً جميلاً لم يتخلله يأس أو فتور ، أتته مثوبة الله ، وجزاه بأن آمن له ابن أخيه لوط ، فكان نبياً مرسلاً ، كذلك رزقه اللهُ إسحاق وابنه يعقوب : ﴿ **وَوَهَبنَا له إسحَاقَ وَيعقُوبَ وَجَعَلْنَا في ذُريته النبوةَ وَالْكِتَابَ وَآتينَاه أجرَه في الدنيَا وَإنه في الآخرَة لَمنَ الصالحينَ** ﴾ [(١)] .

وتتوالى الآيات في عرض أمثلة لمن افتتن وابتلي ، وكان صبره خير معين له على حسن الجزاء والثواب ، فهذا لوط وشعيب لقيا من قومهما ما لقيه سابقوهم ، فقوم سبقوا إلى أقبح الجرائم : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم الْمنكَرَ** ﴾ [(٢)]، ولحسن تقبله للبلاء والامتحان استجاب الله دعوته عليهم بالهلاك ، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

كذلك أهل مدين كذبوا نبيهم شعيباً ، إلا أنه لاقى ذلك بالرضا والاحتساب : ﴿ **فَأخَذَتهم الرجفَةُ فَأصَبحوا في دَارِهم جَاثمينَ** ﴾ [(٣)]، وبهذا تتجلى سنة الله في الابتلاء ، فبالرغم من أن هؤلاء أنبياء الله أجلّ الناس تقوى ، وأعظمهم إيماناً ، إلا أنهم معرضون لألوان من الابتلاءات والمحن ، فلنا في حسن صبرهم وجميل تحملهم قدوة حسنة ، ودروس وعظة " بما يدعم في النفس أثر الاحتمال في سبيل الإيمان والذياد عن العقيدة "[(٤)] .

ثم تذكر الآيات عاداً وثمود واغترارهم بالقوة ، وكفرهم بالنعمة ، كما تذكر قارون وفرعون وهامان نماذج للطغيان بالمال ، واشتداد الحكم والتمرد على حكم الله[(٥)] .

وبعد الاستعراض لمحنة الأنبياء مع أقوامهم المكذبة لهم والمعادية لربها ، ضرب البيان القرآني هذا المثل : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون اللهِ أولَيَاء كَمَثَل الْعَنكَبوت اتخَذَت بَيتاً وَإن أوهَنَ الْبيوت لَبَيت الْعَنكَبوت لَو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾ [(٦)]، فصور حالهم عند لجوئهم إلى غير الله بحال العنكبوت في

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢٧) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢٩) .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٣٧) .

(٤) نظرة العجلان في أغراض القرآن ، ص١١٥ .

(٥) ينظر : أهداف كل سورة ومقاصدها ، د. عبد الله شحاتة ، ج١ ، ص٢٨٥ ، بتصرف .

(٦) سورة العنكبوت : الآية (٤١) .

احتمائها ببيتها الضعيف الواهي .

ويربط السياق القرآني بين الحق الذي جاءت به تلك الرسالات ، وبين الحق الكامن في القوة المبدعة في خلق السموات والأرض ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [1] .

ويختم آيات هذا الغرض بأمر الله لنبيه ﷺ بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائع الإسلام : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [2] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤٤) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٥) .

الغرض الثالث : التقاء الحق الذي جاء في هذا الكتاب مع الحق الذي قامت عليه السموات والأرض :

بدأ هذا الغرض من قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [(١)]، إلى آخر السورة عند قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [(٢)].

يتناول هذا الغرض الحسنى عند مجادلة أهل الكتاب ، إلا الذين ظلموا منهم ، وتأكيد نزول القرآن وحياً من الله إلى نبيه محمد ﷺ ، وإقرار وحدانيته سبحانه وتعالى ، ثم يختم الغرض بالبشرى لمن أحسن في تقبل البلاء و مجاهدة النفس .

لما وضح سبحانه وتعالى طريقة إرشاد المشركين وفوز من انتفع وخسران من امتنع ، بين طريقة إرشاد أهل الكتاب - اليهود والنصارى -[(٣)] في قوله : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [(٤)]، كما أن الآية تؤكد على أن جميع الرسالات من عهد نوح ومن جاء بعده إلى عهد نبينا محمد ﷺ كانت موجهة إلى إخلاص العبادة لله ، وبهذا تلتحم نهاية الغرض الثاني الذي تحدث عن آخر الكتب السماوية - القرآن - وعلاقته بالكتب السماوية السابقة ، فأوصى مع بداية الغرض الثالث بأهل الكتاب خيراً ؛ لأنهم آمنوا بوجود الله ووحدانيته ، إلا أن لديهم بعض المخالفات الدينية التي يجب دعوتهم إلى تركها بالحسنى : ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ ، فازدادوا إنكاراً ومعاداة لأهل الدعوة ، فعلى هذا تكون مجادلتهم بالشدة والمبالغة " بتهجين المذهب وتوهين الشبه "[(٥)]، والبعض يرى أن المجادلة

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤٤) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٦٦ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٤٦) .

(٥) نفس المصدر السابق (بتصرف) .

المعنى اللغوي للمجادلة : جادله أي خاصمه ، والجَدل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ، وفي الحديث ما أُتي الجَدلُ قومٌ إلا ضلّوا والمراد الجَدلُ على الباطل وطلب المغالبة به لإظهار الحق فإن ذلك محمود ؛ لقوله ﷻ : ﴿ وجادلْهم بِالتي هـي أحسن ﴾ ، بتصرف من لسان العرب ، لابن منظور ، ج٣ ، ص٩٩ ، حرف (ج) ، مادة (جدل) .

هنا تكون بالسيف ، نحو ما ذهب إليه صاحب الكشاف بقوله " فإن أولئك مجادلتهم بالسيف "[1]. ولي تحفظ على هذا الرأي ؛ لأن فيه شيئاً من المبالغة ، ويتجلى مقصود السورة عند النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ؛ لأن في ذلك دعوة إلى الاجتهاد في أمر أهل الكتاب بالمعروف ونهيهم عن المنكر دون فتر .

وتستطرد الآيات في عرض صور من المحن والابتلاءات ، فهذا نبي الله الصادق الأمين يلقى من المشركين المعاندين التكذيب والجحود لحقيقة نزول القرآن وإنه من كلامه ، حتى يأتي الوحي القرآني بتكذيبهم وتبرئته بتأكيد صدقه - عليه أفضل الصلاة والسلام - في أنّ القرآن من كلام الله : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ** ﴾[2]، فكيف يكون لرجل لا يقرأ ولا يكتب أن يحبك كتاباً كهذا ؛ تعلو بلاغته كل بيان ، ويبهر تناسب معانيه وأمثاله كلّ متأمل للقرآن ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ** ﴾[3]، وفي هذا تأكيدٌ على أن سنة الابتلاء ماضيةٌ حتى على سيد الخلق ورسول الأمة محمد بن عبد الله .

وتشير الآيات إلى نوع آخر من الابتلاء ، وهو استهزاء المشركين باستعجالهم العذاب : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[4]. ثم يأتيهم الرد من الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾[5]، ﴿ **يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[6].

ولما كان هذا هو موقف كفار قريش من الإسلام وقرآنه ، فكيف إذن سيكون موقفهم ممن آمن به واتبع سلطانه ؟ سيلقى منهم العذاب والتنكيل والإرغام على ترك الدين ؛ مما أخاف القلوب المؤمنة على دينها وكيف يكون الحفاظ عليه ، حتى أتاها الفرج الإلهي بالهجرة والفرار بالدين : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ**

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، ج٣ ، ص٤٦١ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٧) .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤٨) .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٥٣) .

(٥) سورة العنكبوت : الآية (٥٤) .

(٦) سورة العنكبوت : الآية (٥٥) .

آمنوا إن أرضي وَاسعَةٌ فَإيايَ فَاعبدون ﴾ [1]، لمسة ربانية حانية تعلم أن ترك بلاد المنشأ والمربى ليس بالأمر الهين على أصحابه ، كذلك ما يهدد هذا الخروج من خطر الموت ، فناداهم الله سبحانه وتعالى بنسبتهم إليه وحثّهم على الهجرة إلى بر الأمان والاطمئنان في العبادة إلى المدينة المنورة ، وأما أمر الموت فإن ﴿ **كُل نَفْس ذَائقَةُ المَوت ثُم إليْنَا ترجَعونَ** ﴾ [2]، فإليه هاجروا ، وإليه المرجع والمآب .

ثم يبشرهم الله بجزاء صبرهم وقوة تحملهم لمحنتهم ومبتلاهم بـ ﴿ **الْجَنة غُرَفاً تَجري من تَحتهَا الأنهَار خَالدينَ فيهَا نِعمَ أجر الْعَاملينَ ۞ الذينَ صَبَروا وَعَلَى رَبهم يَتَوَكلُونَ** ﴾ [3]؛ ليزدادوا بذلك ثباتاً وتمسكاً بدينهم الذي ارتضوه لأنفسهم . وتظهر هنا سنة من سنن الله في الابتلاء بحثّ المؤمن على الصبر والاحتساب في سبيل البقاء على الدين ، وذلك بالهجرة إلى المكان الآمن للعبادة .

ثم تشير الآيات إلى تيقظ الفطرة لدى أهل الكفر حينما يلحق بهم خطر : ﴿ **فَإذَا رَكبوا في الفُلْك دَعَوا اللهَ مخلصينَ له الدينَ فَلما نَجاهم إلى البر إذَا هم يشركُونَ** ﴾ [4]، ثم امتنان الله عليهم بالأمن الذي ينعمون به في الحرم ، فقال سبحانه : ﴿ **أَولَم يَروا أنا جَعَلْنا حَرَماً آمناً وَيتَخَطف الناس من حَولهم أفَبِالْبَاطلِ يؤمنونَ وَبِنِعمَة الله يَكْفُرونَ** ﴾ [5].

وبعد استعراضٍ طويل بدا فيه تألق قوة المؤمن في ثباته على دينه رغم كلّ الصعوبات والفتن ، وخسران الكافر إثر تبجحه ورفضه لدعوة ربه ، تأتي الآيات لتؤكد الحقيقة الحتمية بأن الآخرة هي الحياة الباقية لكلا الطرفين ، وأما الدنيا فما هي إلا دار عمل ، من أفناها في اللهو واللعب فقد خسر الآخرة ونعيمها ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا هَذه الْحَيَاةُ الدنيَا إلاّ لَهو وَلَعب وَإن الدارَ الآخرَةَ لَهيَ الْحَيَوَانُ لَو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾ [6]، وأما من استثمرها وعمل بمقتضى أوامر ربه فجاهد النفس عن الانزلاق في مغرياتها فقد غنم وفاز بحياة لا موت فيها : ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا فينَا لَنهديَنهم سبلَنَا وَإن**

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٦) .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥٧) .
(٣) سورة العنكبوت : الآيتان (٥٨-٥٩) .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٦٥) .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (٦٧) .
(٦) سورة العنكبوت : الآية (٦٤) .

اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [1].

❒ ❒ ❒

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .

الفصل الثالث

وجوه النظم والتناسب في بناء الجملة

الفصل الثالث

وجوه النظم والتناسب في بناء الجملة

من الأساليب البلاغية الإنشاء الطلبي ، ومن أنواعه :

أولاً : الاستفهام :

يخرج الاستفهام إلى معان كثيرة ، يتناسب كل معنى مع المقام الذي جاء فيه ، ولا يمكننا الإحاطة بها ؛ لتباينها بين الوضوح والخفاء ، فتراها أحياناً " تجري في النفس جرياناً خفياً تحسها ، ولا تستطيع وصفها "[(١)] ، وقد يكون للاستفهام الواحد أكثر من معنى ، ويقرر البلاغيون أن النكات البلاغية لا تتزاحم .

ومن المعاني التي يخرج إليها الاستفهام : الاستبطاء ، التنبيه ، الوعيد ، والتخويف ، التعجب ، التهكم ، التقرير ، الإنكار ، وغير ذلك[(٢)] ..

● الموضع الأول :

ومع بداية سورة العنكبوت يجيء قوله تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقُولُوا آمَنا وَهم لاَ يفْتَنونَ** ﴾[(٣)] .

بهذا يفهم أن توجه السورة هو إثبات افتتان المؤمن وابتلاؤه في أي زمانٍ ومكـان ؛ وذلـك لتمحيص درجة الإيمان ، إلا أنّ البعض يظن أنّ إيمانه غير معرض لأي اختبار أو امتحان ، فناسـب سياق الآية مجيء الأسلوب الاستفهامي لـ" إنكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق أنـه تعـالى يمتحنهم "[(٤)] .

موضع الاستفهام : ﴿ **أَحَسِبَ الناس** ﴾ دخلت الهمزة الاستفهامية على الفعل (حسب) ، وهو المراد بالاستفهام ، ولا يصح تعليقه بالمفردات ، وإنما يعلق بمضامين الجمل ، فالمفعول الأول (أن يتركوا) ،

---

(١) دلالات التراكيب ، الدكتور : محمد محمد أبو موسى ، الناشر : مكتبة وهبة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، ص٢١٦ .

(٢) ينظر : شروح التلخيص ، لسعد الدين التفتازاني ، وابن يعقوب المغربي ، وبهاء الدين السبكي ، وفي الهامش : كتاب الإيضاح للخطيب القزويني ، وحاشية الدسوقي على شرح السعد ، الناشر : دار الإرشاد الإسلامي ، بيروت ، د.ط ، ، ج٢ ، ص٢٩٠ إلى ٣٠٧ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ، وهو محمد بن محمد العمادي ، الناشر : دار الفكر ، د.ط ، ج٤ ، ص٢٤٩ .

والمفعول الثاني (أن يقولوا)[1] ، أي : (بنوع تصرف) ، كما نبه إلى ذلك أبو السعود ، حيث قال : إن المفعولين يتحصلان " إما بالفعل - كما في عامة المواقع - ، وإما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بـ (أن) ، والواقعة صلة للموصول الاسمي أو الحرفي . فإن كلا منها صالحة لأن يسبك منها مفعولاه ؛ لأنّ قوله تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ الناس أَن يتركُوا أَن يَقُولُوا آمَنا وَهم لاَ يفْتَنونَ** ﴾ [2] ، في قوة أن يقال : (أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا آمنا) ، أو أن يقال : (أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلاً متحققاً) "[3] ، ولقد أجمع أغلب المفسرين على أنه استفهام إنكاري لمفهوم الناس للإيمان وحسبانهم بأنه كلمة تقال باللسان دون برهان الأفعال ، بدءاً بالزمخشري ، وإن كان لم يذكره صراحة ، وإنما فهم من فحوى كلامه في الآية ، حيث قال : " والمعنى : أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم ، وأظهروا القول بالإيمان ، أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين "[4] ؟. ومروراً بالبقاعي الذي يقول : " المراد إنكار حسبان مطلق الترك "[5] ، ثم يأتي البيضاوي ، فأبو السعود الذي جمع في حديثه بين ما قاله الزمخشري والبيضاوي ، وكذلك الألوسي قال بالإنكار ، وضمن حديثه شيئاً من عبارات أبي السعود[6] ، حتى نصل إلى سيد قطب الذي قال : " إنه الإيقاع الأول في هذا المقطع القوي من السورة ، يساق في صورة استفهام استنكاري لمفهوم الناس للإيمان ، وحسبانهم أنه كلمة تقال باللسان "[7] . أما الشوكاني فقد قال بأن الاستفهام للتقريع والتوبيخ . والظاهر لي أنّ هذه المعاني تابعة للإنكار ومتولدة عنه[8] .

وأتفق مع أئِمة المفسرين في كون الاستفهام إنكاريا ، وقد ناسب التعبير عنه

---

(١) ينظر : الزمخشري في الكشاف ، ج٣ ، ص٤٢٤ . ونقل عنه محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي في البحر المحيط ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، علي معوض ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ج٧ ، ص١٣٥ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٤٩ .

(٤) الكشاف ، ج٣ ، ص٤٤٢ .

(٥) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٤ .

(٦) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ج٤ ، ص٣٠٧ ، وأبو السعود ، ج٤ ، ص٢٤٩ ، والألوسي ، ج٢٠ ، ص١٣٢ .

(٧) في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧١٩ . كذلك قال بالإنكار : الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي في تفسيره : تفسير القرآن العظيم ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ ، د.ط ، ج٣ ، ص٤٠٥ ، وأضواء البيان ، لمحمد الأمين محمد بن مختار الشنقيطي ، المحقق : مكتب البحوث والدراسات ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، د.ط ، ج٦ ، ص155 ، التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

(٨) ينظر : فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، د.ط ، ج٤ ، ص١٩٢ .

بالماضي ؛ لأن الحسبان الذي سُلط عليه الإنكار واقع محقق[١]، ويتبعه عدة معانٍ ؛ فطبيعة الأساليب الاستفهامية تستدعي أن يتبعها عدة معانٍ خفية يحاول العقل تصوير بعضها وملامستها ، إلا أنها تظل أوصافاً ناقصة لا نستطيع استقراء جميع جوانبها[٢].

● **الموضع الثاني :**

قال الحكم العدل : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئات أن يَسبِقُونَا سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾[٣].

وفي تناسب شديد الارتباط بين آيات الذكر الحكيم تأتي هذه الآية بعد أن أوضحت سابقتها خطأ ظن بعض المؤمنين بأنّ إيمانهم سيكسبهم حصانة من نفاذ أحكام الله عليهم في الابتلاء والاختبار ، فجاءت - هذه الآية - لتوضيح خطأ آخر يتعلق بفاتني المؤمنين ، فقد حملتهم نشوة القوة الصورية على إلحاق الأذى بالمؤمنين ، وظنهم أنهم سيفلتون من العذاب ، فنبهت الآية إلى وعيدهم بعقاب الله الذي لا يفلت منه كافر مهما بلغت قوته أو منزلته .

موضع الاستفهام : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئات** ﴾ استفهام إنكاري بإجماع أهل العلم من المفسرين . قال أبو حيان " وهمزة الاستفهام والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ والإنكار ، فلا يقتضي جواباً ؛ لأنه في معنى (كيف وقع حسبان ذلك ؟) "(٤)، ثم جاء الألوسي موضحاً لمجيء الاستفهام الإنكاري بقوله : " والظاهر أنّ (أم) منقطعة ، بمعنى بل التي للإضراب بمعنى الانتقال من إنكار حسبان عدم الفتن لمجرد الإيمان إلى إنكار حسبان عدم المجازاة على عمل السيئات "(٥)، حتى نصل إلى الطاهر بن عاشور الذي أكد على ما ذكره سابقوه من أن " (أم) للإضراب الانتقالي ، ويقدر بعدها استفهام إنكاري"(٦).

إذن (أم حسب) استفهام إنكاري ، حيث إنّ (أم) بمعنى (بل) التي للإضراب الانتقالي من إنكار المؤمنين لعدم افتتانهم لمجرد قولهم آمنا إلى إنكار حسبان المسيئين عدم مجازاتهم على سيئاتهم ، ويحمل معنى التقريع والتوبيخ ، وكذلك الوعيد للكافرين المكذبين من أهل مكة ، وإن أمهلهم الله فلن يهملهم ، فهو عزيز ذو انتقام .

---

(١) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ، للدكتور : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ١٩٩٩م ، ج٣ ، ص٢١٩ .

(٢) ينظر : دلالات التراكيب ، الدكتور : أبو موسى ، ص٢١٨ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤) .

(٤) البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٣٦ .

(٥) روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٣٦ .

(٦) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٦ . وكذلك قال بالإنكار : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٦ ، البيضاوي في تفسيره ، ج٤ ، ص٣٠٨ ، أبو السعود في تفسيره ، ج٤ ، ص٢٥٠ ، سيد قطب في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص٢٧٢١ .

وهكذا يتوالى هذا الاستفهام ليضيف إنكاراً آخر إلى الإنكار الأول ، فبدا في النظم تناسب المعاني ، وأخذ بعضها بحجز بعض .

● **الموضع الثالث :**

قال العليم الخبير في حال المنافقين : ﴿ **وَمِنَ الناسِ مَن يَقُولُ آمَنا بِالله فَإِذَا أُوذِيَ في الله جَعَلَ فِتْنَةَ الناسِ كَعَذَابِ الله وَلَئِن جَاء نَصر من ربكَ لَيَقُولُن إِنا كُنا مَعَكُم أَوَلَيسَ الله بِأَعلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ** ﴾[(١)] .

تمتد حلقات التناسب بين الآيات من خلال استمرار ذكر سنة الله في الابتلاء ، فبعد أن تعرفنا على المؤمن الحق ، والكافر المجاهر ، تصادفنا فئة ثالثة أظهرت الإيمان وأبطنت الكفر نفاقاً وضعفاً ، وقد غاب عن أذهانهم أن الله محيط علماً بكل شيء[(٢)]؛ وبهذا ناسب مجيء الأسلوب الاستفهامي لتأكيد علم الله بحقيقة ما تخفيه القلوب .

موضع الاستفهام : ﴿ **أَوَلَيسَ الله بِأَعلَمَ** ﴾ لم تأت تعقيبات كثير من الأئمة المفسرين للتصريح بنوع هذا الاستفهام ، إلا أن تعليقات بعضهم كانت تشير إلى الاستفهام التقريري .

لقد تحدث الرازي عن هذه الآية ، وظهر لي من حديثه ما يوحي بالتقرير ، حيث قال : " التلبيس إنما يكون عندما يخالف القول القلب ، فالسامع يبني الأمر على قوله ولا يدري ما في قلبه ، فيلتبس الأمـر عليه ، وأما الله تعالى فهو عليم بذات الصدور ، وهو أعلم بما في صدر الإنسان من الإنسان ، فلا يلتبس عليه الأمر ، وهذا إشارة إلى أن الاعتبار بما في القلب "[(٣)] .

وممن صرح بالتقرير : أبو حيان في قوله : " وهذا استفهام معناه التقرير ، أي قد علم ما انطـوت عليه الضمائر من خير وشر "[(٤)] .

وكذلك فهمت من تقدير الألوسي للمعطوف عليه أولاً جعله للاستفهام الإنكاري ، وأما التقدير الثاني جعله للتقرير ، فيقول : " وهو في الظاهر عطف على مقدر ، أي : أيخفى حالهم وليس ... إلخ ، أو أليس المتفرسون الذين ينظرون بنور الله تعالى بأحوالهم عالمين وليس ... إلخ "[(٥)] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٠) .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٣٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص٣٦ .

(٤) البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٣٩ .

(٥) روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٤٠ ، وينظر كذلك : في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٢٤ ، جاء في كلامه مـا يـوحي بالتقرير .

أما البقاعي فيقول : " ولما كان التقدير : أليس أولياؤنا المتفرسون بأحوالهم عالمين ؟ عطف عليه منكراً قوله : (أوليس الله) المحيط بعلم الباطن كما هو محيط بعلم الظاهر "[1]؛ فيفهم من كلامه أن الجملة المعطوف عليها المحذوفة : (أليس أولياؤنا ..) هي محل الاستفهام ، فيكون تقريرياً ، ومحل الإنكار الجملة المعطوفة : ﴿ **أَوَلَيسَ اللَّهُ بِأَعلَمَ** ﴾ .

وردد الطاهر بن عاشور الاستفهام بين الإنكار والتقرير مقدماً في ذلك الأول ، وجاعلاً الواو اعتراضية وليست عاطفة ، وجملة ﴿ **أَوَلَيسَ الله بِأَعلَمَ بِمَا في صدورِ الْعَالَمِينَ** ﴾ تذييل ، فبعد أن كشف ما تخفيه سرائرهم أورد الاستفهام تأكيداً على شمول علمه سبحانه وتعالى ، بينما سلط الإنكار على قول المنافقين (آمنا بالله) و (إنا كنا معكم) وهم كاذبون يخفون خلاف ما يبطنون[2] ، كما يقول : " ويجوز أن يكون الاستفهام تقريرياً ، وجه الله به الخطاب للنبي ﷺ في صورة التقرير بما أنعم الله به عليه من إنبائه بأحوال الملتبسين بالنفاق "[3] .

والخلاصة أن همزة الاستفهام دخلت على مقدر (أيخفى حالهم) ، ثم عطف عليه ﴿ **أَوَلَيسَ الله بِأَعلَمَ بِمَا في صدورِ الْعَالَمِينَ** ﴾ ، فيكون الاستفهام بدلالة النظم والمقام للإنكار ، وتأكيد علم الله الشامل لأسرار القلوب ، فهو أعلم بها من أصحابها . كما أنها حقيقة أدركتها عقولهم ، فلا يستطيعون إنكارها .

● الموضع الرابع :

وفي سياق الحديث عن قصة إبراهيم ﷺ يأتي قول القوي المقتدر : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوا كَيفَ يبدئ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُم يعيده إن ذَلكَ عَلَى اللهِ يَسِير** ﴾[4] .

ولما كان موقف قوم سيدنا إبراهيم كسابقيهم من الأقوام التكذيب بما جاء به الرسل لقوله سبحانه : ﴿ **وَإِن تكَذبوا فَقَد كَذبَ أُمم من قَبلكُم وَمَا عَلَى الرسولِ إلا الْبَلاغُ الْمبِين** ﴾[5] ، سيق الأسلوب

---

(١) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤١ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٧ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (١٩) .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (١٨) .

الاستفهامي - في تناسب بلاغي - للاحتجاج ولفت الأنظار إلى عظيم قدرة الله وبديع صنعه في نشأة الخلق ثم إعادة خلقهم .

موضع الاستفهام : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوا كَيفَ يبدئ** ﴾ ولكن قبل الشروع في تفاصيل الاستفهام أريد أن أشير إلى ما ذكرته التفاسير في قوله (أولم يروا) أنها جاءت على قراءتين[1]؛ الأولى : قراءة الجمهور : (أولم يروا) بياء الغيبة ، فيكون التفاتاً من الخطاب في قوله (وإن تكذبوا) إلى الغيبة ؛ إعراضاً للإيذان بالغضب ، ولإبعادهم عن شرف الحضور[2]، أما الثانية : فقراءة حمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم بالفوقية : (أولم تروا) للخطاب تشديداً للإنكار وتأكيده[3] .

انقسم المفسرون في توجيه معنى الاستفهام بين التقرير والإنكار ، فالقائلون بالتقرير هم الرازي ، وإن كان لم يصرح بالتقرير ، إلا أنه ظهر لي من كلامه أنه يقصده ؛ لقوله : " أولم يروا : أي ألم يعلموا علماً ظاهراً واضحاً كيف يبدئ الله الخلق يخلقه من تراب يجمعه "[4] ؟ كما أنه يشير إلى أن المراد من الرؤية في الآية : العلم الواضح الذي كالرؤية .

ثم يأتي أبو حيان مصرحاً بالاستفهام التقريري ، حيث قال : " وتقريرهم على بدء الخلق في قوله : (أولم يروا) وفي (فانظروا كيف بدأ الخلق) إنما هو لمشاهدة إحياء الأرض بالنبات ، وإخراج أشياء من العدم إلى الوجود "[5]، كذلك فُهم من كلام سيد قطب معنى التقرير ، فبعد حديثه عن الآية قال : " وهم يرون ولا يملكون الإنكار "[6].

وأخيراً يأتي المطعني في التفسير البلاغي للاستفهام قائلاً بالتقرير ، وجاعلاً الإنكار تابعاً له ومتولداً عنه ، أي " يقررهم الله تعالى برؤيتهم لما ذكر ، ثم ينكر عليهم عدم جريهم على موجب علمهم "[7].

---

(١) ينظر : الزمخشري في الكشاف ، ج٣ ، ص٤٥٢ ، وأبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤١ ، والبقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٧ ، البيضاوي ، ج٤ ، ص٣١١ ، وأبو السعود ، ج٤ ، ص٢٥٥ ، والشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص١٩٧ ، والألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٤٦ ، وابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٧ .

(٢) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٧ ، وابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٧ .

(٣) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٥ . وينقل الألوسي عبارته بتمامها في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٤٥ .

(٤) الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٤١ .

(٥) البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٢ .

(٦) في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٢٩ .

(٧) ج٣ ، ص٢٢٥ .

أما من قال بالإنكار فالبقاعي ، حيث يقول : " لما كان التقدير : ألم تروا إلى مصارعهم ، واتساق الحال في أمرهم ؟ فيكفيكم ذلك زاجراً ، عطف عليه للدلالة على الرجوع إليه منكراً قوله : (أولم يروا) بالخطاب "(١).

ثم يأتي أبو السعود مصرحاً بالإنكار بحسب مراعاة المعطوف عليه المقدر ، وإن كان تفسيره للآية يدل على التقرير بحسب المعنى الذي تؤول إليه الجملة ، فيقول : " الهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها ، والواو للعطف على مقدر ، أي : ألم ينظروا ولم يعلموا علماً جارٍ مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداءً من مادة ومن غير مادة ؟ أي : قد علموا ذلك "(٢).

ويصرح الشوكاني أن الهمزة للإنكار ، والواو للعطف على مقدم - لم يذكره -(٣).

ثم يأتي ابن عاشور ، والذي رأى بأن الإنكار تنزيلي ، حيث قال : " والهمزة للاستفهام الإنكاري عن عدم الرؤية ، نزلوا منزلة من لم ير ، فأنكر عليهم "(٤).

وأخيراً يؤكد د. أحمد القطان في دراسة له لسورة العنكبوت أنّ الاستفهام إنكاري(٥).

وبعد النظر إلى نظم الآية وسياقها ، واستعراض أقوال بعض المفسرين والباحثين ، ارتضيت القول بأنّ مفهوم الكلام ومضمونه من حيث إن الإنكار نفي ، وقد دخل الاستفهام الإنكاري على جملة منفية ، ونفي النفي إثبات ؛ فيكون تقريرياً .

لكن وجود حرف العطف (الواو) بعد الهمزة يجعل الاستفهام موجهاً إلى معطوف عليه محذوف ، وتقدير الكلام : (أَغَفلوا ولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) ؟. يرجح أنّ الاستفهام للإنكار ؛ لأن المنكر عليهم هو عدم الاعتبار بالمشاهدة(٦).

- الموضع الخامس :

---

(١) في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٧ .
(٢) تفسيره ، ج٤ ، ص٢٥٤ .
(٣) ينظر : فتح القدير ، ج٤ ، ص١٩٧ .
(٤) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٨ .
(٥) ينظر : كتابه المذكور ، ص٦٤ .
(٦) يمكن الاستفادة مما جاء عند الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز عند حديثه عن الاستفهام التقريري ، ص١١٣ .

قال المولى في قصة لوط حكايةً عما خاطب به لوطٌ عليه السلام قومه : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم المنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنتَ مِنَ الصادقِينَ** ﴾ [1] .

جيء بهذه الآية في سياق الحديث عن ابتلاء الأنبياء بأقوامهم ، ومنهم لوط ﷺ ، فلم يتوقف أمرهم عند تكذيبهم ؛ بل تعداه إلى اقترافهم لأعظم الآثام وأفظعها ، فناسب بهذا قدوم الاستفهام الإنكاري توبيخاً لهم على ارتكاب الفواحش ، وكأنهم لا يرون فيما يفعلونه منكراً .

موضع الاستفهام : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ** ﴾ ، ذهب المفسرون إلى حمل المعنى الذي يخرج إليه الاستفهام على الإنكار ، فبعد أن استعرض أبو حيان لأنواع القراءات الواردة في (إنكم لتأتون الفاحشة) ، ذكر أن الاستفهام في ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ** ﴾ للإنكار والتوبيخ والتقريع[2] .

ثم يأتي البقاعي مؤكداً على معنى الإنكار في قوله : " ثم كرر الإنكار لتجاوز قبحها الذي ينكرونه ، فقال : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ** ﴾ "[3] . ولما فرغ الشوكاني من تفسيره لمعنى الآية : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ** ﴾ وشرع في التي بعدها ، قال : " ولما أنكر لوط عليهم ما كانوا يفعلونه ، أجابوا بما حكى الله عنهم بقوله : ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ** ﴾ "[4] ، ففهم من قوله أنه يقول بالإنكار .

بعد النظر في سياق الآية وأقوال المفسرين ، يمكن القول بأن الغرض من الاستفهام إنكار الواقع المشين الذي كان عليه قوم لوط ﷺ ؛ وذلك لارتكابهم الفواحش على مرأى من الناس دون إنكارٍ لبشاعة ما يفعلون . ويتبع هذا الإنكار ويعززه معان أخرى ، منها : التوبيخ ، والزجر ، والاستقذار[5] .

---

(1) سورة العنكبوت : الآية (٢٩) .

(2) ينظر : البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٥ . وكذلك ابن كثير قال بالإنكار في تفسيره ، ج٣ ، ص٤١٢ .

(3) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٥٤ .

(4) فتح القدير ، ج٤ ، ص٢٠١ ، وكذلك يقول بالإنكار الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٥٣ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٠ .

(5) ينظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، ج٧ ، ص١٤٥ ، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، د. عبد العظيم المطعني ، ج٣ ، ص٢٢٧ .

وأسهم التعريف في (الرجال ، والمنكر ، والسبيل) في شناعة جرمهم ، والتعريف في الرجال للعهد ؛ لأن المراد بالرجال : الرجال المعهودون بكمال رجولتهم ، بدليل ما جاء في آية أخرى : ﴿ **أَتأتونَ الذكْرَانَ مِنَ العَالَمينَ** ﴾ [1]. وكذلك التعريف في (المنكر ، والسبيل) هو أيضاً للعهد ؛ لأن معنى المنكر الحديث في هذه الفاحشة في ناديهم ، والسبيل سبيل النسل[2] ، أو الطريق الذي يسلكه المارة بالتصدي لهم[3] .

● **الموضع السادس :**

قال الرحمن الرحيم : ﴿ **أَوَلَم يَكْفهم أنا أنزَلْنا عَليكَ الكتَابَ يتلى عَليهم إن في ذَلكَ لَرَحمَةً وَذكْرَى لقَومٍ يؤمنونَ** ﴾ [4] .

حينما توالى إلحاح المشركين على النبي ﷺ بالإتيان بمعجزة ، متجاهلين هذا الإعجاز العظيم من الذكر الحكيم المنزل من رب العالمين ، وذلك عند قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَولاَ أُنزلَ عَليه آيات من ربه قُلْ إنمَا الآيات عندَ اللهِ وَإنمَا أنا نَذير مبين** ﴾ [5]؛ ناسب قدوم الأسلوب الاستفهامي الذي يستنكر عدم اعترافهم بإعجاز القرآن ، وهو بين أسماعهم وأبصارهم .

موضع الاستفهام : ﴿ **أَوَلَم يَكْفهم** ﴾ ، أغلب المفسرين حمل الاستفهام على الإنكار بدأً بالبقاعي الذي قدر المعطوف عليه في قوله : " ألم يكفهم ما جئتهم به من الآيات المرئيات والمسموعات ، وعجزوا عن الإتيان بشيء منها ، عطف على ذلك قوله - منكراً على جهلهم وعنادهم - : ﴿ **أَوَلَم يَكْفهم** ﴾ "[6] .

ثم الإمام أبو السعود يقول : " ﴿ **أَوَلَم يَكْفهم** ﴾ كلام مستأنف وارد من جهته تعالى رداً على اقتراحهم وبياناً لبطلانه ، الهمزة للإنكار والنفي ، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام ، أي أقصر

---

(١) سورة الشعراء : الآية (١٦٥) .

(٢) ينظر : البيضاوي ، ج٤ ، ص٣١٤ ، و الألوسي ، ج٢٠ ، ص١٥٣ .

(٣) ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٠ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٥١) .

(5) سورة العنكبوت : الآية (٥٠) .

(٦) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٦٨ .

ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات "[1]، سلّط الإنكار على ادعاء المشركين في كون القرآن غير كاف كمعجزة .

وعطف ابن عاشور ﴿ أولم يكْفهم ﴾ على جملة قوله تعالى : ﴿ قُلْ إنما الآيـات عنـد اللهِ ﴾ ، وسلط الإنكار على عدم اكتفائهم بالقرآن في باب الإعجاز ، ورأى بالإضافة للإنكار معنى التعجب[2] .

ويذهب المطعني في تفسيره إلى الجزم بالتقرير ، وأما الإنكار إذا كان لا بد منه فهو رديف للتقرير ، فيقول : " نجزم بأنّ الاستفهام في الآية للتقرير ؛ لاقتضاء المقام إياه ، وليس في نظم الصورة الاستفهامية ما يمنع من إرادة التقريـر ، وإن كـان لا بـد مـن ملاحظـة معـنى الإنكـار ، فإنـه يكـون رديفاً للتقرير وليس أصلاً دلالياً ؛ لأن الله قررهم بدلالة القرآن في باب المعجزة ، ثم أنكر عليهم عـدم الاعتداد به"[3]، ولقد ذكر رأيه هذا بعد أن استعرض قول أبي السعود والطاهر بن عاشـور ، فـأظهر رضاه عن أبي السعود ، وبرر اختياره لمعنى الإنكار ، لكنه أجحف القول على ابن عاشور ، حيث قال : إنه جعل المعطوف عليه ﴿ وإنما أنا نذيرٌ مبينٌ ﴾ ، إلا أنني وجدت المعطوف عليه عنده - كما ذكـرت سابقاً - ﴿ قُلْ إنما الآيات عند اللهِ ﴾ ، ولم يتوقف المطعني إلى هنا ، بل ويرى أن الإنكار عنـد ابـن عاشور " يلزم عليه أن القرآن - فعلاً - لا دلالة فيه على المعجزة "[4]، إلا أنه عند قراءتي لما قاله ابـن عاشور وجدت خلاف ذلك ، فهو - أي ابن عاشور - يؤكد على أنه يحصل من القرآن ما يعادل ألفي معجزة ، حيث يقول : " وهل لا يكفيهم من الآيات آيات القرآن ، فإن كل مقدار من المقادير إعجازه آية على صدق الرسول ﷺ ، فإن آيات القرآن زهاء ستة آلاف آية ، ومقدار كل ثلاث آيات مقـدار معجزة ، فيحصل من القرآن مقدار ألفي معجزة ، وذلك لم يحصل لأحد من رسل الله "[5]، ثم يـذكر خمس مزايا للقرآن يفوق على غيره من المعجزات ، فكيف يقال بعد هذا كلّه أنه لا يـرى أنّ القـرآن يدخل في باب الإعجاز ؟!.

إذن الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أولم يكْفهم ﴾ إنكاري ، حيث دخلت همزة الاستفهام علـى

---

(١) تفسيره ، ج٤ ، ص٢٦٣ ، وتبعه الألوسي في روح المعاني ، فذكر عبارته بتمامها ، ج٢١ ، ص٦ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٤ . وهناك غيرهم من المفسرين ذكر معنى الإنكار ، وإن كانوا لم يصـرحوا بـه ، إلا أنه فهم من جملة تفسيرهم . ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٦٩ ، أبو حيـان ، ج٧ ، ص١٥٢ ، الشـوكاني ، ج٤ ، ص٢٠٨ . سيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٤٧ .

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، لعبد العظيم إبراهيم المطعني ، ج٣ ، ص٢٣١ .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٤ .

مقدر (أقصر القرآن) ولم يكفهم ما حواه من الآيات المعجزات ؟ أي أولم يكفهـم القـرآن معجـزة عجزت بلاغتهم أن تأتي بمثله ولو آية ؟ كما أن الاستفهام يحمل معنى التعجب من طلبـهم للمعجـزة وإعجاز القرآن بين أيديهم . وعبر عن كفاية القرآن بالمضارع للدلالة على الاستمرار وتجدد كفايتـه الصالحة لكلّ مكان وزمان .

﴿ إنا أنزلْنا علَيْك الْكتاب ﴾ وأعقب الاستفهام الإنكاري ذكر فاعل الفعل (أنزلنـا) والضـمير المتصل بأن (نا) ، وهو في الحالين ضمير المعظم نفسه ، وهو الله بما له من العظمة والكبريـاء ، ولـرد إنكارهم أكّد الجملة بـ (أن واسمية الجملة)[1] ، وتقريراً لنزول القرآن منه سبحانه وتعالى .

﴿ **يتلَى عَلَيهم** ﴾ عبر بالفعل المضارع ليدلّ على أن القرآن " تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان ، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحلّ "(٢).

﴿ **إن في ذَلكَ لَرَحمَةً وَذكْرَى** ﴾ تقريراً لتلك الحقيقة العظيمة المحكي عنها في الآية عبر بأسلوب عظيم يناسبها ، وهو التوكيد بـ (إن واسمية الجملة ولام الابتداء) ، وتنبيهاً على جهلهم فيما لزم كلامهم من الإنكار(٣). ولمنزلة إنزال القرآن الرفيعة جاء التعريف باسم الإشارة (ذلك) للبعيد ، وتتحد روعة البلاغة عند تتابع أساليبها في تناسب تركيبي بديع ، فتختم الآية بتنكير (رحمة وذكرى) تعظيماً وتفخيماً(٤).

- **الموضع السابع :**

وفي حال المشركين من أهل مكة قال الخالق المدبر : ﴿ **وَلَئن سَأَلْتَهم من خَلَقَ السمَاوَات وَالأَرضَ وَسَخرَ الشمسَ وَالْقَمَرَ لَيقُولُن اللهُ فَأَنى يؤفَكُونَ** ﴾[5] .

لما بين الله الأمر للمشركين ولم ينتفعوا ، خاطب المؤمنين ثم أتم الكلام معهم نصحاً وإرشادا لهم ، وزجراً وتوبيخاً للمشركين بإعراضه عنهم[6] ، كذلك للاحتجاج على كل من كفر وعصى واتخذ غير إلهنا رباً ، ألا يعلموا يقيناً أن ما يعبدون من الأوثان والمخلوقات لا تستطيع دفع الضر عن نفسها فكيف

---

(١) ينظر : المطعني في الاستفهام البلاغي ، ج٣ ، ص٢٣٢ .
(٢) الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٦٣ .
(٣) ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٦٨ .
(٤) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٣ ، حيث أشار في رحمة أنها نعمة عظيمة .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (٦١) .
(٦) ينظر : نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٤ .

بها ستخلق شيئاً ؟ ألم تعترف السنتهم بما استقر في قلوبهم ووعته عقولهم أن صانع هذا الكون واحد أحد فرد صمد تفرد بخلق الكون وسير الكواكب؟ فسبحان الله ما أبدع صنعه وأعظم خلقه ؛ لهذا ناسب أن يأتي استفهام التقرير لتأكيد إقرارهم بوحدانية الله . وإذا كان هذا الإقرار منهم فلم العناد والاستمرار في الضلال والطغيان ؟.

موضع الاستفهام : الأول : ﴿ **من خَلَقَ السمَاوَات وَالأرضَ** ﴾ ، الثاني : ﴿ **فَأنى يؤفَكُونَ** ﴾ .

ذهب أغلب الأئمة المفسرين إلى القول بالتقرير في لاستفهام الأول ﴿ **من خَلَقَ السمَاوَات وَالأرضَ** ﴾ ، قال أبو حيان في معنى الاستفهام الأول : " ثم أعقب تعالى ذلك بإقرارهم بأن مبدع العالم ومسخر النيرين هو الله "(١)، فيكون بذلك قال بالتقرير .

ويقول الرازي : " العجيب منهم أنهم إن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، ثم لا يؤمنون "(٢)، فالتعجيب عنده واقع على التناقض الحاصل في كفرهم ، والإقرار بأنّ الله سبحانه خالق السموات والأرض ، وبذلك يكون الاستفهام للتقرير .

وكذلك البقاعي حيث يقول : " ولما كان حالهم في إنكار البعث حال من ينكر أن يكون سبحانه خلق هذا الوجود ، أكد تنبيهاً على أن الاعتراف بذلك يلزم منه قطعاً الاعتراف بالبعث ، فقال : ﴿ **ليَقُولُن اللهُ** ﴾ ، أي : الذي له جميع صفات الكمال لما قد تقرر في فطرتهم من ذلك وتلقفوه عن أبائهم موافقةً للحق في نفس الأمر "(٣).

ولا يختلف ابن عاشور عن الرازي ، فيقول : " تعجيب من نقائض كفرهم ، أي هم كفروا بالله ، وإن سألهم سائل من خلق السموات والأرض يعترفوا بأنّ الله هو خالق ذلك ، ولا يثبتون لأصـنامهم شيئاً من الخلق ، فكيف يلتقي هذا مع ادعائهم الإلهية لأصنامهم "(٤) ؟! فيفهم أنّ الاسـتفهام عنـده للتقرير ، وإنما التعجيب واقع على التناقض الحاصل بين كفرهم وإقرارهم بأنّ الخالق هو الله .

بينما حمل المفسرون الاستفهام الثاني في الآية ﴿ فَأنى يؤفَكُونَ ﴾ على الإنكار والتعجيب . قـال

---

(١) البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٥٤ . كما يؤكد على هذا المعنى ابن كـثير في تفسـيره ، ج٣ ، ص٤٢٢ ، والبيضـاوي في تفسـيره ، ج٤ ، ص٣٢٢ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٧٨ ، وينظر : الشوكاني ، ج٤ ، ص٢١١ .

(٣) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٤ .

(٤) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٦ .

الزمخشري في هذا الاستفهام : " ﴿ فَأنى يؤفَكُونَ ﴾ : فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به ، مع إقرارهم أنه خالق السموات والأرض "[١] ؟. فيكون الاستفهام للتعجب .

وظهر لي من حديث الرازي حول الآية ما يوحي بالإنكار والتعجيب ، فقال : " قـال تعـالى : ﴿ فَأنى يؤفَكُونَ ﴾ يعني هم يعتقدون هذا ، فكيف يصرفون عن عبادة الله مع أنّ من علمت عظمتـه وجبت خدمته ، ولا عظمة فوق عظمة خالق السموات والأرض "[٢].

ثم يأتي البقاعي للقول بالتعجب : " ولما كان حال من صرف الهمة عنه عجباً يستحق أن يسـأل عنه على وجه التعجب منه ، إشارة إلى أنه لا وجه له ، قال : (فأنى) "[٣].

أما أبو السعود فجاء مصـرحاً بـأن الاسـتفهام للإنكـار والاسـتبعاد ، حيـث يقـول : " (فَأنى يؤفَكُونَ) إنكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه "[٤].

وبعد النظر في سياق الآية وأقوال المفسرين الذين حملوا الاستفهام الأول على التقرير ، والثاني على الإنكار والتعجيب والاستبعاد ، يبدو لنا بوضوح أن الله سبحانه وتعالى لما رأى منهم العناد والكفر أراد أن يذكرهم بما استقر في عقولهم وقلوبهم بأن خالق هذا الكون هو الله ، ثم يتبع التقرير معنى التعجيـب من كفرهم بالرغم من إقرارهم بربوبيته ؛ فأكد إقرارهم (ليقولن) بـ(القسم) ؛ تنبيهاً علـى أن اعتـرافهم بذلك يلزم فيه قطعاً الاعتراف بالبعث[٥]. ولقد عبر سبحانه بضمير الغائب في قوله : (سألتهم) العائـد إلى من تناقضت أفعالهم ﴿ .. والذين آمنوا بِالْباطلِ وكَفَروا بِاللهِ أُولَئك هم الْخاسرونَ ﴾[٦]، وللإشارة إلى أن هؤلاء الكافرين المنكرين معترفون بوجود خالق هذا الكون حتى وإن لم ينطقوا بذلك .

ثم يأتي قوله ﷻ ﴿ فَأنى يؤفَكُونَ ﴾ إنكاراً وتعجيباً من استمرارهم في الصد والكفر بعـد هـذا الإقرار ت فكيف يصرفون عن الحق مع شدة جلائه ؟.

● <u>الموضع الثامن</u> :

---

(١) الكشاف ، ج٣ ، ص٤٦٧ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٧٨ .

(٣) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٥ .

(٤) تفسيره ، ج٤ ، ص٢٦٥ . وينقل عبارته بتمامها : الألوسي في روح المعاني ، ج٢١ ، ص١١ . وممن قال بالإنكار أيضاً : الشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص٢١١ ، وابن عاشور في التحرير والتنوير قال بالإنكار والتعجيب ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٦ .

(٥) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٤ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية (٥٢) .

وتواصل الآيات عرض الأدلة على وحدانية الله عن طريق السؤال والجواب ، قال الله سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من نزلَ من السماءِ ماءً فأحيا بِه الأرض من بعد موتها ليقولُن اللهُ قُلِ الْحمد للهِ بلْ أكْثرهم لا يعقلُونَ ﴾[(١)] .

فبعد اعتراف الكافرين بخالق هذا الكون ، ثم تذكيرهم بأن الرزق لا يكون إلا بفضله سبحانه ، وذلك في قوله ﷻ : ﴿ اللهُ يبسطُ الرزق لمن يشاءُ من عباده ويقْدر لَه إن اللهَ بِكُل شيءٍ عليمٌ ﴾[(٢)] ، يعود النظم القرآني إلى الأسلوب الاستفهامي لتقريرهم بالإجابة والاعتراف بقدرة الله في إنزال المطر وإحياء الأرض الميتة ، فتقام بهذا الحجة عليهم بالدلائل الكونية المثبتة لوحدانية الله التي لا يملكون إنكارها .

<u>موضع الاستفهام</u> : ﴿ من نزلَ من السماءِ ماءً ﴾ ذكر السبب لإحياء النبات وهو المطر ، وبالتالي انتشار الرزق ، وكلّ هذا بيد الله سبحانه وتعالى ، ويفهم من كلام علمائنا أنّ الاستفهام هنا للتقرير ، حيث قال الرازي في أثناء حديثه عن الآية : " أنهم يعرفون بأن ذلك من الله ويعترفون ، ولا يعملون بما يعلمون "[(٣)] . فظهر لي من كلامه القول بالتقرير .

وقال صاحب فتح القدير : " أي نزله وأحيا به الأرض الله ، يعترفون بذلك ، لا يجدون إلى إنكاره سبيلاً ، ثم لما اعترفوا هذا الاعتراف ... أمر رسوله ﷺ أن يحمد الله على إقرارهم "[(٤)] .

وبعد هذا يمكن القول : إن نظم الآية وسياقها يدلاّن على أن الاستفهام للتقرير ، فقد جاء التأكيد بـ(من) في قوله ﴿ من بعد موتها ﴾ على إحياء الله للأرض الميتة[(٥)] . كما أضاف البقاعي معنى التعجب من جحودهم ، حيث يقرون بما يلزم التوحيد ثم لا يوحدون[(٦)] . وأفاد تنكير (ماء) في الآية التعظيم والتكثير .

● <u>الموضع التاسع</u> :

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٣) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٢) .

(٣) التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٧٩ . وسبقه للقول بالتقرير صاحب الكشاف الزمخشري ، ج٣ ، ص٤٦٧ .

(٤) الشوكاني ، ج٤ ، ص٢١١ ، (بتصرف) . وجاء في حديث أبي السعود ما يدلّ على التقرير . ينظر : تفسيره ، ج٤ ، ص٢٦٦ . ونقل عبارته الألوسي في روح المعاني ، ج٢١ ، ص١٢ . وممن ذكر هذا للاستفهام : ابن عاشور في التحرير والتنوير ، وإن كان لم يصرح بالتقرير ، وإنما فهم من كلامه ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٩ ، وسيد قطب في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٥٠ .

(٥) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٦ .

(٦) ينظر : المرجع السابق .

وتستمر الآيات في عرض تناقض أفعالهم مع ما أدركته عقولهم ، فقال المعز المذلّ : ﴿ أولَم يروا أنا جعلْنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفَبِالْباطلِ يؤمنونَ وبِنِعمة الله يكْفُرونَ ﴾[(١)] .

لقد ذكرت الآية الخامسة والستون حال المشركين عند الخوف الشديد - وهم في البحر - وكيف عدلت نفوسهم عن الطغيان راجعة إلى الله ؛ لإيقانهم أنّ ما آمنوا به من دون الله لا يملك لهم النفع ولا دفع الضر ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا ركبوا في الْفُلْك دعوا الله مخلصين لَه الدين فَلَما نجاهم إِلَى الْبر إِذَا هم يشرِكُونَ ﴾[(٢)] ، ثم يذكّرهم بالأمن الذي يعيشونه في بلدهم ، وكيف أنهم أنكروا فضل الله عليهم ، يعني هذا أنهم في أخوف ما كانوا عليه دعوا الله ، وفي آمن ما حصلوا عليه كفروا به ، وفي هذا تناقض ؛ لذلك جاء الاستفهام يستنكر منهم اعترافهم القطعي بأن نعمة الأمن لا تكون إلا من الله ، إلا أنهم بعد الحصول عليها يكفرون به سبحانه وتعالى ويؤمنون بالأصنام التي قطعت أنفسهم أن لا رجاء منها في حال الخوف[(٣)] . أولم تعِ بصائرهم هذا التميز والتفضل ؟ أوبعد هذا يؤمنون بالوهم ويتركون الحق ؟!.

<u>موضع الاستفهام</u> : الأول : ﴿ أولَم يروا أنا جعلْنا ﴾ ، الثاني : ﴿ أفَبِالْباطلِ يؤمنونَ ﴾ .

لم يتوقف عند الاستفهام الأول سوى البقاعي وابن عاشور ؛ فالبقاعي قدر المعطوف عليه وحمل الاستفهام على الإنكار ، فقال : " توجه الإنكار في نحو أن يقال : ألم يروا أنا قادرون على إخافتهم وإهلاكهم في البر كما نحن قادرون على ذلك في البحر كما فعلنا بغيرهم ؟ فعطف عليه قوله : (أولم يروا) "[(٤)] .

أما ابن عاشور فقد عطف (أولم يروا) على جملة : (فَإِذَا ركبوا في الْفُلْك دعوا اللَّه) باعتبار ما اشتملت عليه تلك الجملة من تقريعهم على كفران نعم الله ، ولذلك أعقبت هذه الجملة بقوله : (وبِنِعمة اللهِ يكْفُرونَ) .

" والاستفهام إنكاري ، وجعلت نعمة أمن بلدهم كالشيء المشاهد ، فأنكر عليهم عدم رؤيته "[(٥)] . ويلاحظ دخول الاستفهام على مقدر قبل الواو ؛ ليظهر معنى الإنكار ، وتقدير الكلام : أعموا ولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ؟!.

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٧) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٥) .

(٣) ينظر : الرازي التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٨٢ .

(٤) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٨ .

(٥) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٤ .

أما الاستفهام الثاني : (أَفَبِالْباطلِ يؤمنونَ) أجمع أغلب المفسرين أنه استفهام إنكاري . قال الزمخشري في الكشاف : " ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ، ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم "(١)، فظهر لي أنه يضيف إلى معنى التوبيخ الإنكار .

وعند حديث الرازي عن مناسبة الآية لما قبلها قال في آخر كلامه ما فهمت منه أنه يقول بالإنكار : " فهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم أنها لا تكون إلا من الله كيف تكفرون بها ، والأصنام التي قطعتم - في حال الخوف - أن لا أمن منها ، كيف أمنتم بها في حال الأمن "(٢) ؟!.

أما البقاعي فقد صرح بالإنكار في قوله : " ولما تبين أنه لا وجه لشركهم ولا لكفرهم هذه النعمة الظاهرة المكشوفة ، تسبب الإنكار في قوله : (أفبالباطل) "(٣).

ثم يأتي البيضاوي مستفيداً مما عند الزمخشري(٤)، كما جاء في حديث أبي السعود ما يشير إلى معنى الإنكار فيقول : " (أفبالباطل يؤمنون) أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق "(٥).

وكذلك الألوسي تبع من سبقه واقتبس من عباراتهم ؛ مما يدل على أنه حمل الاستفهام على الإنكار(٦).

أما الشوكاني فلم يذكر معنى الإنكار ، وإنما قال بأنّ " في هذا الاستفهام من التقريع والتوبيخ ما لا يقادر قدره "(٧).

كما يذهب سيد قطب في الظلال إلى أن الاستفهام يحمل معنى التعجب(٨).

وبعد هذا العرض يمكن القول بأن همزة الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَولَمْ يروا أنا جعلْنا ﴾ ، دخلت على حرف العطف الذي يدل على معطوف عليه مقدر : (فإذا لم تتدبروا أمنكم في البحر

---

(١) ج٣ ، ص٤٦٩ .
(٢) التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٨٢ .
(٣) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٩ .
(٤) ينظر : تفسير البيضاوي ، ج٤ ، ص٣٢٤ .
(٥) تفسيره ، ج٤ ، ص٢٦٧ .
(٦) ينظر : روح المعاني ، للألوسي ، ج٢١ ، ص١٤ .
(٧) فتح القدير ، ج٤ ، ص٢١٢ .
(٨) ينظر : ج٥ ، ص٢٧٥٢ .

لانقطاعه ، أولم تروا أمنكم في البر واستمراره) ، فجاء الاستفهام مستنكراً لجحودهم وعدم رؤيتهم لفضل نعمة الأمن عليهم ؛ ولأن أمنهم في البحر كان في وقت معين ومحدود نسوه بمجرد انقضائه ، إذن أولم يروا أمنهم الدائم في الأرض والذي لم يكن لغيرهم من القرى ؟.

﴿ أنا جعلْنا حرماً ﴾ أكدت الجملة بـ (أن) ؛ لتنزيل مشركي مكة منزلة المنكرين لنعمة الأمن ؛ لعدم اعتدادهم بها ، ونكّر (حرماً) لرفع شأنها وتعظيم أمرها[1] .

أما الاستفهام الثاني في قوله : ﴿ أَفَبِالْباطلِ يؤمنونَ ﴾ فهو استفهام إنكاري لحال مشركي ، مكة فبعد ظهور الحق وإقرارهم بأن لا إله إلا الله عند حال الخوف ، وتذكيرهم بالأمن الذي يعيشونه ؛ يصرون على ضلالهم وإيمانهم بالأصنام ، ويكفرون بالحق المبين .

وقد عبر النظم الحكيم بالمضارع في (يروا) و (يؤمنون) و (ويكفرون) ؛ للدلالة على تجدد الفعل واستمراريته ، كما تضمن الاستفهام معان أخرى ، مثل التقريع والتوبيخ ، وتسفيه ما ذهبت إليه أوهامهم .

● الموضع العاشر :

وتختم أساليب الاستفهام في السورة بقول الجبار المتكبر : ﴿ ومن أَظْلَم ممنِ افْترى علَى اللهِ كَذباً أَو كَذب بِالْحق لَما جاءه أَليس في جهنم مثْوى للْكَافرِين ﴾[2] .

لما وضح اللهُ لهم في الآيات السابقة دلائل وحدانيته وإقرارهم بها ، ومع ذلك لم يؤمنوا ، بين أنهم بذلك أظلم ما يكون ، حيث كذّبوا بالحق الذي جاء به الأنبياء والمرسلون ، والظلْم هو وضع الشيء في غير موضعه[3] ، وهم وضعوا الأمور في غير محلها ، فقد جعلوا مع الله شريكاً ، فصرفوا العبادة إلى غيره ، فأي ظلم أعظم من أن يكذب المرء بالإيمان بالله ، ويكذب بالرسالات وبالحق الذي أنزل من عنده سبحانه ؟! لذلك ناسب مجيء الأسلوب الاستفهامي للتقرير في قوله : ﴿ ومن أَظْلَم ﴾ ، وترتب على ذلك استفهام آخر يقرر استحقاقهم لجهنم على كلّ ما فعلوه : ﴿ أَليس في جهنم مثْوى للْكَافرِين ﴾ .

(١) ينظر : التفسير البلاغي ، للمطعني ، ج٣ ، ص٢٣٨ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٨) .

(٣) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور ، ج٩ ، ص١٩١ ، حرف (ظ) ، مادة (ظلم) .

موضع الاستفهام : الأول : ﴿ ومن أظْلَم ممن افْترى ﴾ ، الثاني : ﴿ أليس في جهـنم مثْـوى للْكافرين ﴾ .

الاستفهام في : ﴿ ومن أظْلَم ممن افْترى ﴾ يفيد النفي ، أي : لا أحـد أظلـم ممـن افتـرى على الله كذباً . ومن كلام البقاعي فهم هذا المعنى للاستفهام ، حيث يقول : " ولمـا كـان التقـدير لا أحد أظلم منه ، بل هو أظلم الظالمين ، فهو كافر ومأواه جهنم ، وكان من المعلوم أنهـم يقولـون عناداً : ليس الأمر كذلك ، قال إنكاراً عليهم ، ولأن فعلـهم فعـل المنكـر ، وتقريـراً لهـم ؛ لأن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي كانت للتقرير ، عداً له بمنزلة ما لا نزاع فيه أصلاً : ﴿ ألَـيس فـي جهنم مثْوى ﴾ "[(١)].

وأما أبو السعود فيفهم من كلامه أن الاستفهام للإنكار ، حيث يقول : " ﴿ **وَمَن أظْلَم ممن افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً** ﴾ بأنْ زعم بأنّ له شريكاً ، أي : هو أظلم من كلّ ظالم ، وإن كان سبك النظم دالاً على نفي الأظلم "[(٢)].

أما الاستفهام الثاني : ﴿ **أليسَ في جَهَنمَ مَثْوىً للْكَافرينَ** ﴾ ، أجمع علماؤنا الكرام أن الاستفهام للتقرير ، قال صاحب الكشاف: " (أليس) تقرير لثوائهم في جهنم ... وحقيقته : أنّ الهمزة همزة إنكار دخلت على النفي ، فرجع إلى معنى التقرير "[(٣)].

كذلك صرح البقاعي بالتقرير في قوله : " تقرير لهم ؛ لأن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي كانت تقريراً ، عداً له بمنزلة ما لا نزاع فيه أصلاً : (أليس في جهنم مثْوى) "[(٤)].

أما أبو السعود فقد قال بالتقرير والإنكار ، التقرير لثوائهم في جهنم ، كقول : (ألستم خير من ركب المطايا) ، بحيث دخلت همزة الإنكار على النفي فصار الكلام إثباتاً ، أما الإنكار فعلّله بـ " ألم يعلموا أنّ في جهنم مثوى للكافرين حتى يجترئوا هذه الجراءة "[(٥)].

---

(١) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٨٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٧ .

(٣) الزمخشري ، ج٣ ، ص٤٦٩ ، بتصرف .

(٤) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٨٠ .

(٥) أبو السعود ، ج٤ ، ص٢٦٧ . ونقل عبارته الألوسي في روح المعاني ، ج٢١ ، ص١٣ . وقال بالتقرير أيضاً : صاحب فتح القـدير الشوكاني ، ج٤ ، ص٢١٢ ، وصاحب التحرير والتنـوير الطـاهر ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٦ . وفهـم مـن صـاحب الظـلال سيد قطب أن الاستفهام للتقرير ، ج٥ ، ص٢٧٥٢ .

وجاء الاستفهام الثاني : ﴿ **أليسَ في جَهَنمَ مَثْوىً للْكافرينَ** ﴾ بياناً لجملة الاستفهام الأول ، ولما ترتب عليها من تمكنهم من الخلود في جهنم ، حيث جعلت مثوى لهم ، وقد دخلت همزة الإنكار في (أليس) على أداة النفي (ليس) ، فنفت النفي الحاصل وصيرت الكلام إثباتاً وتقريراً لمصير هؤلاء المكذبين المستحقين لدخول جهنم مقابل ما اقترفوا .

ثانياً : الأمـر :

اختلف البلاغيون حول تحديد مفهوم الأمر ، حتى استقر على تعريف الخطيب القزويني ، وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء(١) .

وله أربع صيغ ، وهي :

١- صيغة فعل الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ **يَا يَحيَى خذ الْكتَابَ بِقُوةٍ** ﴾(٢) .

٢- المضارع المقرون بلام الأمر ، قال تعالى : ﴿ **لينفق ذُو سَعَةٍ من سَعَته** ﴾(٣) .

٣- اسم فعل الأمر ، مثل : صه ، وآمين ، ونزال ، ودراك ..

٤- المصدر النائب عن الفعل ، مثل : ﴿ **فَإذا لَقيتم الذينَ كَفَروا فَضَربَ الرقَابِ** ﴾(٤) ، أي : فاضربوا الرقاب(٥) .

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي وصيغه إلى معان بلاغية تفهم من سـياق الكـلام ، وحسـن التذوق البلاغي ، ومن خلال آيات سورة العنكبوت يمكن التعرف على تلك المعاني ، وذلك بدراسـة الأمر من خلال السياق الذي ورد فيه .

● الموضع الأول :

---

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للشيخ الخطيب القزويني ، تحقيق : بهيج غزاوي ، الناشر : دار إحياء العلـوم ، بـيروت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م ، ص١٤١ ، وشروح التلخيص ، ج٢ ، ص٣٠١ .

(٢) سورة مريم : الآية (٢١) .

(٣) سورة الطلاق : الآية (٧) .

(٤) سورة محمد : الآية (٤) .

(٥) ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف : السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق : د. يوسف الصميلي ، الناشر : المكتبـة العصرية ، بيروت ، عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، د.ط ، ص٧١ ، وينظر : علم المعاني ، دراسـة نقديـة بلاغيـة ، د. بسـيوني عبد الفتاح فيود ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، د.ط ، ج٢ ، ص٨٤ .

أول أسلوب أمر يواجهنا في السورة هو من الصيغ التي جاءت على غير الصيغ المعروفة عند البلاغيين ، لكن دلالته هي دلالة الأمر .

يقول المهيمن العزيز سبحانه : ﴿ ووصينا الْإنسانَ بِوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بِي ما لَيس لَك بِه علْمٌ فَلاَ تطعهما إِلَي مرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِما كُنتم تعملُونَ ﴾[1] .

وكما أشرت سابقاً إلى أنّ سورة العنكبوت أحد أهدافها أن فتنة المؤمنين سنة من سنن الله ، وتفاوتت درجات الابتلاء بين التعذيب من أهل الباطل والاضطهاد عند مزاولة العبادة في ديار يسكنها رؤوس الشرك ، إلى فتنة الأهل والأقرباء المشركين ، والتي ترويها هذه الآية الكريمة ، والمعطوفة على قوله : ﴿ ولَقَد فَتنا الذين من قَبلهم فَلَيعلَمن الله الذين صدقُوا ولَيعلَمن الْكَاذبين ﴾[2]، فمن أعظم الفتن التي يتعرض لها المؤمن أن يكون والداه أو أحدهما كافراً ؛ مما يزيد حيرته في كيفية إرضائهما في الوقت الذي يحافظ فيه على دينه ، فيأتي الأمر القرآني ليبدد حيرته أمناً ، فقال : ﴿ ووصينا الْإنسانَ بِوالديه حسناً ﴾ .

موضع الأمر : ﴿ ووصينا الإِنسانَ بِوالديه حسناً ﴾ ، الفعل (وصينا) بمعنى وصى وأوصى ، وهو الأمر بفعل شيء في مغيب الآمر به ، ففي الإيصاء معنى التحريض على المأمور به[3] . " ويستعمل فيما كان في المأمور به نفعٌ عائد إلى المأمور أو غيره "[4] . وفعل الوصاية من صيغ الأمر في القرآن الكريم ، والتعبير به يدلّ على مبلغ الاهتمام ، نحو قوله تعالى : ﴿ ووصى بِها إبراهيم بنِيه ﴾[5]: أي أمر بها .
ولقد ناسب مجيء الأمر بالإيصاء كونه يحمل معنى التحريض والحث على مراعاة وتعهد الوالدين .

والباء في (بوالديه) ظرفية ، بمعنى (في) : أي وصينا الإنسان في أمر والديه بحسن[6] ، و(حسناً) انتصب على أنه وصف لمصدر محذوف ، أي : إيصاء حسناً ، أو هو في حد ذاته حسنٌ على سبيل المبالغة[7] . ونكّر (حسناً) ليدل على الكمال ، وسر التعبير بالإحسان للوالدين أنهما سبب وجود

---

(1) سورة العنكبوت : الآية (8) .
(2) سورة العنكبوت : الآية (3) .
(3) ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، م10 ، ج20 ، ص214 .
(4) تفسير أبي السعود ، ج4 ، ص251
(5) سورة البقرة : الآية (132) .
(6) ينظر : أبو حيان في البحر المحيط ، ج7 ، ص138 ، والألوسي في روح المعاني ، ج20 ، ص138 .
(7) ينظر : المرجع السابق . وهناك خلاف بين البصريين والكوفيين فيما عمل النصب في حسناً ؛ أهو مصدر محذوف ، أو ما يتضمن معنى القول ؟ ذكره الألوسي في روح المعاني ، ج20 ، ص138 .

الأولاد بالولادة ، كما أنهما سبب بقائهم بالتربية والرعاية[1] .

" والمقصود من سياق الكلام : إظهار النصفة والتنبيه على النصيحة ؛ ليكون أدعى إلى القبول "[2] .

﴿ إلَيَّ مرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِما كُنتم تعملُونَ ﴾ عبر سبحانه وتعالى بالسبب الـذي هـو الإنبـاء " لأنه لا مثنوية فيه عن المسبب الذي هو الجزاء ، مطلقاً للعبارة ، وتهديداً بليغاً على وجه الإشارة "[3] .

● الموضع الثاني :

ذكر سبحانه بعض ما كان الكفار يقولونه لمن أسلم جهلاً وغروراً منـهم ، فقـال سـبحانه : ﴿ وقَالَ الذين كَفَروا للذين آمنوا اتبِعوا سبِيلَنا ولْنحملْ خطَاياكُم وما هم بِحاملين من خطَاياهم مـن شيءٍ إنهم لَكَاذبونَ ﴾[4] .

ويستمر السياق القرآني الكريم في ذكر نوع آخر من أنواع الفتن التي يتعرض لها المؤمن ، ويتمثـل في محاولة إغراء رؤوس الكفر لبعض من أسلم بالله بالشك والمغالطة بأن يسلكوا طريقهم ويتركوا ما هـم عليه وإن كان خوفهم من عذاب الله يمنعهم من ذلك ، فهم متعهدون بحمل أوزارهم اسـتبعاداً منـهم وإنكاراً ليوم البعث .

موضع الأمر : ﴿ اتبِعوا سبِيلَنا ولْنحملْ خطَاياكُم ﴾ ، وكما يظهر أنّ في الآية فعلَي أمر كلاهمـا صدر من الكفار ، أحدهما موجه إلى من آمن : (اتبعوا سبيلنا) ، والآخر موجه إلى أنفسهم : (ولنحمل) .

- الأمر الأول : (اتبعوا) ، اتباع الشيء : السير في إثره واتباع أفعاله[5] ، فالكفار يـدعون إلى أن يسلك المؤمنون طريقتهم في دينهم والسير على إثرهم باتباع أفعالهم ، وبهذا يكون الأمر قد جاء علـى حقيقته ، ثم عطفوا عليه أمر أنفسهم بحمل خطاياهم : (ولْنحملْ خطَاياكُم) أي : نلزم أنفسنا بحمـل خطاياكم إن كان فيما ندعوكم إليه خطيئة ، جهلاً واستكباراً .

ولقد ناسب مجيء العطف بين الأمرين للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع[6] على سـبيل الإغـراء والترغيب في سلوك سبيلهم .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٣٢ .
(٢) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٩ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (١٢) .
(٥) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور ، ج٢ ، ص٢١٠ ، حرف (ت) ، مادة (تبع) .
(٦) ينظر : الزمخشري في الكشاف ، ج٣ ، ص٤٤٨ .

وعبر بصيغة الأمر دون الإخبار عن مجازاتهم ، وذلك :

١- لأنّ الأمر أوجب وأشد تأكيداً في نفس السامع من المجازاة .

٢- ولدلالة الأمر على أنه أمر محقّق لا شك في وقوعه .

٣- ولما يستدعيه الأمر من الامتثال على تحقيق الوفاء بالوعد[١] .

(ولنحمل) صيغة أمر يحمل معنى الخبر ، وذلك إذا نزل الأمران منزلة الشرط والجزاء ، والمعنى إذن : اسلكوا طريقتنا ، وإن لحقكم من ذلك إثم فنحن كفيلون بحمل خطاياكم ، وبهذا يكون الأمر الثاني إخباراً بالجزاء ، وهذا كذب يستحق فضحه[٢] .

وفي قول الله تعالى : ﴿ وما هم بِحاملين من خطَاياهم من شيءٍ ﴾ نفي لحقيقة ما أبرموه من وعد ، وهو " نفي مؤكد على سبيل الاستمرار لكونهم حاملين شيئاً ما من خطاياهم التي التزموا حملها ، فالباء زائدة لتأكيد النفي والاستمرار الذي تفيده الجملة الاسمية معتبر بعد النفي ، و (من) الأولى للبيان ، وهو مقدم من تأخير ، و (من) الثانية مزيدة لتأكيد الاستغراق "[٣] .

ثم أكّد هذا صراحة بـ(إن - واسمية الجملة - ولام الابتداء) في قوله : ﴿ إنهم لَكاذبونَ ﴾ فيما أخبروا عنه ، " لهذا لم تعطف جملة ﴿ إنهم لَكاذبونَ ﴾ ؛ لكمال الاتصال بينها وبين ﴿ وما هم بِحاملين من خطَاياهم من شيءٍ ﴾ "[٤] .

● <u>الموضع الثالث</u> :

وفي دعوة إبراهيم لقومه قال الملك القدوس : ﴿ وإبراهيم إذْ قَالَ لقَومه اعبدوا اللهَ واتقُوه ذَلكُم خيرٌ لكُم إن كُنتم تعلَمونَ ﴾[٥] .

لقد ناسب الانتقال من قصة نوح إلى قصة إبراهيم - عليهما السلام - ؛ لأن كلاً منهما عظُم بلاؤه ، فنوح أنجاه الله من الطوفان ، وإبراهيم قُذف في النار ؛ فكانت برداً وسلاماً ، بالإضافة إلى أنه

---

(١) ينظر : البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٣٩ ، ونظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤١ ، التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٠ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٣٦ ، وفتح القدير ، ج٤ ، ص١٩٤ .
(٣) روح المعاني ، للألوسي ، ج٢٠ ، ص١٤١ .
(٤) التحرير والتنوير ، للطاهر ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢١ .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (١٦) .

أُخرج من بلاده ، وفي ذلك تنبيه على عظم قُدرة الله في الإنجاءِ من الماء والنار[(١)] .

موضع الأمر : ﴿ اعبدوا اللهَ واتقُوه ﴾ ، وفي تناسب يجمع بين المبنى والمعنى يأتي أمر إبراهيم عليه السلام لقومه ، فهي دعوة إلى إثبات الألوهية لله ونفيها عما سواه ، ففي قوله : (اعبدوا) أمر بالاعتراف بالله ، وذلك بإتيان الواجبات ، و(اتقوه) : أي امتنعوا عن الشرك بتجنب المحرمات[(٢)] .

لم يتطرق المفسرون إلى المعنى الذي خرج إليه الأمر لا بالتصريح ولا بالإشارة ؛ وهذا لأن مهمة الرسل نصح أقوامهم ، والأمر هنا جاء في سياق نصح إبراهيم لقومه ، وإرشادهم إلى ما يجب عليهم من صدق الدعوة والرغبة في اتباع قومه لما يدعوهم إليه . كما ساهم قوله : ﴿ ذَلكُم خيرٌ لكُم ﴾ في الاهتداء إلى معنى الأمر ؛ لما فيه من الترغيب والتعليل للأمر بعبادة الله وترك ما سواه .

وفي قوله ﷻ : ﴿ ذَلكُم خيرٌ لكُم إن كُنتم تعلَمونَ ﴾ ذكرٌ لما " يحفّزهم إلى نفي الجهل عنهم ، واختيار الخير لهم ـ وهو في الوقت ذاته حقيقة عميقة ، لا تهييج خطابي "[(٣)] .

● الموضع الرابع :

قال الرزاق الشكور : ﴿ إنما تعبدونَ من دون اللهِ أَوثَاناً وتخلُقُونَ إفْكاً إن الذين تعبدونَ من دون اللهِ لاَ يملكُونَ لَكُم رِزقاً فَابتغوا عند اللهِ الرزق واعبدوه واشكُروا لَه إلَيه ترجعونَ ﴾[(٤)] .

ويتدرج إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه ، فبعد أن أمرهم بعبادة الله وترك ما سواه - في الآية آنفة الذكر - ، انتقل إلى كشف حقيقة ما يعبدون من الأوثان التي صنعتها أيديهم ، والعاجزة عن تحقيق أبسط ما يحتاجونه من الرزق ، ثم يقدم لهم الحلّ الأمثل والوحيد الذي يمكن أن يحقق لهم ما يشاؤون : ﴿ فَابتغوا عند اللهِ الرزق واعبدوه واشكُروا لَه إلَيه ترجعونَ ﴾ ، وبأسلوب الأمر يلفت أنظارهم إلى أنّ طلب الرزق لا يكون إلا من الرزاق ، وهو الله المستحق للعبادة والشكر على كلّ ما يمن به على عباده .

﴿ إنما تعبدونَ من دون اللهِ أَوثَاناً ﴾ تعليلٌ لقوله : (اعبدوا الله) ، فالقصر هنا " منصب على

---

(١) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٤ ، وابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٤ .

(٢) ينظر : الرازي التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٣٩ .

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٢٨ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (١٧) .

عبادتهم الموصوفة بالوثنية ، أي ما تعبدون إلا صوراً لا إدراك لها ، فيكون قصر قلب ؛ لإبطال اعتقادهم إلهية تلك الصور "[1].

﴿ إن الذين تعبدونَ من دون اللهِ لاَ يملكُونَ لَكُم رِزقاً ﴾ ومن فساد عقيدتهم أنهم يعبـدون مـا صنعوا ، فجاء التأكيد بـ(إن) مفيداً ضعفها ، فهي لا تملك تقديم أقلّ ما يحتاجونه من الرزق .

موضع الأمر : ﴿ فَابتغوا عند اللهِ الرزق واعبدوه واشكُروا لَه ﴾ ، فبعد أن عرفهم عليه السلام حقارة ما يعبدون ، وجههم بصيغة الأمر إلى الحلّ الأمثل والبديل الأوحد ، فقال : ﴿ فَابتغوا عنـد اللهِ الـرزق واعبدوه واشكُروا لَه ﴾ ، فابتغاء الرزق وطلبه لا يكون إلا من مالكه وواهبه ، وهو الله سبحانه وتعالى . وتتجلى بلاغة القرآن في تنكير الرزق في الأول وتعريفها في الثاني .

ففي الأولى كان السياق يتحدث عن ضعف ما يعبدون : ﴿ إن الذين تعبدونَ مـن دون اللهِ ﴾ ، فنكّر (رزقاً) بعد النفي دلالة على عموم ضعف أصنامهم ، فهي عاجزة عن تقديم اليسير مـن الـرزق ، بالإضافة إلى أنّ " الرزق من الأوثان غير معلوم ، فقال : لا يملكون لكـم رزقـاً ؛ لعـدم حصـول العلم به "[2].

أما السياق الثاني للرزق فكان يتحدث عن الوهاب الحقيقي : ﴿ فَابتغوا عنـد اللهِ الـرزق ﴾ ، فساهم التعريف بلام الجنس والمقام على إفادة الاستغراق ، فإنّ أي رزق قلّ أو كثُر يطلب منـه جـلّ شأنه[3] ، بالإضافة إلى أنّ " كون الرزق من الله معروف بقوله : ﴿ وما من دآبة في الأَرضِ إلا علَى اللهِ رِزقُها ﴾[4] "[5].

ولما كان ابتغاء الرزق من الله يقتضي تخصيصه بالعبادة ؛ لكونه المستحق لـذلك ، جـاء الأمـر (واعبدوه) معطوفاً على الأمر السابق .

ولتفضله سبحانه بالخلق والرزق وإفراده بالعبادة استوجب من العبد التوجه إليه بالشكر ؛ لـذلك جاء أمر إبراهيم لقومه (اشكروا له) على ما أفاض عليكم من النعم والفضائل ، وعدي الشكر بـاللام

---

(١) التحرير والتنوير ، لطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٦ .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٤١ .

(٣) ينظر ما قيل في تعريف وتنكير الرزق عند أبي حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤١ ، و الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٤٥ .

(٤) سورة هود : الآية (٦) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٤١ .

لإفادة اللام معنى الاختصاص ، أي الاستحقاق[(١)] .

والأمر هنا غرضه النصح والتنبيه إلى ما يجب نحو الخالق ؛ لأنه جاء في سياق نصح إبراهيم لقومه ، وتنبيههم إلى أنّ الأوثان التي يعبدونها لا تملك شيئاً من هذا الرزق . وعبر بصيغة الافتعال (فابتغوا) إشارة " إلى السعي فيه ؛ لأنه أجرى عادته سبحانه أنه في الغالب لا يؤتيه إلا بكد من المرزوق وجهد ، إما في العبادة والتوكل ، وإما في السعي الظاهر في تحصيله بأسبابه الدنيوية "[(٢)] .

● **الموضع الخامس :**

وفي معرض قصة إبراهيم قال الخالق القدير آمراً له : ﴿ **قُلْ سيروا في الأرضِ فَانظُروا كَيفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُم اللهُ ينشئُ النشأةَ الآخرَةَ إن اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾[(٣)] .

بعد أن أنكرت عليهم الآية التي تسبقها عدم رؤيتهم ، وهو عدم تفكيرهم في كيفية بدء الخلق ، انتقل إلى فعل الأمر يحثّهم على التفكير والتأمل في أقطار الأرض ؛ ليحصل لهم بالعلم الفكري رؤية بدء الخلق[(٤)] ، وكيف أنها دليل قطعي على وحدانيته وتفرده في صنع هذا الكون ، وبالتالي هو المستحق للعبادة وحده .

موضع الأمر : ﴿ قُلْ سيروا في الأرضِ فَانظُروا كَيف بدأ الْخلْق ﴾ ، جاء الأمر في (قل) من الله ، ولكن اختلف المفسرون حول المأمور ، فمنهم من قال : سيدنا إبراهيم ، والبعض قال : محمد - عليهما أفضل الصلاة والسلام - ، وآخرون ذكروا الرأيين دون ترجيح أحدهما[(٥)] . وأذهب في ذلك إلى ترجيح القول بأنّ المأمور هو محمد ﷺ ؛ لأنه المخاطب بالقرآن .

ولحكمة بالغة جاء الأمر بالسير ؛ " لأن السير يدني إلى الرائي مشاهدات جمة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحوياتها ، ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبادئها ... فالسير في الأرض وسيلة

---

(١) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٦ .

(٢) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٦ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٢٠) .

(٤) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٤٢ .

(٥) ينظر - مثلاً - فيمن قال بالرأيين : الزمخشري في الكشاف ، ج٣ ، ص٤٥٢ ، وفيمن قال : لإبراهيم ، نحو : أبو السعود ، ج٤ ، ص٢٥٥ ، وأما من قال : لمحمد ، فالبقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٨ .

جامعة لمختلف الدلائل "[1].

﴿ فَانظُروا كَيف بدأ الْخلْق ﴾ أمرٌ يصاحب السير في الأرض ، وهو إمعان النظر بالبصر والبصيرة في مشاهد تجدد المخلوقات وتفرد الخالق سبحانه وتعالى في القدرة على بدئها وإعادتها التي هي أعجب من صنعها .

وفي ترتيب النظر على السير إيذان بتتبع أحوال الخلق القاطنين في أرجاء المعمـورة ، كمـا أن في السير تنبيهاً للحواس والمشاعر برؤية المشاهد الجديدة وتأمل آثار قدرة الله على إنشاء الحياة في كل لحظة من لحظات سير هذا الكون[2] .

وعبر بالنظر دون الرؤية ؛ لأن النظر مفضٍ إلى الرؤيـة والإدراك ، فحينمـا لم يحصـل منـهم العلم الحدسي ، أي الرؤية التي تمكن الرائي من قدرة علـى الوصـول إلى وحدانيـة الله دون أدلّـة أو براهين ، انتقل إلى أمرهم بالنظر ، يعني هذا أنه بعد تحقّق حدوث فعـل النظـر ينتقـل إلى رؤيـة يدرك من خلالها أنّ الله قادرٌ بعظمته أن ينشئ النشأة الآخرة[3] ، وما كان الأمر بالنظر إلا لأنـه أمـر مقدور عليه .

وسياق الآية ومقامها يدلان على أنّ الأمر جاء للنصح بالتنبيه إلى الاستدلال على البعث بالمشاهدة والسير وحسن النظر الذي يتبعه إدراك لدلائل وحدانية الله ، وكان للفعل الماضي عند قوله : ﴿ كَيـف بدأ الْخلْق ﴾ دورٌ في التوصل إلى المعنيين اللذَين خرج إليهما الأمر ، فبالماضي استدلّ علـى حـدث حاصل ومحسوس ، فكان عليهم أن يتوصلوا إلى وحدانيته سبحانه وتعالى .

ولما كان التعبير بالماضي في هذه الآية كان التعبير بالمضارع في الآية السابقة : ﴿ كَيف يبـدئ اللهُ الْخلْق ﴾ ، فالمضارع يشير إلى تجدد حدوث الفعل ، فالله يبدئ في كلّ لحظة خلقاً جديـداً ، وهـذا يوجب العلم ببدء الخلق ، إلا أنه إذا لم يحصل لكم العلم الحدسي في كيفية بدء الخلق فانظروا إلى ما هو مخلوق ، فلعلّه يحصل المطلوب من إدراك لقدرة الله في الإبداء . وللأفعال الماضية قدرتها في تقرير الأشياء وتحقّقها تحقّقاً محسوساً[4] .

---

(1) ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٠ ، (بتصرف) .
(2) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٥ ، وفي ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٣٠ .
(3) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٤٢ .
(4) ينظر : المرجع السابق .

﴿ ثُم اللهُ ينشئُ النشأَةَ الآخرةَ ﴾ هنا أظهر النظم الكريم لفظ الجلالة ، بينما أضمره عند البدء ﴿ كَيف بدأَ الْخلْق ﴾ ، فما حكمة ذلك ؟.

قال الزمخشري : " الكلام معهم كان واقعاً في الإعادة ، وفيها كانت تصطك الركب ، فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله ، احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء ، فإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الإبداء ، فهو الذي وجب أن لا تعجزه الإعادة ، فكأنه قال : ثم ذاك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة ، فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ "[1].

أما الرازي فقد علل إبراز اسم الله في الآية السابقة : ﴿ أَولَم يروا كَيف يبدئ اللهُ الْخلْق ﴾ ، وأضمره في الإعادة لأنه لم يسبق ذكر الله بفعل ليسند إليه البدء ، فلم يحتج إلى إظهاره في الإعادة اكتفاءً بذكره في البدء ، أما الآية التي نحن بصددها فيرى أنه اكتفى بإسناد البدء ، فلم يبرزه عندما عاد ذكر البدء ثانية ، أما عن الحكمة من إظهار اسم الجلالة عند الإنشاء فقال : " أن مع إقامة البرهان على إمكان الإعادة أظهر اسم من يفهم المسمى به بصفات كماله ونعوت جلاله يقطع بجواز الإعادة ، فقال الله مظهراً مبرزاً ليقع في قدرته وشمول علمه ونفوذ إرادته ، ويعترف بوقوع بدئه وجواز إعادته "[2].
واختصر أبو حيان تعليل ذلك في قوله : " حتى لا تخلو الجملتان من صريح اسمه "[3]، ثم ذكر دلالة إسناد النشأة إلى الله أن فيها " تفخيم النشأة الآخرة ، وتعظيم أمرها ، وتقرير وجودها ؛ إذ كان نزاع الكفار عليها "[4].

وذكر البيضاوي أنّ المقصود من الآية هو الإعادة ، وكيف أنها أهون على الله ، فكيف بالإبداء ؟ لذلك أفصح عن اسم الجلالة وأوقعه مبتدأ عند الإنشاء[5].

ويرى أبو السعود أنّ دلالة إضمار اسم الجلالة عند البدء وإظهاره عند الإنشاء ووقوعه مبتدأ فيه إبراز مزيد " الاعتناء ببيان تحقق الإعادة بالإشارة إلى علّة الحكم وتكرير الإسناد "[6].

ثم جاء الألوسي ناقلاً عبارة أبي السعود ، وأضاف عليها أنّ لله اسم جامع " لصفات الجلال ونعوت الجلال ، وتكرير الإسناد ورد ما تقدم على مقتضى الظاهر ، فلا يحتاج للتوجيه ، وكون المراد

---

(١) الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٣ .
(٢) الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٤٢-٤٣ .
(٣) أبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٢ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) ينظر : تفسير البيضاوي ، ج٤ ، ص٣١٢ .
(٦) تفسيره إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص٢٥٥ .

منه ليس إثبات الإعادة لمن أنكرها "[١] .

أما ابن عاشور فقد استعرض قول الزمخشري ، ثم علّق عليه بقوله : " يريد أن العدول عن الإضمار إلى الاسم الظاهر لتسجيل وقوع هذا الإنشاء الثاني ، فتكون الجملة مستقلة حتى تكون عنوان اعتقاد بمنزلة المثل ؛ لأن في اسم الجلالة إحضاراً لجميع الصفات الذاتية التي بها التكوين ، وليفيد وقوع المسند إليه مخبراً عنه بمسند فعلي معنى التقوى "[٢] .

وبعد هذا الاستعراض لأقوال بعض المفسرين يمكن أن نصل إلى القول بأن الحكمة من إضمار لفظ الجلالة عند البدء وإظهاره عند الإنشاء :

١- لما يحمله اسم الله من الصفات الذاتية التي يتفرد بها ، فناسب ذكره مع الإنشاء .

٢- ذكر في الآية السابقة لها اسم الله في البدء ، وهنا مع الإنشاء ، فتحقق بذلك وجود اسم الخالق في الجملتين : البدء والإنشاء .

٣- لما كانت الإعادة أعظم من البدء ، ومع هذا فهي أهون على الله ، أبرز لفظ الجلالة في الإنشاء لتسجيل وقوعه .

دلالة ذلك :

أ / التنبيه على قدرة الله في خلق هذا الكون وإعادته ليعترف بوحدانيته وواسع قدرته .

ب/ وفي إسناد الإنشاء إلى الله مزيد اعتناء بإثبات وقوعه وتفخيماً وتعظيماً لأمره .

وفي قوله تعالى : ﴿ إن اللهَ علَى كُل شيءٍ قَديرٌ ﴾ تعليل لما سبق ، وتأكيد على قدرته ﷻ على فعل كل شيء . كذلك تكرر ذكره ﷻ تنبيهاً على شمول علمه ونفوذ إرادته سبحانه وتعالى[٣] .

● الموضع السادس :

ولما فرغ إبراهيم عليه السلام من خطاب قومه فاجؤوه بجوابهم الذي يدلّ على تبجحهم وإعراضهم ، قال القادر المقتدر : ﴿ فَما كَانَ جواب قَومه إلا أن قَالُوا اقْتلُوه أَو حرقُوه فَأَنجَاه الله من النارِ إن في ذَلك لآيات لقَومٍ يؤمنونَ ﴾[٤] .

---

(١) روح المعاني ، للألوسي ، ج٢٠ ، ص١٤٨ .
(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٠ .
(٣) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٨ ، وتفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٥ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٢٤) .

لما بينت الآية السابقة كيف كانت حجج سيدنا إبراهيم لقومه قوية ، ودعوته حقيقة ، أخرست ألسنتهم فلم يستطيعوا الجواب عليه ، فاختاروا التخلص منه ، إما بالقتل أو الإحراق الموصل للقتل ، وفي هذا ابتلاء لسيدنا إبراهيم ﷺ ، فبالرغم من برهنته بالدلائل الحسية على صحة ما يدعو إليه ، إلا أنهم انتهوا إلى قرار همجي يقضي بإحراقه ، ونسوا أن قدرة الله فوق كلّ شيء ، فقد كافأ سبحانه صبر إبراهيم على قومه بأن أمر النار أن تكون برداً وسلاماً ، فما أحرقت إلا قيوده ليتحرر منها ، فسبحان الله الذي تخضع لقدرته الجبابرة منهزمين أذلاء .

وقد أجملت الآيات قصة إنجائه من النار ؛ لأنه سبق مجيئُها مفصلة في سورة الأنبياء عند قوله : ﴿ قَالُوا حرِّقُوه وانصروا آلهتكُم إن كُنتم فَاعلين ۝ قُلْنا يا نار كُونِي برداً وسلَاماً علَى إبراهيم ﴾[1].

موضع الأمر : ﴿ اقْتُلُوه أَو حرِّقُوه ﴾ أمر صادر من قوم إبراهيم ﷺ ، ولكن اختلف أهو أمر من الرؤساء للأتباع ، أم أنه قول القوم بعضهم لبعض[2] ؟.

فإن كان الأول فالأمر قد جاء على حقيقته على صيغة (أفعل) ، وهو للاستعلاء ، فلم يجد كبار القوم جواباً يردون به على سيدنا إبراهيم أمام قومهم وأتباعهم ، فاختاروا الهروب إلى الأمر بقتله أو حرقه ، وأما إن كان الأمر جارياً على لسان القوم فقد حمل معنى التشاور الذي استقر على إحراقه ، وقد جاء في حديث الألوسي وابن عاشور ما يفهم منه هذا المعنى ، حيث قال الألوسي : " وجاء الترديد هنا بين قتله وإحراقه ، فقد يكون ذلك من قائلين ناس أشاروا بالقتل وناس بالإحراق "[3].

أما ابن عاشور فقال : " ثم ترددوا في طريق إهلاكه بين القتل والإتلاف بالإحراق ، ثم استقر أمرهم على إحراقه لما دلّ عليه قوله تعالى : ﴿ فَأَنجَاه اللَّهُ من النارِ ﴾ "[4].

فظهر لي من كلامهما معنى التشاور ؛ حيث فهم من ترديد الأمر بين قائلين ، أو من التردد في طريق هلاكه ، ودلالة الأمر إذا كان جارياً على القوم بعضهم لبعض هو النصح والإرشاد إلى ما فيه الخلاص من إبراهيم ﷺ ، و عبروا عن إحراقه بلفظ (حرقوه) ؛ لما يفيده التشديد من المبالغة في إحراقه إلى حد الموت - والله أعلم - .

﴿ إن في ذَلك لآيات لقَومٍ يؤمنونَ ﴾ أشار سبحانه بـ (ذلك) إلى الإنجاء الذي جاء في قوله

---

(١) سورة الأنبياء : الآيتان (٦٨-٦٩) .

(٢) ينظر : الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٤ ، والتفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٤٦ .

(٣) في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٥٠ .

(٤) في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٥ .

﴿ فَأَنجَاهُ اللَّهُ ﴾ ، فأفاد التعريف بالإشارة بيان عظم درجة الإنجاء في العلو والبعد ، فهو عمل لا يقدر عليه إلا مالك الملك ، ثم أعقبه التأكيد بـ (إنّ ولام الابتداء) أن في إنجائه عليه السلام آيات ودلائل لا تعيها إلا بصائر المؤمنين . ومن دقة النظم الحكيم أنْ عبر بصيغة الجمع في (آيات) ، ولم يقل (آية) ؛ لما اشتملت عليه عملية إنجائه من الآيات الخوارق والدلائل المعجزات التي تصب في إطار وحدانية الله وعظيم قدرته ، إلا أن بلادتهم وأصالة كفرهم يجعلهم يعرضون عن كلّ هذا فيستمرون على وثنيتهم وكفرهم(1) .

وفي خاتمة الآية " تعريض بأنّ تلك الآيات لم يصدق بها قوم إبراهيم ؛ لشدة مكابرتهم وكون الإيمان لا يخالط عقولهم "(2) .

● الموضع السابع :

وفي تبجح من قوم لوط واستبعادهم لوقوع العذاب مقابل ما يرتكبونه من الفواحش ، والتي حذّرهم لوط عليه السلام من خيبة عواقبها ، يقول الجبار المتكبر على لسان لوط : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(3) .

لم يذكر في قصة لوط أنه دعا إلى عبادة الله ، بخلاف ما جاء في قصة إبراهيم وشعيب - عليهما السلام - ؛ لأن إبراهيم وشعيباً أتيا بعد انقراض من كان قبلهم من المؤمنين بالله ؛ لذلك جاء ذكر الدعوة معهم . أما لوط فهو ابن أخي إبراهيم ، وقد عاش في زمانه ، واشتهرت حينها دعوة إبراهيم إلى عبادة الله ؛ لذلك ذكر لوط بما اختص به من منع قومه من ارتكاب الفواحش والسيئات(4) .

وقد أخبر السياق القرآني للآيات بما كان يرتكبه قوم لوط من المنكرات ، والتي اقتضت من نبي الله أن يحذرهم الاستمرار فيها ويخوفهم من وقوع العذاب بهم ، إلا أنهم قابلوا ذلك بقولهم : ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ ﴾ استنكاراً واستبعاداً لصدق وقوعه حتى أتاهم اليقين ورأوه بأم أعينهم ، قال تعالى :

---

(1) ومن الآيات في ذلك :

١- أن جعل النار برداً وسلاماً فلم تؤذه .

٢- حلّت قيوده فحررته منها .

٣- تحول النار إلى روض يانع .

٤- إخماد النار في وقت يسير بالرغم من عظمها .

ينظر : البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٤ ، ونظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٥١ ، وأبو السعود ، ج٤ ، ص٢٥٦ .

(2) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٥ .

(3) سورة العنكبوت : الآية (٢٩) .

(4) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٥ .

﴿ إنا منزلُونَ علَى أَهلِ هذه الْقَرية رِجزاً من السماءِ بِما كَانوا يفْسقُونَ ﴾[1] .

موضع الأمر : ﴿ ائْتنا بِعذَابِ اللهِ ﴾ ، يبدو أنّ رد قوم لوط جاء بعد ما أمرهم ونهـاهم نبـيهم الكريم بالحسنى ، وحينما أصروا على طغيانهم خوفهم من عذاب الله[2] ، إلا أن تبجحهم وسوء طباعهم ساقهم إلى هذا القول في صيغة الأمر تكذيباً واستبعاداً لوقوع العذاب بهم .

وفي معنى الأمر ظهر لي من كلام أبي حيان أنه خرج إلى التكذيب ، حيث قال : " ولما وقّفهـم لوط عليه السلام على هذه القبائح أصروا على اللجاج في التكذيب ، فكان جوابهم له : ﴿ أن قَـالُوا ائْتنـا بِعذَابِ اللهِ إِن كُنت من الصادقين ﴾ فيما تعدنا به من نزول العذاب ، قالوا ذلك وهم مصممون على اعتقاد كذبه فيما وعدهم به "[3] .

أما ابن عاشور فقد ذهب إلى القول بأنّ " الأمر في ﴿ ائْتنا بِعذَابِ اللهِ ﴾ للتعجيز ، وهو يقتضـي أنه أنذرهم العذاب في أثناء دعوته "[4] .

وأضاف سيد قطب أنّ في قولهم تحدياً مصحوباً بالتكذيب[5] .

وأستطيع القول بعد هذا العرض أنّ الأمر في الآية خرج إلى التكذيب ، ويمكن أن يتبعه التحـدي والتعجيز ، فجميعها معان تصب في إنكارهم لوقوع العذاب واستبعادهم له . وقد عبروا بالاسم الأعظم - الله - زيادة في الجرأة[6] .

وجاء قولهم : ﴿ إِن كُنت من الصادقين ﴾ مؤكداً لمعنى التكذيب الذي حمله أمرهم .

- الموضع الثامن :

قال سبحانه : ﴿ وإِلَى مدين أَخاهم شعيباً فَقَالَ يا قَومِ اعبدوا الله وارجوا الْيوم الآخر ولا تعثَـوا

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٣٤) .

(٢) ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٣٣ .

(٣) البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٥ . ويتبعه في القول بهذا المعنى الشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص٢٠١ ، وروح المعاني ، للألوسـي ، ج٢٠ ، ص١٥٣ ، وأضاف عليها معنى السخرية .

(٤) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤١ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٣٣ .

(٦) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٥٤ .

في الأرضِ مفْسِدين ﴾[1] .

﴿ وإلى مدين ﴾ عطفٌ على ﴿ ولَقَد أرسلْنا نوحاً ﴾ ، والتقدير : وأرسلنا إلى مـدين أخـاهم شعيباً ، وجاء ذكر قصة شعيب بعد قصة افتتان لوط ؛ لمناسبة حسنة ، فمدين من أبناء إبراهيم عليه السلام ، أنجاه الله من الهلاك كما أنجى لوطاً عليه السلام .

﴿ فَقَالَ يا قَومِ ﴾ إن لمجيء النداء قبل أسلوب الأمر مناسبة بليغـة في لفـت أذهـان المخـاطبين إلى أهمية الأمر المراد اتباعه وتهيئة النفوس لتلقّيه ، كذلك لاستمالة قومه ، حيث يذكّرهم بالرابطـة الـتي تربطه بهم .

وللدكتور أبي موسى تعليق جدير بالذكر على مثـل هـذه السـياقات ، حيـث يقـول : " مما يقوى به أسلوب الأمر وقوعه بعد النداء ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقُوا ربكُـم ﴾ ، فالنداء يوقظ النفس ويلفت الذهن ؛ لأنه طلب ودعاء ، فإذا ما جاء الأمر صادف نفسـاً مهيـأة يقظة فيقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحس واعٍ وذهنٍ متنبه ، وهـذا دليـل علـى عنايـة الآمر بأمره ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه "[2] .

موضع الأمر : ﴿ اعبدوا الله وارجوا الْيوم الآخر ولا تعثَوا في الأرضِ مفْسِـدين ﴾ ، الأمـر في (اعبدوا) يعني التوحيد وتخصيص الله بالعبادة ونبذ ما سواه ، وذكر لفظ الجلالة دلالة على استحقاق الله للعبادة وحده دون شريك . والأمر هنا جاء على لسان شعيب عليه السلام ، والغرض منه النصح والإرشـاد إلى الواجب نحوه سبحانه .

- الأمر الثاني : ﴿ وارجوا الْيوم الآخر ﴾ أمر بفعل ما يترتب الرجاء عليه من ترقب ذلك اليـوم واعتقاد وقوعه في المستقبل ، والمعنى : (افعلوا ما ترجون به ثواب الله) ، فأقام المسبب مقام السـبب . وقال البعض : الرجاء بمعنى الخوف ، أي : خافوا جزاء اليوم الآخر إن لم تعبدوا الله[3] .

ومن سياق الآية ظهر لي أنّ الأمر هنا خرج إلى معنى النصح بإعداد العدة لذلك . وقد " تضـمن الأمر بالعبادة والرجاء أنه إن لم يفعلوا ذلك وقع بهم العذاب "[4] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٣٦) .

(٢) دلالات التراكيب ، ص٢٥٦ .

(٣) ينظر : الزمخشري في الكشاف ، ج٣ ، ص٤٥٧ .

(٤) أبو حيان ، ج٧ ، ص١٤٧ .

ولمجيء الأمر بالرجاء بعد العبادة دلالة " على التفضل لا على الوجوب ، فإن الفضـل يرجـى ، والواجب من العادل يقطع به "[1]، ولأنّ عبادة الله يرجى منها الخير دوماً في الدارين ، عبر عن العبادة بطريق الإثبات لا النفي .

● الموضع التاسع :

قال العلي الكبير مخاطباً محمداً ﷺ : ﴿ اتلُ ما أُوحي إليك من الْكتابِ وأقمِ الصـلاَةَ إن الصـلاَةَ تنهى عنِ الْفَحشاء والْمنكرِ ولَذكْر اللهِ أكْبر واللهُ يعلَم ما تصنعونَ ﴾[2] .

لما لقي محمد ﷺ من المشركين الإعراض والتكذيب ، جاءه أمر الله بتلاوة القرآن لتسليته وتذكيره بأنّ حاله كحال من سبقه من الأنبياء والمرسلين في تكذيب الأقوام لهم وصدهم عن الدعوة ، إلا مـن رحم ربي ، وفي هذا حفز لرسول ﷺ على مواصلة الدعوة وإعلاء كلمة الله . كما أنه يربط الكتـاب الذي أوحي إلى محمد ﷺ والصلاة بالحق الذي في السموات والأرض[3] .

موضع الأمر : ﴿ اتلُ ما أُوحي إليك من الْكتابِ وأقمِ الصلاَةَ ﴾ ، الخطاب في الآية موجـه إلى نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - ، ومعلوم أنه أفضل من صلّى وصام وتلا القرآن ، ولكـن أتـى أسلوب الأمر (اتلُ - وأقم) لغرض الدوام والثبوت ، أي : داوم واثبت على ما أنت عليه مـن تـلاوة الكتاب وإقامة للصلاة ، كذلك لحثّ المؤمنين المحيطين بالرسول على الاستمرار في إقامة تلك العبادات . وإذا كان ذلك مطلوب من الرسول الكريم ، فهم أولى بالتمسك والحرص على تنفيذ تلك الأمور .

وجاء التعبير بالأمر لسر بلاغي ، وهو طلب المداومة والاستمرار على تلك الأمور ، كذلك للإشارة " إلى بسطة سلطان الربوبية وغلبتها وتفردها بالأمر والنهي ، وأن البشرية في أسمى صورها النبوة تـؤمر وتنهى ، وهذا تعميق للفرق بين الألوهية والنبوة "[4]. وبهذا يؤكد أسلوب الأمر أنه رغم مكانته ﷺ ، فإنه يظلّ بشراً من خلق الله يؤمر وينهى .

و قيل في معنى فعل الأمر (اتلُ) أنه من التلاوة ، وهي من باب القول[5]، وقيل : التلاوة : القراءة ، أي : قراءة المكتوب بإتباع بعض الحروف بعضاً وعرض المحفوظ عن ظهر قلب ، أو السرد وحكايـة

---

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٨ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٥) .

(٣) ينظر : المرجع السابق ، وابن عاشـور في التحريـر والتنـوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٥٧ ، وسـيد قطـب في الظـلال ، ج٥ ، ص٢٧٣٨ .

(٤) دلالات التراكيب ، ص٢٥١ .

(٥) ينظر : الزمخشري في الكشاف ، ج٢ ، ص٧٤ ، وأبو السعود ، ج٢ ، ص٢١٩ ، وذلك عند سورة الأنعام : الآية (١٥١) .

اللفظ[1] .

ولقد دلّ الأمر بتلاوة القرآن على شرفه ﷺ لاختصاصه به ، والحثّ على مداومة تلاوته تقرباً إلى الله ، وتذكيراً بما فيه من المعاني ، وبالتالي حمل الناس على العمل به[2] .

- أما الأمر الثاني : ﴿ وأقمِ الصلاةَ ﴾ ، فإذا أحسن المرء تلاوة القرآن فعليه بإقامة العمل الذي لا يصح إلا به ، وقد جاء التعبير بهذا اللفظ (أقم) دون غيره ، نحو : (صل ، أو أد) لسر بلاغي ، فإقامتها تعني أداءها والمداومة عليها في وقتها كاملة مستوفاة[3] .

وأضاف ابن عاشور أنّ " الأمر بالإقامة يؤذن بأنه عمل واجب ؛ لأن الإقامة إيقاع العمل على ما يستحقه "[4] . ثم علّل سبحانه وتعالى الأمر بإقامة الصلاة بالتأكيد على ما فيها من قوة رادعـة لتقـويم النفس البشرية ، فقال تعالى : ﴿ إن الصلاةَ تنهى عنِ الْفَحشاء والْمنكرِ ﴾ ، وهذا دالّ على عظَم شأن الصلاة و " فخامة أمرها ، وأنه مما يخفى على غالب الناس "[5] مدى أهميتها . وتتفاوت درجات النهي على تفاوت أداء الناس للصلاة ، فمنهم من يؤديها كاملة الخشوع والتدبر والخضوع كما ينبغي للصلاة المشروعة ، ومنهم من هو أقلّ من ذلك ، وعلى قدر حضور القلـب في الصـلاة يكـون النـهي . وفعل النهي عائد على الصلاة ، وهو مجاز عقلي علاقته السببية ، أي أن الصلاة تيسر للمصلي الانتهاء عن الفحشاء والمنكر .

والتعريف في قوله : (الفحشاء والمنكر) تعريف الجنس ، " فكلّما تذكّر المصلي عند صلاته عظمة ربه ووجوب طاعته ، وذكر ما قد يفعله من الفحشاء والمنكر ، كانت صلاته حينئذ نهته عن بعض أفراد الفحشاء والمنكر "[6] .

ولم يكن المقصود من الأمر محمداً ﷺ وحده ، بل ومن كان حوله من المسلمين ، وقد أشارت خاتمة الآية إلى ذلك : ﴿ **وَاللهُ يَعلم مَا تَصنَعونَ** ﴾ ، فجاء الجمع دالاً على عموم الأمر بالتلاوة والصلاة . وقرر بالصلة (ما تصنعون) شمولية علم الله ، فهو أمر ثابت لا يشك فيه .

---

(١) ينظر : البقاعي ، ج٢ ، ص٧٤٠ ، سورة الأنعام : الآيـة (١٥١) ، وابـن عاشـور ، م١ ، ج١ ، ص٦٢٩ ، سـورة البقـرة : الآية (١٠٢) ، والآية (١٥١) من سورة الأنعام في : م٥ ، ج٨ ، ص١٥٥ .

(٢) ينظر : : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٦٣ ، و الألوسي ، ج٢٠ ، ص١٦٣ .

(٣) ينظر : روح المعاني ، ج١٢ ، ص١٦٥ ، وسيد قطب ، ج٤ ، ص١٩٣٢ ، كلاهما عند الآية (١١٤) من سورة هود .

(٤) التحرير والتنوير ، م٦ ، ج١٢ ، ص١٧٩ ، عند الآية (١١٤) من سورة هود .

(٥) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٦٣ .

(٦) الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ج٢٠ ، ص٢٦٠ .

● **الموضع العاشر :**

وفي تهذيب القرآن للمؤمنين ليرتقوا في تعاملاتهم ودعوتهم للآخرين ، قال الحسيب الجليل :

﴿ **وَلاَ تجَادلُوا أهلَ الكتَابِ إلا بِالتي هيَ أحسَن إلا الذينَ ظلَموا منهم وَقولُوا آمنا بِالذي أنزلَ إليَنا وَأنزلَ إليكُم وَإلهَنا وَإلهكُم وَاحد وَنحن له مسلمونَ** ﴾ [1] .

لما أمر الله في الآية السابقة النبي المصطفى والمؤمنين بتلاوة القرآن وإقامة الصلاة ، كان هذا أدعى إلى أن يلتزموا بالأخلاق الحسنة في تعاملاتهم مع الآخرين ودعوتهم إلى عبادة الله ، خاصة إذا كان هذا الآخر من أهل الكتاب ؛ لاتفاقهم معنا في توحيده والاعتراف بألوهيته .

موضع الأمر : ﴿ **وَقولُوا آمنا** ﴾ ، والأمر هنا من جنس المجادلة بالحسنى[2]، وقد جاء على أصله للاستعلاء ، حيث كان الأمر من الأعلى - وهو الله - إلى الأدنى - وهم العباد - على صيغة (افعلوا) - والله أعلم - ؛ لإيضاح نقاط الاتفاق والاتصال بينهم ليتم الجدال بالحسنى حول ما هو مخالف للعقيدة الإسلامية .

وبعد أن تمت المجادلة على مواضع الاختلاف ، تبعه ذكر لما يتفق عليه الفريقان : ﴿ **وَقولُوا آمنا بِالذي أنزلَ إليَنا وَأنزلَ إليكُم وَإلهَنا وَإلهكُم** ﴾ الآية ، فعبر بالصلة ﴿ **بِالذي أنزلَ** ﴾ " للتنبيه على خطأ أهل الكتاب ؛ إذ جحدوا أن ينزل الله كتاباً على غير أنبيائهم "[3]، ثم قال : ﴿ **وَإلهَنا وَإلهكُم وَاحد** ﴾ ، وهذا يثبت أنّ أهل الكتاب والمسلمين يجمعهم هدف واحد ، وهو الإيمان بالله وحده ؛ مما لا يجعل في دعوتهم بالحسنى صعوبة أو عقبة إلا من ظلم منهم واستمر في كفره وعناده .

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ نكّر (مسلمون) للعموم ، فهي تشمل الطرفين المتكلمين من المؤمنين والمخاطبين من أهل الكتاب[4] .

● **الموضع الحادي عشر :**

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤٦) .

(٢) ينظر : الزمخشري في الكشاف ، ج٣ ، ص٤٦١ .

(٣) الطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٧-٨ .

(٤) ينظر : المرجع السابق .

قال الوالي المتعال في ذكر مقالة الجاحدين لآية القرآن وإعجازه : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [1] .

وذلك بعد أن وصفهم في الآيات الثلاث السابقة لها بالكافرين والمبطلين والظالمين ، فلم يكتف المشـركون بالإعراض عن نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام ، بل أخذوا في محاجته ، فطلبوا أن يأتي لهم بمعجزة مرئية كالتي صارت على أيدي الأنبياء من قبله ، متجاهلين أعظم معجزة خالدة ؛ القرآن الكريم ؛ لأن قلوبهم وعقولهم قـد حجِبت بظلمة كفرهم عن إدراك كُنه وعمق أسراره ، فهم لا يرتقون إلى شرف فهمه .

موضع الأمر : ﴿ قُلْ إنما الآيات عند اللهِ ﴾ ، أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد بالرد عليهم بأنّ أمر المعجزات بيد الله تعالى ينزلها متى شاء وكيفما أراد ﷻ ، فما أنا إلا نذير . والأمر جاء علـى أصله للاستعلاء ؛ لأن الآمر هو الله سبحانه وتعالى .

﴿ إنما الآيات عند اللهِ ﴾ قصر أفاد اختصاص الله وتفرده بإنزال المعجزات ، فهو رب كل شيء ومالكه .

﴿ وإنما أنا نذيرٌ مبِينٌ ﴾ أسلوب قصر ، حيث قصر الرسول على كونه نذيراً ، ونفى عنه أن يكون قادراً على المجيء بالآيات كما طلب منه القوم ، أي ليس من شأنه خلق المعجزات . والقصر في الموضعين قصر قلب[2] .

● **الموضع الثاني عشر :**

قال الشهيد الحق : ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [3] .

ولما استمر تكذيب المشركين لسيد البشرية أجمعين ، أتاه الأمر الإلهي بأن يوكل أمره إلى الله الحكم العدل بينه وبينهم ، فهو شاهد على كلّ ما حدث بعلمه الشامل لما في السموات والأرض .

موضع الأمر : ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ** ﴾ ، فعل الأمر (قل) موجه إلى رسول الله ، وقد جاء على حقيقته للاستعلاء ؛ لأنه أمر من الله إلى نبيه ، أما ما جاء بعد فعل الأمر فهو إنذار وتهديد للمشركين[4] ، فالله

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٠) .

(٢) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٦٨ ، والألوسي في روح المعاني ، ج٢١ ، ص٦ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٥٢) .

(٤) ينظر : الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٧١ .

العالم بما قابلتم به محمداً من التكذيب والإنكار ، فكل سيجازى بما يليق به . وورد الكلام هنا على الإنصاف لاستدراج المخاطب(١) .

والباء في ﴿ **كَفَى بِاللهِ** ﴾ للتأكيد . ﴿ **يَعلَمُ مَا في السمَاوَاتِ وَالأَرضِ** ﴾ ، تقريرٌ لمعنى الاكتفاء بالله شهيداً(٢) . ﴿ **وَالذينَ آمَنوا بِالبَاطِلِ وَكَفَروا بِاللهِ** ﴾ أفاد العطف :

أولاً : تأكيد كفرهم .

ثانياً : بيان قبح المعطوف عليه ، وهو إيمانهم بالباطل(٣) .

وقد اشتملت الآية على طباق بين : (آمنوا - كفروا) .

﴿ **أُولَئِكَ هم الْخَاسرونَ** ﴾ ، تعريف باسم الإشارة أفاد التنبيه على أنّ المشار إليهم - وهم المشركون - استحقوا الخسارة مقابل إيمانهم بالباطل . كما اشتملت الآية على القصر في ﴿ أُولَئك هم الْخاسرونَ ﴾ ، فقد قصر صفة الخسران على الكافرين للمبالغة في استحقاقهم لهذه الصفة دون غيرهم(٤)، فالرسول أدى ما عليه من الإبلاغ والإنذار ، والفاصل بعد ذلك الله سبحانه وتعالى .

● **الموضع الثالث عشر :**

ومن تسلسل الآيات يتبين أن عاقبة الكافرين لا تقتصر على التعذيب الجسدي ، بل ويتبعه عذاب نفسي ، حيث يقول الظاهر الباطن : ﴿ **يَومَ يَغشَاهم الْعَذَابُ من فَوقِهم وَمن تَحت أَرجلهم وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ (٥) .

﴿ **يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ** ﴾ متعلق بـ(محيطة) في قوله سبحانه : ﴿ **يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ ، أي أنّ جهنم محيطة بهم من كلّ مكان ؛ ﴿ **مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ** ﴾ ،

---

(١) ينظر : الكشاف ، ج٣ ، ص٤٦٤ ، التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٦ .
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٣ .
(٣) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٧١ .
(٤) ينظر : المرجع السابق .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (٥٥) .

وهذا تصوير لشمول الإحاطة[1]، ولا يخفى ما لهذه الصورة من تفظيع لحالهم . وتأكيداً لمعنى الغشيان وتعميمه قال ﴿ مِن فَوْقِهِمْ ﴾[2]، كذلك جاء ذكر الأرجل " للدلالة على أنهم لا يقرون ولا يجلسون ، وذلك أشدّ العذاب "[3] . وفي تلك الصورة كناية عن إحاطة العذاب بهم من كل جانب ، وهي كناية إيماء ؛ لذلك عدل عن ذِكر الجوانب المتبقية ؛ لأن المعنى قد وضح . وعرّف العذاب بلام الجنس للتهويل والتعظيم من شأنه .

موضع الأمر : ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ ﴾ ، خرج فعل الأمر (ذوقوا) عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي ، وهو كما قال الرازي : على سبيل التنكيل والإهانة[4] .

أما سيد قطب فقال عند تعليقه على هذا الجزء من الآية : " وهو مشهد مفزع في ذاته ، يصاحبه التقريع المخزي والتأنيب المرير : ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ ﴾ "[5]، والظاهر أنه يقول في الأمر معنى التقريع والتأنيب ، فكلا القولين يصبان في قالب هو الإهانة والتقريع ، حيث اختيرت كلمة (ذوقوا) زيادة في التعذيب والإهانة ، ففي عظم العذاب ومعاناة آلامه لا يستطيعون أن يذوقوا إلا حميماً وغساقاً ، وهذا سر التعبير بأسلوب الأمر في معنى الإهانة هنا - والله أعلم - . وأطلق المسبب على السبب ، فعملهم كان سبباً لعذابهم[6] .

قال الألوسي : " ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ ﴾ أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا "[7]، موطن المجاز المفعول به (ما) المراد به عملهم . ولما صار معنى الكلام : (ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون) كان في (ما) مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث أطلق السبب : (العمل) ، وأريد : المسبب (الجزاء) .

- **الموضع الرابع عشر :**

---

(١) ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٤٨ .
(٢) ينظر : روح المعاني ، ج٢١ ، ص٩ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٧٣ .
(٥) في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٤٨ .
(٦) ينظر : نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧١ .
(٧) روح المعاني ، ج٢١ ، ص٩ .

قال المؤمن المهيمن عند دعوته للمؤمنين للفرار بدينهم : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [1] .

حينما فُتن المؤمنون في دينهم بالتعذيب من المشركين ، ولم يجدوا الراحة الكاملة في أداء عبادتهم ، حينها خافوا على إيمانهم من الضعف ، جاءهم النداء الإلهي بالهجرة إلى حيث يكون الأمان والاطمئنان في العبادة . وإعراضاً عن المكذبين والجاحدين يأتي خطاب الله التفاتاً إلى الآذان الصاغية والقلوب الصادقة والعقول الواعية إلى أوامر ربها . وسيأتي الحديث في النداء فيما بعد - بإذن الله - .

﴿ **إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ** ﴾ أُكدت الجملة بإن " تنبيهاً على أنّ حال مَن ترك الهجرة حال من يظنّ أن الأرض ضيقة "[2] .

ولا يخفى ما للنداء من دور في تقوية الأمر وبيان أهميته - وسبق أن أوضحت ذلك -[3] ، وفي الجمع بين النداء والأمر بيان للطف الله بعباده وعلمه أنّ ترك بلاد المنشأ بلاء لا يهون إلا في سبيل الله .

موضع الأمر : ﴿ **فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾ ، أمر من الله لعباده المضطهدين في دينهم بالهجرة ليتمكنوا من إخلاص العبادة لله والاستمرار في توحيده ، والأمر هنا على أصله من الوجوب ؛ لأنه صادر من الله تعالى . ومما يلفتنا إليه النظم الحكيم أن عبر في أول الآية بالنداء (يا عبادي) ، أي أنهم عابدون له ، ثم ختمها بالأمر بالعبادة ، وفي هذا تأكيد الإخلاص في العبادة والمداومة عليها تحت أي ظرف[4] .

ولقد أفاد تقديم المفعول وحذف جواب الشرط في قوله : ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ معنى الاختصاص والإخلاص في العبادة ، وتقدير المحذوف هو : إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها[5] ، فناسب بذلك مجيء الحذف والتقديم ، تأكيداً لعبادة الله .

وحذفت ياء المتكلم في (فاعبدون) بعد نون الوقاية " تخفيفاً ، وللرعاية على الفاصلة "[6] ، مع أنّ مجيء

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٦)

(٢) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٢ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ص٦٧ ، آية (٣٦) .

(٤) ينظر : التفسير الكبير للرازي ، ج٢٥ ، ص٧٤ .

(٥) ينظر : الزمخشري في الكشاف ، ج٣ ، ص٤٦٥ ، البحر المحيط ، لأبي حيان ، ج٧ ، ص١٥٣ ، تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٥ .

(٦) ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٢ .

الحذف في النظم الحكيم جاء لمعنى سامٍ وسر بليغٍ لا يقف عند مراعاة الفاصلة فقط - والله أعلم -[1].

● **الموضع الخامس عشر :**

واستمراراً لرصد الأدلة على وحدانية الله واعتراف المشركين بذلك ، قال المحيي المميت : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾[2].

وبعد سلسلة من الآيات الدالة على صانع هذا الكون ومبدعه ، ومن ثَم اعتراف المشركين وإقرارهم المتكرر على أنّ القادر على ذلك هو الواحد الأحد سبحانه وتعالى ؛ وفي كلّ هذا إثبات بالحجة القاطعة على صدق محمد ﷺ وحقيقة ما يدعو إليه ، ناسب أن يقابل هذا الدعم الإلهي بالحمد له كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه . ولم يكن أمر الله لنبيه محمد ﷺ بالحمد لأن ذلك لم يكن منه ؛ ولكن لتأكيد فضل الله عليه بأن نصره بالحجة القاطعة ، فأظهر صدق دعوته وبطلان حججهم واعتراضاتهم .

موضع الأمر : ﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ حذف متعلق الحمد ، وتقديره : (الحمد لله على ذلك)[3]، وهو أمر بالحمد على كلّ ما أوضحته الآيات بدءاً من قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ...** ﴾ إلى هذه الآية ، وما كان من أفعاله سبحانه وتعالى من خلق ورزق وإحياء وإماتة ، كذلك يستحق أن يحمد ﷻ على ما كشفته الآيات من بطلان ما يعبده المشركون من الأصنام ، وذلك باعترافهم أنّ صانع هذا كله هو الله سبحانه وتعالى .

وقد جاء المراد من الأمر الثبات والدوام ؛ لأنه خطاب للمعصوم ﷺ ، وفي هذه الآية ﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ وقع الأمر بعد ذكر نصرة النبي باعتراف المشركين بالمالك الحقيقي لهذا الكون ، فاستحق سبحانه الحمد ، فيكون الأمر قد جاء على أصله - والله أعلم - .

والأمر هنا له غرضان بلاغيان :

---

(١) ينظر : وجوه التناسب بين فواصل السورة ص٢١١ من هذا البحث .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٣) .

(٣) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٠ .

" ١- الهتاف باستحقاق الله للحمد على نعمه : الخلق ، والتسخير ، وتنزيل الماء ، وإخراج النبات لنفع الناس ، والدواب ، وازدهار الحياة - وهو مفهوم الثبات والدوم - .

٢- التعريض بالأصنام وعابديها ؛ لعدم قدرتها على النفع والضر ، وتسفيه عابديها وتحقيرهم "[١] .

● **الموضع السادس عشر :**

قال الغني العظيم : ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهم وَلِيَتَمَتعوا فَسَوفَ يَعلمونَ** ﴾ [٢] .

لقد أوضحت الآيات السابقة كيف كانت أقوال الكافرين وتصرفاتهم مسلوبة العقل ، حيث يقرون بوحدانية الله ، وفي الوقت نفسه يعبدون غيره ، كما يلجؤون إليه عند تلاعب الأمواج بالفلك وهي تحملهم ، وسرعان ما يعودون إلى طغيانهم وكفرهم إذا استقروا إلى البر ، وكل هذا كان أدعى لأن يقال لهم ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهم وَلِيَتَمَتعوا فَسَوفَ يَعلمونَ** ﴾ ، فهناك موعد لا خلاف على وقوعه سيجدون فيه ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً .

موضع الأمر : ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهم وَلِيَتَمَتعوا** ﴾ ، لقد جاءت اللام في الفعلين على قراءتين : إحداهما الكسر ، وهي قراءة ورش عن نافع وأبي عمر وابن عامر وعاصم ، والأخرى بالسكون ، وهي قراءة ابن كثير والأعمش وحمزة والكسائي[٣] .

فقال الزمخشري في ذلك : " واللام في (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كي ، وكذلك في (ليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر . والمعنى : أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا - بالعودة إلى شركهم - كافرين بنعمة النجاة ... وأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ (وليتمتعوا) - بالسكون - تشهد له ... وهو مجاز عن الخذلان والتخلية ، وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية "[٤] .

ولقد تبعه في ذلك الرازي وأبو حيان ، إلا أنهما اختلفا عنه في المعنى الذي يخرج إليه الأمر ، فعندهما للتهديد ، كذلك الشوكاني يقول : إنّ الأمر للتهديد والوعيد[٥] .

ثم يأتي الألوسي ومن ثمّ ابن عاشور ليوضحا كيف دخلت لام (كي) المكسورة على المسبب ، وهو

---

(١) من التفسير البلاغي للاستفهام ، للمطعني ، ج٣ ، ص ٢٣٧ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٦) .

(٣) ينظر : أبو حيان ، ج٧ ، ص١٥٥ .

(٤) الكشاف ، ج٣ ، ص٤٦٨ ، (بتصرف) .

(٥) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٨١ ، أبوحيان ، ج٧ ، ص١٥٥ ، والشوكاني ، ج٤ ، ص٢١٢ .

كفران النعمة ، وكان السبب شركهما . أما إن كانت اللام ساكنة فهي لام أمر ، فقد جمع الألوسي بين المعنى الذي قاله الزمخشري والمعنى الذي خرج إليه من جاء بعده ، فيقول : " والأمر في الكفران والتمتع مجاز في التخلية والخذلان والتهديد "[١] .

وبعد استعراض آراء بعض المفسرين الكرام ، أقول : إنّ اللام في (ليكفروا) و (ليتمتعوا) لها وجهان :

الأول : أن تكون اللام في الفعلين مكسورة ، وبهذا تصبح لام (كي) التي للتعليل ، أي فقد عادوا إلى شركهم في السراء بعد لجوئهم إلى الله في الضراء ، وهذا - أي شركهم - سبب للكفر بنعمة الله . وفي اللام استعارة ، سنأتي على ذكرها بإذن الله .

الثاني : أن تكون اللام ساكنة ، وبهذا تكون لام الأمر للتهديد والوعيد ، فعند النظر إلى سياق الآية التي قبلها : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[٢] ، نجد أنّ الكفر قد أصبح متأصلاً فيهم بالرغم من علمهم اليقيني بأن لا إله إلا الله ، بدليل أنهم يلجؤون إليه في أوقات الشدة ، ولكنهم يعودون إلى ما هم عليه من الكفر والعصيان بعد النجاة ؛ لذلك استحقوا غضب الله ، فجاء أسلوب الأمر يحمل التهديد والوعيد ؛ لشدة العذاب الذي سوف يلقونه ، فكأنه سبحانه وتعالى يقول لهم : ازدادوا من الكفر وتمتعوا بالعصيان ؛ لتلقوا من العقاب ما تستحقون ، وهذا هو سر بلاغة التعبير بالأمر في مقام التهديد والوعيد[٣] . ثم أكد بحرف التسويف ﴿ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ أنه وعد لا خلف فيه .

ثالثاً : النهـي :

ومن الإنشاء الطلبي : أسلوب النهي ، وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وله صيغة واحدة ، وهي دخول (لا) الناهية على الفعل المضارع ، أي : (لا تفعل)[٤] ، نحو ما جاء في قوله

---

(١) روح المعاني ، ج٢١ ، ص٣٠ . وكذلك يرى ابن عاشور معنى التهديد في الأمر . ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٥) .

(٣) يمكن العودة إلى كتاب الأمر والنهي ، د. محمود توفيق ، الناشر : مطبعة الأمانة ، مصر ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، من ص٢٨ إلى ص٣٠ ، فقد فصل القول في الآية .

(٤) ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ص٦٤٢ ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، لعبد المتعال الصعيدي ، الناشر : مكتبة الآداب القاهرة ، طبعة : نهاية القرن ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ج٢ ، ص٤٩ .

تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْرَبواْ الزِنَى إنه كَانَ فَاحشَةً وَسَاء سَبِيلاً** ﴾ [1]. وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الأصلي إلى معان مجازية يشير إليها السياق ومناسبة المقام .

وفي سورة العنكبوت جاء ذكر أربعة سياقات نهي ، كان أولها عند الآية التي نزلت في شأن سعد ابن أبي وقاص عندما علمت أمه بإيمانه . قال الله تعالى : ﴿ **وَوَصيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيه حسناً وَإِن جَاهَدَاكَ لتشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلا تطعهمَا إِلَي مَرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ [2].

عرضت سورة العنكبوت سلسلة من صور ابتلاءات المؤمنين ، كان من بينها : افتتان الابن المؤمن بأبوين مشركين - كسعد بن أبي وقاص ، وعياش بن أبي ربيعة - ، فقد يتعرض من خلالهما إلى ضغوط تحرض على تركه لدينه ، وهذا هو المحك الذي تتجلى عنده قوة الإيمان في التوازن بين تمسكه بدينه وطاعته لوالديه ، فيأتي النص القرآني ليعينه في التوفيق بين الأمرين ، فإذا كانت الوصاية بالوالدين خيراً فإنه يتبعها نهي عن طاعتهما إذا أمرا بالشرك بالله .

<u>موضع النهي</u> : عند قوله ﷻ : ﴿ **فَلا تطعهمَا** ﴾ ، سبق وأن تطرقت إلى أسلوب الأمر في الآية ﴿ **وَوَصيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيه حسناً** ﴾ [3]، والذي عطف عليه : ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ لتشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلاَ تطعهمَا** ﴾ نهي عن طاعتهما في الشرك بالله ، وجاء النهي هنا على أصله .

فالآية بدأت بالوصاية حسناً بالوالدين كمقدمة للمقصود من الآية ، وهو النهي عن اتباع رغبتهما في الشرك بالله ، وفي هذا تقرير لحكم الإحسان للوالدين في كلّ وقت ، إلا في حال الشرك بالله ، " حتى لا يلتبس على المسلمين وجه الجمع بين الأمر بالإحسان للوالدين ، وبين الأمر بعصيانهما إذا أمرا بالشرك ؛ لإبطال قول أبي جهل (أليس من دين محمد البر بالوالدين) ؟ "[4]. وبهذا يؤكد مجيء النهي عن طاعتهما بعد الأمر ببرهما أن كلّ حق مهما عظُم ساقط إذا قابل حق الله[5].

---

(1) سورة الإسراء : الآية (٣٢) .

(2) سورة العنكبوت : الآية (٨) .

(3) يمكن العودة إلى مبحث الأمر الموضع الأول ، ص٥٦ .

(4) التحرير والتنوير ، لطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٣ .

(5) ينظر : الكشاف لزمخشري ، ج٣ ، ص٤٤٦ .

وجاء نفي العلم في قوله تعالى : ﴿ **مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْم** ﴾ كناية عن نفي الشيء لنفي عدم العلم به ، " كأنه قال : لتشرك بي شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً ولا يستقيم "[١]، كذلك " للإيذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه ، فكيف بما علم بطلانه ؟ "[٢]، ونكّر العلم للتحقير من شأن ما اتخذوه إلهاً من دون الله[٣].

وفي ﴿ **إِلَيّ مَرجِعكُم** ﴾ تذكير لكل من ابتلي وافتتن أنّ مآل الأمور ومرجعها إلى الله ، سواء من ثبت على دينه أو تنازل عن عقيدته . وأما قوله ﴿ **فَأُنبِئُكُم** ﴾ أي : أخبركم ، فكناية عن سعة علم الله بخفايا الأمور وظاهرها .

● **الموضع الثاني :**

قال - سبحانه - حكايةً لما قالته الملائكة للوط عليه السلام : ﴿ **وَلَما أَن جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهِم وَضَاقَ بِهِم ذَرعاً وَقَالُوا لا تَخَف وَلا تَحزَنْ إنا مُنجوكَ وَأَهلَكَ إلا امرَأَتكَ كَانت مَنَ الغَابِرينَ** ﴾[٤] .

لوط هو أحد الأنبياء الذين ابتلوا بأقوامهم ، فبعد أن دعاهم أوضح لهم سوء ما يرتكبون من الفواحش ، إلا أنهم لم يرتدعوا ولم يقلعوا ، فلجأ عليه السلام إلى ربه طالباً النصر منه : ﴿ **قَالَ رَب انصرنِي عَلَى القَومِ المُفسِدينَ** ﴾[٥]، وجاءه الرد الإلهي بإرسال الملائكة لتخبره بأنّ وعد الله آت ، وكانوا على هيئة رجال ، ولم يكن عليه السلام يعلم بحقيقتهم ، فاستاء عند رؤيتهم خوفاً عليهم من شذوذ قومه ، فطمأنوه بقولهم : ﴿ **لا تَخَف وَلا تَحزَنْ** ﴾ ، فناسب بذلك استخدام أسلوب النهي في تخفيف ما يجده لوط من الاستياء والحزن .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص٢٥١ .

(٣) ينظر : الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٣٨ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٣٣) .

(٥) سورة العنكبوت : الآية (٣٠) .

موضع النهي : ﴿ لا َتخَف وَلا َتحزَنْ ﴾ ، حيث اشتملت الآية على فعلي نهي موجهان إلى سيدنا لوط ؛ الأول : ﴿ لا َتخَف ﴾ ، أي : علينا من قومك ، فنحن رسل ربك لن يمسونا بسوء ، ثم عطف عليه ﴿ لا َتحزَنْ ﴾ ، أي : على من سيهلك من قومك المذنبين المكذبين ؛ لأنهم يستحقّون ما سيحلّ بهم .

والمقصود من النهي في الفعلين : ﴿ لا َتخَف وَلا َتحزَنْ ﴾ ، هو : تطمين لوط ﷺ . وقال ابن عاشور في دلالة النهي : " وقدموا تأمينه قبل إعلامه بأنهم منزلون العذاب على أهل القرية تعجيلاً بتطمينه .

وعطف ﴿ لا َتحزَنْ ﴾ على ﴿ لا َتخَف ﴾ جمع بين تأمينه من ضر العذاب وبين إعلامه بأن الذين سيهلكون ليسوا أهلاً لأن يحزن عليهم ، ومن أولئك امرأته ؛ لأنه لا يحزن على من ليس بمؤمن به "[(١)] .

وفي تناسبٍ بديع النظم أردف النهي قوله : ﴿ إنا مَنجوكَ ﴾ تعليلاً للنهي عن الفعلين ، وتأكيداً لإخراجه من بين القوم الذين كفروا ، فكأنهم قالوا : سننجيك ونخرجك قبل أن تفجع في أهلك[(٢)] .

● **الموضع الثالث :**

ووصلاً لما ذكرته سورة العنكبوت من نماذج افتتان بعض الأنبياء بأقوامهم ، يأتي ذكر افتتان نبي الله شعيب بتمرد قومه : ﴿ **وَإلى مَديَنَ أخَاهم شعَيباً فَقَالَ َيا قَومِ اعبدوا اللهَ وَارجوا الْيومَ الآخرَ وَلا َتعثَوا في الأرضِ مفْسِدينَ** ﴾ [(٣)] .

وتعرض الآيات قصة افتتان شعيب باعتبارها نموذجاً آخر يثبت حقيقة تعرض المؤمنين للابتلاء والاختبار ، فقومه كانوا مفسدين في الأرض ، فبدأ شعيب يتدرج في دعوتهم ، فأمرهم أولاً بعبادة الله ، وهذا يعني نبذ ما سواه ، ثم حثهم على إعداد العدة لليوم الآخر ، ومن ذلك الانتهاء عن الإفساد في الأرض . وناسب التعبير عن المنهي عنه بلفظ الفساد لأنه شامل لجميع أنواع المفاسد التي كانوا يرتكبونها ، فيغني هذا عن ذكرها أو تعدادها .

---

(١) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٥ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٥ ، والتحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٥ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٣٦) .

موضع النهي : ﴿ ولا تعثَوا ﴾ ، وقع النهي بعد أسلوب نداء في قوله ﴿ يا قَومِ ﴾ ، وهذا يكسب النهي أهمية ، كما يهيئ النفوس لتلقيه .

والنهي قصد به النصح بالكف عن مظاهر الفساد ، بما في ذلك تطفيف الكيل والميـزان ، ولقـد أسهم فعلا الأمر ﴿ اعبدوا اللهَ وارجوا ﴾ في إبراز هذا المعنى ، فبعد أن أوضح لهم المستحق للعبـادة ، بين لهم صدق وقوع البعث ، والذي يتطلّب إنذارهم من مغبة الاستمرار في اقتراف المفاسد .

● الموضع الرابع :

قال الواحد الصمد : ﴿ ولاَ تجادلُوا أهلَ الْكتابِ إلا بِالتي هي أحسن إلا الذين ظَلَمـوا مـنهم وقُولُوا آمنا بِالذي أُنزِلَ إلَينا وأُنزِلَ إلَيكُم وإِلَهنا وإِلَهكُم واحدٌ ونحن لَه مسلمونَ ﴾ [1].

عرض السياق القرآني إلى أمرين مهمين ، وهما : تلاوة القرآن ، وإقامـة الصـلاة ، في قولـه : ﴿ اتلُ ما أُوحي إلَيك من الْكتابِ وأَقمِ الصلاةَ إن الصلاةَ تنهى عنِ الْفَحشاء والْمنكَرِ ولَذكْر اللهِ أَكْبر واللهُ يعلَم ما تصنعونَ ﴾ [2]، ولا يخفى ما لهما من دور أساسـي في تهـذيب الأخـلاق والرقـي في التعاملات ، ثم عطف عليها : ﴿ ولاَ تجادلُوا أهلَ الْكتابِ إلا بِالتي هي أحسن إلا الذين ظَلَمـوا مـنهم وقُولُوا آمنا بِالذي أُنزِلَ إلَينا وأُنزِلَ إلَيكُم وإِلَهنا وإِلَهكُم واحدٌ ونحن لَـه مسـلمونَ ﴾ [3]، نهـي عـن مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالحسنى واللين في التحاور والتخاطـب . ولقـد عبـر عن النهي بصيغة الجمع ؛ لأنه موجه إلى الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين[4]، وإن كان ليس من طبع محمد ﷺ المجادلة والمخاصمة . وناسب التعريف بالإضافة في ﴿ أهلَ الْكتـابِ ﴾ للاختصـار وتعـذر التفصيل والتعداد .

موضع النهي : ﴿ ولاَ تجادلُوا أهلَ الْكتابِ ﴾ [5]، لم يتوقف علماؤنا المفسرون عند المعنى الـذي يخرج إليه النهي ، وإنما اقتصروا على المعنى العام للآية ، وهو النهي عن مجادلة اليهود والنصارى بغـير الحسنى ، ودلالة النهي هنا : إرشاد أهل الدعوة من المسلمين إلى الطريق الأنسب مع أهل الكتـاب في

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤٦) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٥) .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤٦) .

(٤) ينظر : الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٥ .

(٥) ينظر ما قيل حول لفظ المجادلة في هذا البحث ، ص٣٣ .

مجادلتهم .

إذن ، فالمعنى البلاغي الذي خرج إليه النهي : الإرشاد ؛ رجاء الاهتداء ، فهم يتفقون مع المؤمنين في الإيمان بالله والاعتراف بوجوده ، وبذلك فهم مهيؤون لقبول الحجة من طريق اللين ؛ وهـذا سـر التعبير بالنهي في مقام الإرشاد ، ثمّ عطف على أسلوب النهي أمراً بقوله : ﴿ وقُولُوا آمنا ﴾ تذكيراً لهم بالرباط الذي يجمعنا وإياهم ، وهو الإيمان بكلّ ما أنزل الله .

رابعاً : النـداء :

هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أدعو) أو (أنادي)(١) . وكثيراً ما يسـبق أسلوب الأمر والنهي فيكسبهما أهمية ولفت نظر للمخاطب .

وأدوات النداء ثمانية ، منها ما هو لنداء القريب ، وهما حرفان :

١- الهمزة ، كقول الشاعر :

أبنـي ، إنّ أبـاك كـارب يومـه   فـإذا دعيت إلى المكارم فاعجـل(٢)

٢- (أي) ، نحو قول الشاعر :

أي صديقـي ، إنـي قصـدتك لمـا   لـم أجِـد في الحيـاة غيـرك شهمـا

وبقية الحروف لنداء البعيد :

١- (يـا) ، نحو قوله تعالى : ﴿ يا نوح اهبِطْ بِسلاَمٍ ﴾(٣) ، وكثيراً ما تحـذف إذا جـاءت في سياقات الدعاء ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رب إِني ظَلَمت نفْسِي ﴾(٤) .

٢- (آ) آفلسطين سلاماً و اعتذاراً .

٣- (أيـا) ، كقول الشاعر :

أيـا جامـع الدنيـا لغيـر بلاغـة   لمن تجمـع الدنيـا وأنت تمـوت(٥)

---

(١) ينظر : بغية الإيضاح ، لعبد المتعال الصعيدي ، ج٢ ، ص٥١ ، هامش رقم (١) .

(٢) ينظر : كتاب المفصل في علوم البلاغة ، د. عيسى علي العاكوب ، الناشر : دار القلم ، دبي ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص٢٨٥ .

(٣) سورة هود : الآية (٤٨) .

(٤) سورة القصص : الآية (٣٦) .

(٥) ينظر : كتاب البلاغة فنونها وأفنانها ، للفضل عباس ، الناشر : دار الفرقان ، الأردن ، ط٧ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص١٦٩ .

٤- (هيا) ، نحو قولك : هيا ذكريات الماضي .

٥- (وا) ، كقول أبي العلاء :

فـوا عجبـاً كـم يدعـي الفضـل ناقـصٌ ووا أسـفا كم يظْهـر النقْـص فاضـلُ[(١)]

● الموضع الأول :

قال الله تعالى حكاية لدعاء لوط على قومه حينما يئس منهم وطلب النصر من الله : ﴿ قَـالَ رب انصرني علَى الْقَومِ الْمفْسِدين ﴾[(٢)] .

جاء ذكر افتتان سيدنا لوط بقومه كأحد النماذج التي عرضتها سورة العنكبوت ضمن إثباتها لنفاذ سنة الله في الابتلاء ، قال تعالى : ﴿ ولَقَد فَتنا الذين من قَبلهم ﴾ ، لقد لقي سيدنا لوط الصد من أقرب الأقربين له زوجه ، بالإضافة إلى إعراض قومه المفسدين لأخلاقهم وللآخرين ، ولم يتوقّفوا عند هـذا الحد بل ردوا عليه مستبعدين وقوع العذاب بهم : ﴿ ائْتنا بِعذَابِ اللهِ إن كُنت من الصادقين ﴾ ، ولمـا كان هذا منهم لم يجد سوى الاستغاثة بالله لنصرة عليهم فناسب ذلك أن يتوجـه إلى الله بالـدعاء فجـاءه الرد سريعاً بهلاكهم : ﴿ إنا منزِلُونَ علَى أَهلِ هذه الْقَرية رِجزاً من السماءِ بِمـا كَـانوا يفْسقُونَ ﴾[(٣)] .

موضع النداء : ﴿ قَالَ رب ﴾ ، لم يتوقف المفسرون عنـد أسـلوب النـداء ، لكـن يمكـن القول بأن حرف النداء (يا) المحذوف هنا هو لنداء البعيد ، وما كـان حذفـه إلا لغـرض بلاغـي ، وهو إحساس سيدنا لوط بشدة قربه من الله ، ولاسيما عنـدما تخلـى عنـه قومـه ، فلجـأ إلى لله بالدعاء وطلب النصر منه .

واختار كلمة (رب) دون غيرها ، نحو (اللهم) أو (يا الله) ؛ لمـا تحملـه (رب) مـن التلطـف وطلب الإحسان ، كذلك مناسبة السياق الـذي هيـأه لاختيـار لفظـة الـرب ، والـتي تبعـث الإحساس بالقرب من الله ، خاصة أنه في أمس الحاجة إلى من ينصره علـى القـوم المعرضـين عـن دعوته .

---

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٣٠) .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٣٤) .

وطلب في دعائه بكلمة (النصر) بقصد إنزال العقاب بالمكذبين ؛ ليثبت لهم صدق ما أمرهم به وحذرهم منه[1] ، كذلك خصهم بوصف المفسدين لما عرف عنهم من الإفساد لأنفسهم والآخرين ، واستعجالاً في الإجابة ؛ لأن الله لا يحب المفسدين[2] .

ملاحظة : " على كثرة ما نودي الرب في القرآن الكريم ، لم يعثر عليه مسبوقاً بحرف النداء إلا في الآية الكريمة : ﴿ وقيله يا رب إن هؤلاء قومٌ لا يؤمنونَ ﴾ "[3] ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وقَالَ الرسولُ يا رب إن قومي اتخذُوا هذَا القُرآنَ مهجوراً ﴾[4] .

● الموضع الثاني :

قال العلي الكبير في حكاية دعاء شعيب قومه إلى توحيد الله : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً فَقَالَ يا قَومِ اعبدوا اللهَ وارجوا الْيوم الآخر ولا تعثَوا في الأرضِ مفْسِدين ﴾[5] .

دعا شعيب إلى ما دعا إليه سابقوه من الأنبياء والمرسلين ، وهو الدعوة إلى عبادة الله ونبذ ما سواه ، لذلك ناسب استخدامه لأسلوب النداء (يا قومِ) وإضافتهم إليه ، وما عبر بهذا إلا لسر بلاغي - سيأتي ذكره - .

موضع النداء : ﴿ فَقَالَ يا قَومِ ﴾ ، لم يتوقّف المفسرون عند تفاصيل النظم في هذه الآية ؛ لأنه سبق لهم الحديث في مثلها في آيات سور سابقة ، نحو سورة الأعراف[6] .

تقدم في الآية المجرور في قوله : ﴿ وإلى مدين ﴾ " ليتأتى الإيجاز في وصف شعيب بأنه أخوهم ؛ لأن هذا الوصف غير موجود في نوح وإبراهيم ولوط "[7] ، ثم عبر القرآن بوصفه ﴿ أخاهم ﴾ أي : ذو صلة نسب وقرابة بهم ، أو لأنه أحد أفراد القبيلة ، فيعبر عنه بالأخ[8] ، ثم عطف قول شعيب على المقدر

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤١ .

(٢) ينظر : الزمخشري في الكشاف ،ج٣ ، ص٤٥٦ ، والرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٢ ، وأبو السعود في تفسيره ، ج٤ ، ص٢٥٨ .

(٣) علم المعاني ، د. بسيوني ، ج٢ ، ص١٤٦ ، الآية (٨٨) من سورة الزخرف .

(٤) سورة الفرقان : الآية (٣٠) .

(٥) سورة العنكبوت : الآية (٣٦) .

(٦) ينظر - مثلاً - : تفسير البقاعي نظم الدرر ، ج٣ ، ص٦٥ ، وتفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص٢٥٨ .

(٧) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٧ .

(٨) ينظر : المرجع السابق ، م٥ ، ج٨ ، ص٢٠١ . لقد فصل القول فيها في سورة الأعراف : الآية (٦٥) .

سابقاً (أرسلناه) ، أي : أرسلناه فقال لقومه .

وحرف النداء (يـا) لنداء البعيد ، فالبرغم من قرب القوم منه ، إلا أنهم نزلوا منزلـة البعيـد ؛ وذلك لبعدهم عن الأمر الذي سيدعوهم إليه ، فخرج أسلوب النداء إلى معنى مجازي ، وهو بث اليقظة والانتباه في القوم لأهمية ما سيقوله - شعيب عليه السلام - ، ولقد أسهم دخول أفعـال الأمـر والنـهي : (اعبدوا - وارجوا - ولا تعثوا) في إبراز معنى النداء ، حيث يحمل معنى النصـح والإرشـاد إلى مـا غفلوا عنه .

وجاء المنادى بلفظ (قومي) تذكيراً بصلة القرابة ، حتى يتحققوا من أنه ناصـح لهـم[1] ، كمـا أنّ في إضافتهم إليه سر بلاغي ، وهو التلطف والتودد إلى القوم لاسـتمالتهم وتهيئتـهم لتقبـل مـا سيدعوهم إليه .

● الموضع الثالث :

قال الرحمن الرحيم : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعةٌ فإياي فاعبدون ﴾[2] .

موضع النداء : ﴿ يا عبادي ﴾ ، حرف النداء (يـا) ، وهو لنداء البعيد ، وقد جاء النداء من الله إلى عباده المؤمنين المفتونين في دينهم من المشركين ؛ لتنبيههم إلى أمرٍ عظيم قد غفلوا عنه ، وهو الهجرة إلى بلد آمن للعبادة ، ولعلو هذا الأمر وأهميته جاء النداء للبعيد بالرغم من أنّ الله أقرب إلى عباده مـن حبل الوريد ؛ ليبادر العباد المضطهدون في دينهم بالامتثال والاستجابة إلى أمر الله[3] .

وجاء التعريف بالإضافة في ﴿ يا عبادي ﴾ تشريفاً وتكريماً للمؤمنين ، كمـا أكّـد بالموصـول وصفهم بالمؤمنين للدلالة على أنّ إيمانهم صادق ، إلا أنهم فتنوا إلى حد الإكراه على إظهار الكفـر[4] ، وغالباً ما يكون المقصود بـ (عبادي) : المؤمنين دون الكافرين ، وتعليل ذلك :

أولاً : أنّ من قال الله في حقهم عبادي ليس للشيطان عليهم سلطان ؛ لقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ إلا من اتبعك من الغاوين ﴾[5] .

---

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥٦) .

(٣) ينظر : كتاب علم المعاني ، د. بسيوني ، ج٢ ، ص١٧٤ .

(٤) ينظر : الطاهر في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٢ .

(٥) سورة الحجر : الآية (٤٢) . كما ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٧٣ .

ثانياً : أنّ كلمة (عبادي) تحمل معنى العبادة ، والكافر تخلّى عن هذه العبادة ، فلم يستحق إطلاق هذه العبارة عليه ، وهذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فالكافرون سماهم القرآن عبـاد ؛ لأنّ الآخرة ليس فيها عصيان ، فالكلّ عباد الله .

خامساً : التوكيـد :

تتفاوت أحوال المخاطبين عند توجيه الكلام إليهم ، فمنهم من هو خالي الذهن ، يقتنع بما تقوله ، ويقبله دون الحاجة إلى التوكيد ، نحو قولك : (الدين المعاملة) ، ومنهم من هو شاك متردد تحتاج معه إلى تأكيد كلامك ، ويكفيك لهذا مؤكد واحد ، نحو قوله تعالى : ﴿ **فَلَما أَن جَاء الْبَشِير أَلْقَاه عَلَى وَجهه فَارتَد بَصيراً قَالَ أَلَم أَقُل لَّكُم إِني أَعلَم منَ اللّه مَا لاَ تَعلَمونَ** ﴾ [1] . وفئة ثالثة - وهي المنكرة - وهذه تحتاج منك ترصيع الكلام بأكثر من مؤكد ، نحو ما جاء في قول المولى ﷻ : ﴿ **وَمَا هَذه الْحَيَاةُ الدنيَا إِلَّا لَهو وَلَعب وَإِن الدارَ الْآخرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَو كَانُوا يَعلَمونَ** ﴾ [2] .

فكلّما زادت نسبة الإنكار تضاعفت عناصر التوكيد[3] ، وقد يكون المخاطَب غير منكر لما يطرح عليه ، لكنه ينزل منزلة المنكر ؛ لعدم اكتراثه للأوامر ، أو عدم الإيمان بها ، وهذا يتطلب التوكيد عند خطابه[4] .

وللتوكيد أدوات عدة ، من أشهرها : إن ، ولام الابتداء ، وأحرف التنبيه ، والقسم ، والحروف الزائدة ، وقد ، وأما الشرطية ، وضمير الفصل ، واسمية الجملة ، وتقديم الفاعل المعنوي . وسأقدم هذه الأدوات - بإذن الله - من خلال دراسة آيات سورة العنكبوت[5] .

فأول موضع يقابلنا عند قول الحسيب الجليل : ﴿ **أَحَسِبَ الناس أَن يتركُوا أَن يَقُولُوا آمنا وَهم لَا يفْتَنونَ** ﴾ [6] .

لما كان المقطع الأول من سورة العنكبوت يحكي مضي سنة الله في الابتلاء ، وهناك من ينكر أو يستبعد وقوع الفتنة به عقب إيمانه ، ناسب ابتداء السورة بالتوكيد على حقيقة هذا الأمر .

---

(١) سورة يوسف : الآية (٩٦) .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٤) .
(٣) يطلق على هذه الأحوال أضرب الخبر ، وهي : (ابتدائي ، وطلبي ، وإنكاري) ، والكلام في هذه الأحوال الثلاثة يسمى : مخرجاً على مقتضى الظاهر . ينظر : شروح التلخيص ، ج١ ، ص٢٠٢ ، وكتاب بغية الإيضاح ، ج١ ، ص٣٥ .
(٤) وتسمى هذه الحال : تخريجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر .
(٥) ملاحظة : تفادياً للتكرار لم يتم بحث الأسلوب التوكيدي إذا تكرر بنفس الأدوات .
(٦) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

موضع التوكيد : ﴿ **وَهم لا يفْتنونَ** ﴾ ، أكد الجملة ببنائها على الاسم (هم) ، ثم الإخبار عنها بالفعل مسند إلى ضمير عائد على المبتدأ ، فأفاد ذلك تكرار الإسناد ، ومن هنا كان التوكيد .

وبناء الفعلين (يتركوا - ويفتنون) للمجهول للاستغناء عن ذكر الفاعل ، والمعنى : (أحسبوا أن يتركوا خالين من فتون الكافرين) ؟ لما قد عرف من مناصبة الناس العداء لمن خالفهم في الدين والمعتقد[(١)] .

وبهذا يتناسب مجيء التوكيد مع الاستفهام الإنكاري لزيادة التوكيد استنكار حسبانهم ذلك الحسبان .

● الموضع الثاني :

يكشف الابتلاء في عالم الواقع عما هو معلوم عند الله ومغيب عن علم البشر ، فيحاسب الناس على ما ظهر من أعمالهم من الصدق أو الكذب في الإيمان ؛ قال العليم الخبير : ﴿ **وَلَقَد فَتنا الذينَ من قَبلهم فَليَعلمَن اللهُ الذينَ صَدَقُوا وَليَعلمَن الْكَاذِبِينَ** ﴾[(٢)] .

﴿ **وَلَقَد فَتنا** ﴾ عطف على ما قبله ﴿ **أَحَسِبَ الناس أن يتركُوا** ﴾ ، ولما كانت الآية السابقة قد أخبرت عن سنة الله في الابتلاء ، ناسب مجيء الآية التي نحن بصددها مؤكدة على هذه الحقيقة وسريانها على سالف الأمم ، كما أنها كاشفة عن نتائج ذلك الابتلاء في كشف القلوب الصادقة من الكاذبة .

موضع التوكيد : ﴿ **وَلَقَد فَتنا الذينَ من قَبلهم فَليَعلمَن ...** ﴾ الآية .

أكدت الجملة بـ :

١- اللام الدالة على قسم محذوف في (ولقد) .

٢- حرف التحقيق (قد) .

٣- اللام الموطئة للقسم في ﴿ **فَليَعلمَن اللهُ** ﴾ . أما نون التوكيد فلا تعد من المؤكدات ؛ لأنها مؤكدة لفعل ، وليست مؤكدة للنسبة (أي الحكم الذي اشتملت عليه الجملة)[(١)] .

---

(١) ينظر : الطاهر في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٣) .

(١) ينظر : شروح التلخيص (عروس الأفراح) ، ج١ ، ص٢١٩ .

قال ابن عاشور في بيان الغرض من التوكيد : " وتأكيد الجملة بلام القسم وحرف التحقيق لتنزيل المؤمنين - حين استعظموا ما نالهم من الفتنة من المشركين ، واستبطؤوا النصر على الظالمين ، وذهولهم عن سنة الكون في تلك الحالة - منزلة من ينكر أنّ من يخالف الدهماء في ظلالهم ويتجافى عن أخلاقهم ورذالتهم ، لا بد أن تلحقه منهم فتنة "[(١)].

ومما يزيد من حقيقة وقوع أمر الفتنة بالمؤمنين : إسناد هذا الفعل إلى الله (فتنا) ، أوجد أسبابها فهو قادر على صرفها وإزالتها ، وقصد من الإسناد " تشريف هذه الفتون بأنه جرى على سنة الله في الأمم "[(٢)].

﴿ **فَلَيَعلَمَن اللهُ الذينَ صَدَقُوا** ﴾ ، الفاء لترتيب ما بعدها على ما يخبر عنه ما قبلها من حصول الابتلاء[(٣)]. وعبر بالاسم الأعظم (الله) التفاتاً من التكلم إلى الغيبة ؛ لإدخال الروعة ومظهر العظمة ، ومن ثَم تربية المهابة وتنبيه الناقصين على أنه سبحانه منزه عن كل شائبة نقص[(٤)]. كذلك أجد في ذكر لفظ الجلالة مع الصادقين رفعاً لشأنهم ، وتقديراً لثباتهم - والله أعلم - .

﴿ **وَلَيَعلَمَن الكَاذِبِينَ** ﴾ ، كرر في المعطوف (لام القسم) " لزيادة التأكيد والتقرير ، أي : فوالله ليتعلّقن علمه بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز الذين صدقوا في الإيمان الذي أظهروه والذين هم كاذبون فيه "[(٥)]. وجاء ذكر العلم هنا وهو سابق على حدوث المعلوم ؛ للتنبيه بالسبب على المسبب ، وهو الجزاء ، " فكأنه قيل : فوالله ليعلمن بما يشبه الامتحان والاختبار الذين صدقوا في الإيمان ... والذين هم كاذبون "[(٦)].

وعبر بالزمن المضارع في (ليعلمن) ؛ لما يحمله فعل المضارعة من تجدد ظهور علم الله بالأشياء حين حصولها ، وكذلك يفيد تحقق الاختبار على تجدد العصور لجميع الأخيار والأشرار[(١)]، فناسب مجيء القسم في الآية لتوكيد وتحقيق المقسم عليه ، وهو علم الله بالصادقين والكاذبين .

- **الموضع الثالث :**

قال الغفّار القهار : ﴿ **مَن كَانَ يَرجو لِقَاءَ اللهِ فَإن أَجَلَ اللهِ لآتٍ وَهوَ السميع العَلِيم** ﴾[(٢)].

---

(١) الطاهر في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) ينظر : تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص٢٥٠ ، ونقل عبارته الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٣٥ .

(٤) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٦ ، وتفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٠ .

(٦) الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٣٥ .

(١) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٢٦ ، والبقاعي ، ج٥ ، ص٥٣٦ .

بعد أن نبه الله عباده المؤمنين لأمر الفتنة ، ثم خوف المسيئين ، جاء التصريح بتحقيق الوعد بنصر المؤمنين المشتاقين للقاء الله ، فناسب التوكيد لحفزهم على الصبر على ما يلقونه من المشركين ، وحثّهم على الاستعداد لذلك اللقاء ، وبالإضافة إلى تشويق المؤمنين ففي الآية إيماء بتهديد الكافرين .

موضع التوكيد : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ ، أجاب الله المشتاقين إليه والمتطلعين للقائه بالتوكيد بـ (إن ، واسمية الجملة ، ولام الابتداء) ، والغرض من ذلك كما أورده البقاعي : " ولما كان المنكر للبعث كثيراً ، أكد فقال موضع : فإنه آت فليحذر وليبشر ، تفخيماً للأمر وتثبيتاً وتهويلاً "[٢]، فالتوكيد عنده جاء أولاً للمنكرين للبعث ، ومن ثَم حمل تهديداً لهم وتثبيتاً للمعذبين من الصادقين . إذن ، التوكيد موجه للطرفين ؛ المنكرين والمؤمنين .

أما أبو السعود فقال أثناء حديثه عن الآية وما احتوته من جملة الجزاء : إنّ فيها من الوعد والوعيد ما لا يخفى[٣]، فظهر لي من ذلك أنه يوجه مؤكدات الآية إلى وعد للمحسن ، ووعيد للمسيء بالعذاب .

أما ابن عاشور فقد ذكر في المقصود من ﴿ أَجَلَ اللَّهِ ﴾ وجهين ، وعلى أساسهما حدد الغرض من التوكيد لكل وجه ، فالوجه الأول من المقصود قال فيه : " أن يكون الوقت الذي عينه الله في علمه للبعث والحساب ، فيكون من الإظهار في مقام الإضمار ، ومقتضى الظاهر أن يقال : فإنه لآت ، فعدل إلى الإظهار ... ويجوز أن يكون المراد (بأجل الله) الأجل الذي عينه الله لنصر المؤمنين وانتهاء فتنة المشركين إياهم باستئصال مساعير تلك الفتنة ... فيكون الكلام تثبيتاً لرسول ﷺ وللمؤمنين حين استبطأ المؤمنون النصر للخلاص من فتنة المشركين حتى يعبدوا الله "[٤]. وعلى هذا الأساس جاء الغرض من " التوكيد على الوجه الأول للتحريض والحثّ على الاستعداد للقاء الله ، وعلى الوجه الثاني لقصد تحقيق النصر الموعود به تنزيلاً لاستبطائه منزلة التردد "[١].

وبعد هذا يمكن القول بأن التوكيد موجه إلى المنكرين للبعث ، حيث حمل التوكيد لهم التهديد والوعيد بقدوم ذلك اليوم . ومن جهة أخرى فهو موجه للمفتونين الصابرين من المؤمنين بتحفيزهم على الثبات فيما يلقونه ؛ لأن فرج الله ولقاءَه آت لا محالة .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥) .

(٢) في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٧ .

(٣) ينظر : تفسيره ، ج٤ ، ص٢٥٠ ، وتبعه في ذلك الشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص١٩٢ .

(٤) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٨ ، بتصرف .

(١) المرجع السابق .

وفي إضافة (أجل) إلى لفظ الجلالة تأكيد على أنّ الوعد بوقوع ذلك اليوم لا يخلف[1] .

﴿ **السميع العَليم** ﴾ تذييل لما سبق من دعائهم بفك محنتهم والتعجيل بنصرهم .

● **الموضع الرابع :**

يبشر الله المؤمنين ذوي الأعمال الصالحة بتكفير السيئات والجزاء الأحسن ، حيث يقول الغفور الشكور : ﴿ **وَالذينَ آمنوا وَعَملُوا الصالحَات لنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم وَلنجزَينهم أحسَنَ الذي كَانوا يَعمَلُونَ** ﴾[2] .

حملت الآية السابقة لها في قوله تعالى : ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإنمَا يجَاهد لنَفْسِه إن اللَه لَغَنِي عَن العَالمينَ** ﴾ ، حال المؤمن في مجاهدة النفس فيما تتعرض إليه من الفتن ابتغاءً لما عند الله من الفضل ، ثم جاء قوله تعالى مفصلاً ومؤكداً على الجزاء الأمثل لهؤلاء المجاهدين : ﴿ **لنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم ...** ﴾ الآية .

موضع التوكيد : ﴿ **لنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم ...** ﴾ الآية ، أكد الجملة بلام القسم (لنكفرنّ) ، أي : لنغفرن ما كانوا عليه من الشرك[3] ، أو بمعنى : " لنغطينها عنهم بالمغفرة بسبب ما عملوا من الصالحات "[4] .

ويتكرر أسلوب التوكيد بالقسم في ﴿ **وَلنجزَينهم** ﴾ ، أي : بأحسن جزاء ، أو يجزيهم بأكثر مما عملوا وأحسن[1] .

ومن خلال السياق القرآني للآية يظهر أن الغرض من التوكيد تحقيق وعد الله وبشارته للمؤمنين[2] ؛ لتزداد النفس يقيناً ؛ لأن المقام يقتضي ذلك .

ومن هذا التوكيد يمكن أن نخرج بمنهج أخلاقي في تعاملاتنا ، حيث يقابل الإنسان الإساءة بالإحسان ، والإحسان بالأحسن منه .

---

(١) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٣٦ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٧) .

(٣) ينظر : نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٨ .

(٤) فتح القدير ، للشوكاني ، ج٤ ، ص١٩٣ .

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١١ .

أفاد انتصاب (أحسن) على أنه وصف لمصدر محذوف - وهو مفعول مطلق - تقديره : (لنجزينهم جزاءً أحسن)[1] .

وأشارت اللام في الآية على أنّ هناك أسلوب قسمٍ في (لنكفّرن - ولنجزينهم) ، فهو من القسم المضمر ، حيث قصد من ذلك تحقيق القسم والتأكيد على صدق وقوعه ، كما أفاد الموصول وصلته في ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالحَات** ﴾ الإشارة إلى الوجه الذي يبنى عليه خبر الثواب ؛ فالجزاء الأحسن والأمثل لا يكون إلا لأهل الإيمان والصالحات من الأعمال[2] .

● **الموضع الخامس :**

قال الودود المجيد : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالحَات لَندخلَنهم في الصالحينَ** ﴾[3] .

وبعد مجيء الوصاية بالوالدين خيراً وبرهما وطاعتهما في غير معصية الخالق ، كان بعض الأبناء المؤمنين يلقى معارضة من أحدهما ، إلا أنه يثبت ويحتسب مرضاةً لله ، وقد يجد البعض حزناً في نفسه مما لقيه من أهله ، وبهذا ناسب طمأنتهم وإبدال وحشتهم أُنساً بتوكيد خبر منزلتهم في الصالحين .

موضع التوكيد : ﴿ **لَندخلَنهم في الصالحينَ** ﴾ ، لقد ذكر الله تعالى " ما رتب للمؤمنين من دخولهم في الصالحين ؛ ليحرك النفوس إلى نيل مراتبهم "[1] ، جاء تأكيد دخولهم في الصالحين بالقسم ، وهذا يعني أنه وعد لا خلاف فيه ، كما أنّ في هذا التوكيد دحضاً لإنكار أعدائهم أن يحسن حالهم بعد ذلك البلاء[2] .

واسم الموصول (الذين) مبتدا ، وخبره (لندخلنهم) ، ومن السياق أجد أنّ الغرض من التعريف بالموصولية للإشارة إلى وجه بناء الخبر ، وهو جملة (لَندخلَنهم) ؛ فجزاؤهم مع الصالحين في الجنة . كذلك يقدر مضاف (للصالحين) نحو : (في مدخل الصالحين) .

● **الموضع السادس :**

---

(١) المرجع السابق .

(٢) ينظر : المرجع السابق .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٩) .

(١) البحر المحيط ، لأبي حيان ، ج٧ ، ص١٣٨ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٩ .

قال الظاهر الباطن في حال المنافقين : ﴿ **وَمنَ الناسِ مَن يَقُولُ آمَنا بِاللِهِ فَإذَا أُوذِيَ فِي اللِهِ جَعَلَ فِتنَةَ الناسِ كَعَذَابِ اللِهِ وَلَئِن جَاءَ نَصر من ربكَ لَيَقُولُن إنا كُنا مَعَكُم أَوَلَيسَ اللهُ بِأَعلَمَ بِمَا فِي صدورِ العَالَمِينَ** ﴾ [(١)] .

بعد إن فرغ سبحانه وتعالى من ذكر ما أعده للمؤمنين ، فضح حقيقة إيمان المنافقين ، فجاء في الآية أسلوبا توكيد .

موضع التوكيد : الأول : ﴿ **وَلَئِن جَاءَ نَصر من ربكَ لَيَقُولُن** ﴾ ، الثاني : ﴿ **إنا كُنا مَعَكُم** ﴾ .

أسلوب التوكيد الأول : (ولئن) ، اللام موطئة للقسم ، (إن) شرطية ، (ليقولن) جواب القسم سد مسد جواب الشرط ، وفيه وعد بنصر الله للمسلمين ، وعندها يطلق المنافقين مقولتهم[(٢)] .

الثاني : توكيد صادر من المنافقين ﴿ **إنا كُنا مَعَكُم** ﴾ ، وهو بـ (إن واسمية الجملة) ؛ لعلمهم أنهم كاذبون ؛ ولأن قولهم منكر من الآخرين ، أكدوه لعله يخرج مخرج الصدق[(٣)] .

وجاء التعريف بالإضمار في ﴿ **مَن يَقُولُ آمَنا** ﴾ و ﴿ **إنا كُنا مَعَكُم** ﴾ ، بضمير المتكلم (نا) الفاعلين ، حيث أفاد التعريف أنّ إيمانهم كان ظاهراً وليس متمكناً من قلوبهم ، وأما ما قالوه فهو كذب وادعاء ، ولو عبر بـ (يؤمنون) لفهم أنّ إيمانهم حق[(١)] . وعبر بهذا الضمير للدلالة على كثرة هذا الصنف ، وجرأته على الكذب ، ولو على رؤوس الأشهاد[(٢)] .

● **الموضع السابع :**

كل من دعا إلى خطيئة فهو مسؤول عنها وملزم بحملها ، قال القوي الرقيب : ﴿ **وَلَيَحمِلُن أَثقَالَهم وَأَثقَالاً معَ أَثقَالِهِم وَلَيسأَلُن يَومَ القِيَامَة عَما كَانوا يَفتَرونَ** ﴾ [(٣)] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٠) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٧ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ، للمطعني ، ج٣ ، ص٢٢٣ .

(٣) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٠ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ، ج٣ ، ص٢٢٣ .

(١) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٣٤ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٠ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (١٣) .

وبعد أن عرضت الآيات لافتتان المسلمين ، ومن ذلك إغواؤهم وإغراء المشركين لهم ، وذلك بقولهم : ﴿ **وَقَالَ الذينَ كَفَرُوا للذينَ آمَنُوا اتبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحملْ خَطَايَاكُم** ﴾ ، أُردفت ذلك بتوضيح مصير هؤلاء الغاوين ، وذلك بالتأكيد على حملهم لأوزار من غرروا بهم ، بالإضافة إلى سؤالهم في يوم لا مفر من حصوله .

موضع التوكيد : ﴿ **وَلَيَحملُن أَثْقَالَهم** ﴾ ، ﴿ **وَلَيسألُن يَومَ القِيَامَة** ﴾ ، لما كان إنكارهم للآخرة جلياً واضحاً ، ناسب مجيء أسلوب التوكيد بلام القسم الدالة عليه ، وتقدير القسم المحذوف : (والله ليحملن أثقالهم كاملة)[1] .

ثم كرر أسلوب التوكيد وأدواته في قوله : ﴿ **لَيسألُن** ﴾ ، وذُكر السؤال بعد ذكر الجزاء لما للسؤال على طريق الازدراء والإذلال من الرعب في القلب ما ليس للأفعال[2] .

● **الموضع الثامن :**

لما كان السياق في البلاء والامتحان ذكر - سبحانه - نوح عليه السلام ، فقال : ﴿ **وَلَقَد أرسَلْنَا نوحاً إلى قَومه فَلَبِثَ فيهم أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمسِينَ عَاماً فَأَخَذَهم الطوفَانُ وَهم ظَالمـون** ﴾[3] .

بعد أن ساقت الآيات ألواناً من اختبار المؤمنين وثباتهم ، وتمرد المشركين وعقابهم ، أخذت تطرح ما لقيه الأنبياء من البلاء للبرهنة على أنّ الابتلاء سنة الله منذ بدء الخليقة . فهذا نوح عليه السلام يجد الصد والعدوان ، فلم يؤمن من قومه إلا نفرٌ قليل ، بالرغم من أنه لبث فيهم سنوات عديدة يدعوهم إلى عبادة الرحمن ؛ ولهذا الغرض جاء التعريف باسمه ؛ لتميزه في صبره أكمل تمييز ، كما أنه أول من بعث الله نبياً ورسولاً ، كما أن في ذكر قصته تسلية للرسول محمد ﷺ لما كان يلاقيه من قريش ؛ ليعلم أن ما يتعرض له قد مر على الأنبياء من قبله[1] .

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٣ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (١٤) .

(١) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٣٧ ، وسيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٢٧ .

موضع التوكيد : ﴿ **وَلَقَد أرسَلْنا** ﴾ ، ﴿ **وَهم ظَالمونَ** ﴾ ، أكّد الجملة بلام القسم وحرف التحقيق (قد) ؛ لدفع توهم من يقول : إنّ للقدرة الإلهية التصرف في القلوب بحيث تكون مغنية عن الرسالة ؛ فإن لله القدرة الكاملة في تدبير الأمور صغيرها وكبيرها ، إلا أنه سبحانه أجرى الأمور على ما تقتضيه الحكمة من هذه الدنيا[(١)]. كذلك جاء التأكيد لإنكار من ظن أن ليس هناك ابتلاء لمجرد النطق بالشهادة[(٢)].

ومن بلاغة القرآن أنه لم يكرر لفظ التميز ، فذكره أولاً بلفظ (سنة) في ﴿ **فَلَبِثَ فيهم أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ ، ثم قال بعد الاستثناء : ﴿ **إلا خَمسِينَ عَاماً** ﴾ ، فاختلف المميز ؛ " لما في التكرير من نوع بشاعة "[(٣)]. ولأنّ (السنة) غالباً ما تطلق على الشدة والجدب ، عبر بها أولاً للدلالة على ما قاساه من المشقّة في دعوة قومه[(٤)].

ثم طوى سبحانه تفاصيل تكذيبهم - التي سبق ذكرها - إلى مصيرهم الذي استحقوه ، فقال : ﴿ **فَأَخَذَهم الطوفَانُ وَهم ظَالمونَ** ﴾ ، وهو مسبب عن لبثه فيهم . وأفاد التعبير بـ (وهم ظَالمونَ) تلبسهم بالكفر إلى وقت هلاكهم ؛ لكون الجملة حالية ، ثم هي جملة اسمية .

● **الموضع التاسع :**

قال ذو الجلال والإكرام : ﴿ **وَلُوطاً إذْ قَالَ لقَومه إنكُم لَتأتونَ الْفَاحشَةَ مَا سَبقَكُم بِهَا من أَحَدٍ منَ الْعَالَمينَ ۞ أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم الْمنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ الله إن كُنتَ منَ الصادقينَ** ﴾[(١)].

ولما كان السياق للابتلاء - كما ذكرت سابقاً - ، سيقت قصة لوط ، وقد أكّدت بعدة مؤكدات ، ولوط معطوف على ما قبله (إبراهيم ، ونوح) .

---

(١) ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٣ .
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٣ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) ينظر : روح المعاني ، للألوسي ، ج٢٠ ، ص١٤٣ .
(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٢٨-٢٩) .

موضع التوكيد : الأول : ﴿ **إنكم لتأتونَ الْفَاحشَةَ** ﴾ ، الثاني : ﴿ **مَا سَبَقكُم بِهَا من أحَدٍ منَ الْعَالمينَ** ﴾ .

في (إنكم) قراءتان ؛ قراءة الجمهور بهمزة واحده (إنكم) على الإخبار ، والثانية قراءة أبي عمر وحمزة والكسائي وأبي بكر بهمزتين : همزة الاستفهام ، وهمزة (إن)[1] .

فإذا كانت على القراءة الأولى - الجمهور - تكون الجملة مؤكدة بـ (إن ولام الابتداء) ؛ " لتعلق النسبة بالمفعول لا تأكيد للنسبة ، فالمقصود تحقيق أنّ الذي يفعلونه فاحشة ، أي عمل قبيح بالغ الغاية في القبح "[2] .

أما على القراءة الثانية بالهمزتين ، فهو أسلوب استفهامي حمل معنى الإنكار[3] . وعرف (الفاحشة) بلام الجنس للاستغراق فيها ، وبيان عظم قبحها ، فهم السابقون لفعلها .

ثم قال سبحانه : ﴿ **مَا سَبَقكُم بِهَا من أحَدٍ منَ الْعَالمينَ** ﴾ ، وهو استئناف مقرر لكمال قبح هذه الفعلة ، (من أحد) تأكيد بـ (من) الزائدة على أنهم هم الوحيدون المستغرقون في هذه الفعلة ، فلم يسبقهم إليها أحد من العالمين ، كما فيه تشديد في الإنكار ؛ لأنهم المبتدعون لسن هذه الخصلة السيئة للناس[4] .

وتأكيداً لتجاوزها القبح ، كرر المؤكدات (إن ولام الابتداء) في الآية التي تليها : ﴿ **أإنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتقْطَعونَ السبِيلَ وَتأتونَ في نَاديكُم الْمنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ الله إن كُنتَ منَ الصادقينَ** ﴾[1] .

- **الموضع العاشر :**

قال الله الحليم حكايةً عن قول إبراهيم عليه السلام للملائكة حينما أرادوا إهلاك قوم لوط : ﴿ **قَالَ إن فيهَا لُوطاً قَالُوا نَحن أعلَم بِمَن فيهَا لَننَجيَنه وَأهله إلا امرَأَته كَانَت منَ الْغَابِرينَ** ﴾[2] .

---

(١) ينظر : فتح القدير ، للشوكاني ، ج٤ ، ص٢٠١ .
(٢) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٠ .
(٣) ينظر : البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٥ .
(٤) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٥٤ ، والطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٠ .
(١) سورة العنكبوت : الآية (٢٩) .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٣٢) .

لما قدمت الملائكة على إبراهيم عليه السلام بالبشرى ، أخبرته بعد ذلك عن مصير قوم لوط : ﴿ **إنا مهلكُو أهل هَذه القَرية** ﴾ ، فخاف أبو الأنبياء على لوط ، فقال : ﴿ **إن فيهَا لُوطاً** ﴾ .

موضع التوكيد : ﴿ **إن فيهَا لُوطاً** ﴾ و ﴿ **لنَنجّينه** ﴾ ، لَما علم نبي الله إبراهيم بإهلاك قوم لوط ، وقع في نفسه خوفٌ على مصير ابن أخيه ، فأكد كلامه بـ(إن) تنبيهاً لشدة اهتمامه به ، وإشفاقاً عليه أن يصيبه شيء مما سيلحق القوم ، و " لأنّ الحال جِد ، فهو جدير بالاختصار "[(١)].

ثم جاء رد الملائكة بطمأنته على لوط فقالوا : ﴿ **نَحن أعلَم بِمَن فيهَا لنَنجّينه** ﴾ ، قرأ البعض : (لننجينه) بتشديد النون ، والبعض الآخر بتخفيفها[(٢)]، وهو تأكيد بالقسم ، وعلّق أبو السعود على ردهم ، أي " أنهم معتنون بشأنهم أتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم ، أي : والله لننجيه "[(٣)]، فيفهم من ذلك أنّ أسلوب القسم جاء لتأكيد تحقّق الوعد بالتنجية والاعتناء به - عليه السلام - .

أما صاحب روح المعاني فقد ذكر للغرض من التوكيد احتمالين ، اتفق في الأول منهما مع أبي السعود ، وتفرد بالثاني فقال : " وأكدوا الوعد بالتنجية إشارة إلى مزيد اعتنائهم بشأنه ، وإما لتنزيلهم إبراهيم عليه السلام منزلة من ينكر تنجيته لما شاهدوا منه في حقه "[(١)].

بهذا يمكن القول : إنّ التوكيد أتى هنا لتحقيق الوعد بالتنجية ، وأن لوطاً عليه السلام سيكون محطّ عنايتهم واهتمامهم ، فلن يتعرض هو ومن آمن معه إلى أدنى أذى .

● **الموضع الحادي عشر :**

قال الحكم العدل : ﴿ **وَلما أن جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهم وَضَاقَ بِهم ذَرعاً وَقَالُوا لا تَخَف وَلا تَحزَنْ إنا مَنجوكَ وَأهلَكَ إلا امرَأتَكَ كَانَت منَ الغَابِرينَ** ﴾[(٢)] .

---

(١) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٥٥ .
(٢) ينظر : أبوحيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٦ ، والشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص٢٠١ .
(٣) تفسيره ، ج٤ ، ص٢٥٨ .
(١) الألوسي ، ج٢٠ ، ص١٥٥ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٣٣) .

قد سبق ربط الآية بما سبقها في مبحث النهي ، إلا أنه يمكن الإشارة إلى نكتة بلاغية في التناسب بين مجيء أسلوب التوكيد عقب أسلوب النهي ، فلما كانت جملة النهي متضمنة لإيماءات وإشارات تثير في النفس المتلقية تساؤلات ، جاءت جملة التوكيد لتزيل ذلك التردد والحزن والخوف الذي اعترى لوطاً عليه السلام .

﴿ **وَضَاقَ بِهِم ذَرعاً** ﴾ كناية عن العجز في تدبيرهم .

قال الزمخشري في معناها : " وضاق بشأنهم وبتدبير لأمرهم ذرعاً ، أي طاقة ، وقد جعلت الآية ضيق الذراع والذرع : عبارة عن فقد الطاقة "[1].

موضع التوكيد : ﴿ **وَلَما أن جَاءت** ﴾ ، و ﴿ **إنا مَنجوكَ** ﴾ .

التوكيد الأول : ﴿ **وَلَما أن جَاءت** ﴾ ، (أن) بفتح الهمزة ، وهي زائدة دخلت على (لما) الظرفية ، فأفادت التوكيد على حدوث الفعلين - فعل المجيء من الملائكة وفعل الاستياء من لوط - ، مترتباً أحدهما على الآخر في وقتين متقاربين لا فاصل بينهما[2]. والتوكيد هنا على رأي النحاة لا البلاغيين .

الثاني : سبق ذكره في مبحث النهي[1].

● **الموضع الثاني عشر :**

قال القوي المنتقم : ﴿ **وَيستَعجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلولا أَجَلٌ مسَمى لَجَاءهم العَذَاب وَلَيأتِيَنهم بَغتَةً وَهم لا يَشعرونَ** ﴾ [2].

لما ذكر الله كفرهم وعدم اكتراثهم بإنذار الرسول لهم ، هددهم بالخسران المبين ، إلا أن شقوة كفرهم وعميان ضلالهم صرفهم عن الاتعاظ والتماس الحق إلى الاستمرار في الضلال واستعجال العذاب ، استبعاداً وتكذيباً لوقوعه ، فناسب مجيء التوكيد . وتعريف العذاب بلام الجنس تهويلٌ لأمر العذاب الذي سيلحق بهم .

---

(١) الكشاف ، ج٣ ، ص٤٥٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ، ومغني اللبيب ، لأبي محمد عبد الله بن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر : مطبعة المدني ، د.ط ، ج١ ، ص٣٤-٣٥ .

(١) ص٨٠ ، الموضع الثاني من مبحث النهي في هذا البحث .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥٣) .

موضع التوكيد : ﴿ وَلَيأتيَنهم بَغتَةً وَهم لا يَشعرونَ ﴾ ، ولشدة إنكار الكافرين لوقوع العذاب أكد الجملة بأكثر من أداة ، فلام القسم أكدت على حصول ما استبعدوا حدوثه ، فجاءت في وقت لا يعلمه إلا هو سبحانه ، وتقدير القسم : (وبالله ليأتينهم العذاب)[1]، ثم زاد في تأكيد نزول العذاب بهم فجأة بإسناد الفعل (يشعرون) إلى المبتدأ (هم) ، وبناء الجملة الفعلية على الضمير (هم) أفاد التوكيد من حيث كون الفعل (يشعرون) أسند مرتين : مرة إلى الضمير (هم) باعتباره مبتدأ ، ومرة أخرى إلى واو الجماعة العائدة على الضمير (هم) .

" وحكي استعجالهم العذاب بصيغة المضارع لاستحضار حال استعجالهم لإفادة التعجيب منها "[2].

● **الموضع الثالث عشر :**

حينما يتسلل هاجس القلق على الرزق وإيجاد مصدره ، خاصة عند الانتقال من بلد المنشأ ، يأتي النظم الحكيم ليلامس القلوب ويطمئنها ، فيقول الرزاق في ذلك : ﴿ **وَكَأَين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإِياكُم وَهوَ السميع العَليم** ﴾[3].

نستدلّ على مناسبة الآية بما قبلها من قول " ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال للمؤمنين بمكة حين آذاهم المشركون : ((اخرجوا إلى المدينة وهاجروا ، ولا تجاوروا الظلمة)) ، قالوا : ليس لنا بها دار ولا عقار ، ولا من يعطينا ولا من يسقينا ، فنزلت "[1] الآية .

لما أمر الرسول الكريم صحابته بما أمر الله به من الهجرة إلى المدينة طلباً للمقر الآمن لعبادتهم ، استوقفهم السؤال عن كيفية ترك مقر سكناهم ومحل رزقهم ؟ فجاءت هذه الآية الكريمة تطمئنهم على أرزاقهم مؤكدة بتقديم المسند إليه ﴿ **اللهُ يَرزقُهَا وَإِياكُم** ﴾ .

موضع التوكيد : ﴿ **اللهُ يَرزقُهَا** ﴾ ، قدم المسند إليه (الله) على الخبر الفعلي (يرزقها) بدل أن يقول : (يرزقها الله) ، فأفاد معنى الاختصاص (الله يرزقها لا غيره)[2]، ففي التقديم تأكيد على أنّ الرازق الوحيد هو الله ، لا ما يعبد الجهلاء ، والتوكيد في أسلوب الاختصاص من حيث إنه يتضمن

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٤ .

(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٨ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٦٠) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الناشر : دار الشعب ، القاهرة ، د.ط ، ج١٣ ، ص٢٦٠ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٥ .

أمرين : تخصيص أمر الرزق بالله ، ثم نفيه عما سواه . وعبر بالمضارع لإفادة تجدد الرزق واستمراريته منه سبحانه وتعالى .

﴿ **وَهوَ السميع العَليم** ﴾ ، تختم الآية بـ" هذه اللمسات الرفيقة العميقة بوصلهم بالله ، وإشعارهم برعايته ، فهو يسمع لهم ويعلم حالهم ، ولا يدعهم وحدهم "[(١)].

ومفهوم الآية يرسم صورة بيانية ، حيث قال الكلبي في معنى : ﴿ **وَكأين من دَابةٍ لا َتحملُ رزقهَا اللهُ َيرزقهَا وَإياكُم** ﴾ : " والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين ؛ إذ خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد الناس ، أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم "[(٢)]، فقوله : ﴿ **وَكأين من دَابةٍ ..** ﴾ خبر مستعمل مجازاً مركباً في لازم معناه ، وهو الاستدلال على ضمان رزق المتوكلين من المؤمنين ، وتمثيله للتقريب بضمان رزق الدواب الكثيرة التي تسير على الأرض لا تحمل رزقها ، وهي السوائم الوحشية . والقرينة على هذا الاستعمال هو قوله : ﴿ **.. اللهُ َيرزقهَا وَإياكُم** ﴾ ، والمقصود التمثيل في التيسير والإلهام للأسباب الموصلة ، وإن كانت وسائل الرزق مختلفة[(١)].

● **الموضع الرابع عشر :**

تختم سورة العنكبوت ببشارة المؤمنين المجاهدين للنفس في كلّ ما يعتريها من محنة أو بلاء ، قال المحسن الكريم : ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا فينَا لَنهدَينهم سبلَنا وَإن اللهَ لَمعَ الْمحسِنِينَ** ﴾ [(٢)].

خاتمة تتناسب مع ما تحدثت السورة عنه من أمر الفتنة ، فتنوعت مؤكدات خبر هذا الثواب في انسجام مع مركبات الجمل في الآية ، فبعد أن ختم القول بتوبيخ المشركين وذمهم ، جاء التنويه بجزاء المؤمنين ؛ لمزيد العناية بهم ؛ ولأنّ ذلك يزيد من غيظ الأعداء وتحقيرهم[(٣)].

موضع التوكيد : الأول : ﴿ **لَنهدَينهم** ﴾ ، والثاني : ﴿ **وَإن اللهَ لَمعَ الْمحسِنِينَ** ﴾ .

---

(١) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٤٩ .
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد الغرناطي الكلبي ، ج٣ ، ص١١٩ .
(١) ينظر : الطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٥ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .
(٣) ينظر : المرجع السابق .

وأدوات التوكيد في ﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ** ﴾ : لام القسم في جواب قسم محذوف تقديره : (والله لنهدينهم) ، وهي توكيد على زيادة هداهم هدى ونوراً لا يضلّون بعده ، وهذا جزاؤهم في الدنيا . وقد عبر بالسبب في (لنهدينهم) عن المسبب الذي هو ما يجعل لهم من النور الذي لا يضلّ من صحبه .

﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ : " لمّا كان المحسن كلّما توفّر حظه في مقام الإحسان نقص حظه من الدنيا ، ظن الأغبياء أن ليس لله به عناية ، عظّم التأكيد في قوله ، لافتاً الكلام عن أسلوب الجلال إلى أجلّ عنه بما زاد من الجمال "[(١)] . أكدت الجملة بـ (إن - ولام الابتداء - واسمية الجملة) والمعية هنا خاصة بالمؤمنين المجاهدين للنفس ، وهي معية في الدنيا بالتوفيق والتأييد ، وزيادة أسباب الهداية ، وهي " مجاز في العناية والاهتمام بهم "[(٢)] بقرينة إضافتها للمحسنين وعلاقته اللزومية ؛ حيث إنّ المعنى الوضعي لمعية الله يلزم منه للمعنى المجازي العناية والاهتمام منه سبحانه وتعالى بالمحسنين . وفي الآية تذييل يفيد عموم هذه المعية لكل محسن .

سادساً : التعريف والتنكير :

لكلّ من التعريف والتنكير أسبابه ودواعيه التي يقتضيها النظم من خلال السياق ، ونحن هنا في دراستنا التطبيقية لهذا المبحث في سورة العنكبوت نتناول التعريف والتنكير معاً في آيات السورة الكريمة حسب ترتيبها ، مع بيان مواطن كلّ منهما في الآية ونوع المعرفة ، ثم ذكر الداعي البلاغي من التعريف والتنكير من خلال السياق .

تتنوع المعارف إلى ستة أنواع ، وهي :

١- التعريف بالإضمار . ٢- التعريف بالعلمية .

٣- التعريف (بأل) . ٤- التعريف بالإضافة .

٥- التعريف باسم الإشارة . ٦- التعريف بالاسم الموصول .

ولكل منها أغراض وأسرار يقتضيها المقام ، وسنأتي على ذكرها - بإذن الله - من خلال دراسة سورة العنكبوت .

---

(١) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٨٠ .

(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٧ .

أما التنكير ، فهو ما شاع في جنسه دون أن يدلّ على معين[1] ، وللسياق دورٌ مهم في تحديد أغراض التنكير . فمن أغراضه :

١- التقليل . ٢- التكثير .

٣- التعظيم . ٤- التحقير .

٥- العموم . ٦- النوعية .

٧- قصد الأفراد . ٨- قصد التجاهل .

وغيرها مما يتطلبه المقام[2] .

وقد تذكر الكلمة منكّرة في مقام ، ثم تذكر هي عينها معرفة في مقام آخر ، ولكل دواعيه ، ومن ذلك ما جاء في تنكير وتعريف كلمة (البلد) في سورتي البقرة وإبراهيم ؛ قال المولى ﷻ في سورة البقرة :

﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيم رَب اجعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمناً وَارزق أَهلَه منَ الثمَرَات مَن آمَنَ منهم بِاللهِ وَالْيوم الآخر** ﴾[3] ، فنكّر (بلداً) لاقتضاء المقام ذلك ، بينما أتى تعريفها بـ (أل) في سورة إبراهيم عند قوله تعالى :

﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيم رَب اجعَلْ هَـذَا الْبلَدَ آمناً وَاجنبنِي وَبَنِي أَن نعبدَ الأَصنَامَ** ﴾[1] ، " والتعريف هنا للعهد ، والتنكير في آية البقرة تنكير النوعية ، فهنا دعا للبلد بأن يكون آمناً ، وفي آية سورة البقرة دعا لمشار إليه أن يجعله الله من نوع البلاد الآمنة "[2] .

ملاحظة : لفظ الجلالة أعرف المعارف ، وهذا لا يخفى على أحد ، فلم أُشر إليه ؛ لأنه واضح ومعلوم ، وتجاوزت التعريف بالضمائر المتصلة ؛ لأنها بديهية ، فلا تحتاج إلى توضيح ، إلا ما ندر .

● **الموضع الأول :**

قال العليم الخبير : ﴿ **أَحَسِبَ الناس أَن يترَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنا وَهم لاَ يفْتَنونَ** ﴾[3] .

---

(١) ينظر : كتاب الدكتور : فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها ، ص٣٤٢ .

(٢) ينظر : شروح التلخيص ، ج١ ، ص٣٥٩ . لمعرفة المزيد من أسرار التعريف والتنكير .

(٣) آية (١٢٦) .

(١) آية (٣٥) .

(٢) التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، م٧ ، ج١٣ ، ص٢٣٨ ، سورة إبراهيم .

** هنالك آيات قد سبق تحليلها وذكر مناسبتها ، والبعض الآخر قد تكرر فيه أسلوبا التعريف والتنكير ، فتجاوزت ذلك ؛ لتفادي التكرار .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

مواضع التعريف : ﴿ **أَحَسِبَ الناس** ﴾ و ﴿ **وَهم لا يفْتنونَ** ﴾ ، التعريف الأول في (الناس) بلام الجنس ، والغرض منه الاستغراق العرفي ؛ إذ " المراد بالناس : كلّ الذين آمنوا "[(١)].

ثم يأتي ضمير الغائب ﴿ **وَهم لا يفْتنونَ** ﴾ لتقدم ذكر مرجعه (الناس) ، والضمير يرجع إلى (المؤمنين) الذين يظنون أنه لا مشقّة بعد الإيمان .

- **الموضع الثاني :**

قال الله العالم : ﴿ **وَلَقَد فَتنا الذينَ من قَبلهم فَلَيعلَمَن الله الذينَ صَدَقُوا وَلَيعلَمَن الْكَاذِبِينَ** ﴾ [(٢)].

مواضع التعريف : ﴿ **وَلَقَد فَتنا** ﴾ و ﴿ **الذينَ من قَبلهم** ﴾ و ﴿ **الذينَ صَدَقُوا** ﴾ و ﴿ **الْكَاذِبِينَ** ﴾ ، إذن احتوت الآية على عدة مواضع للتعريف كان أولها : ﴿ **وَلَقَد فَتَنا** ﴾ ، عبر النظم الحكيم بالضمير المتصل (نا) الفاعل ؛ لتعظيم المتكلم ، وهو الله مدبر الأمور ، والعالم بما تخفيه سرائر القلوب .

ثم يأتي الموضع الثاني للتعريف في : ﴿ **الذينَ من قَبلهم** ﴾ بالموصولية الصلة (من قبلهم) ، والغرض هو تقرير أمر الفتنة ، وأنها ضاربة في تاريخ الأمم منذ الأزل ، فلا يتوقّع خلاف ذلك .

أما التعريف الثالث : ﴿ **الذينَ صَدَقُوا** ﴾ أفاد الموصول وصلته الماضوية - صدقوا - " أنهم اشتهروا بحدثان صدق الإيمان ، وأنّ صدقهم محقّق "[(١)].

أما الموطن الرابع فهو : ﴿ **الْكَاذِبِينَ** ﴾ ، دخلت لام العهد على اسم الفاعل فأفادت أنهم عهدوا وتميزوا بهذا الوصف[(٢)]. والغرض من التعريف حضوري ، حيث لم يسبق ذكر للمشار إليه لا تصريحاً ولا تلويحاً ، وإنما فهم من الجملة أنّ مزيفي الإيمان والمشركين هم المقصودون بالكذب ؛ لأنهم عند أدنى الفتن ينفرون ويتذمرون .

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٢ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٣) .
(١) المرجع السابق .
(٢) ينظر : المرجع السابق .

● **الموضع الثالث :**

قال العظيم الحكيم جلّ شأنه : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئات أن يَسبِقُونَا سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾[(١)] .

مواضع التعريف في الآية : ﴿ **الذينَ يَعمَلُونَ** ﴾ و ﴿ **السيئات** ﴾ و ﴿**يَسبِقُونَا** ﴾ و ﴿ **مَا يَحكُمونَ** ﴾ ، بعد أن أُنكر على المؤمن ظنه عدم الافتتان ، شدد الإنكار على من هم أفظع حال منه ؛ فناسب مجيء التعريف بالموصولية في ﴿ **الذينَ يَعمَلُونَ** ﴾ ؛ للتنبيه على خطأ غير المخاطب ، ولم يأت الخطاب لهم مباشرةً ؛ تحقيراً لشأنهم - والله أعلم بأسرار ما أنزل - .

وعبر بـ (السيئات) " تقبيحاً لأعمالهم وتبشيعاً لها ؛ لأنها اعتداء على حرمات أهلها الأبرياء "[(٢)] . والتعريف بـ (أل) كنائي ؛ لأنه سبق ذكر ما يوحي إلى ذلك ، فلما " أنكر على الناس عموماً ظنهم الإهمال ، علم أنّ أهل السيئات أولى بهذا الحكم "[(٣)] . كذلك ما أخبرت عنه الآية السابقة من علم الله بالقلوب الصادقة والكاذبة ؛ فمن القلوب الكاذبة قلوب أهل السيئات .

ودلّ الجمع في (السيئات) على تعدد المتصفين به ، واختص بالشرك ، وقيل : عموم المرتكبين للسيئات من مشركين ومؤمنين[(١)] .

وارتضي الرأي الأول لأنّ ما يخص المؤمنين قد سبق ذكره عند قوله : ﴿ **أحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقُولُوا آمنا وَهم لا يفْتنون** ﴾ ، أما ما قيل هنا فلا يستحقّه إلا الكفرة المسيئين بشركهم والمعذبين لمن آمن بالحي القيوم ، وعبر بـ (نا) المفعولين ؛ لعظمة القائل ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وتختم الآية بتعريف الصلة والضمير المتصل (واو الجماعة) في ﴿ **سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾ ، أي أن حكمهم بالإفلات من عذاب الله مع عصيانهم ومخالفتهم أمره هو حكم سيء ، والعاقل لا يحكم على

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤) ، سبق تحليل الآية في مبحث الاستفهام .

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن للمطعني ، ج٣ ، ص٢٢٢ .

(٣) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٣٦ .

(١) ينظر : روح المعاني ، للألوسي ، ج٢٠ ، ص١٣٧ .

الله بمثل هذا ، فالله يفعل ما يريد سبحانه وتعالى[1] . (ما) موصولة والفعل المضارع (يحكمون) صلتها ، والمخصوص بالذم محذوف ، وهو فاعل سيء ، والتقدير : (ساء الحكم الذي يحكموه) .

وتعددت الآراء في المراد بالفعل (ساء) ، فالبقاعي يرى أنه تعجب لتعظيم الإنكار ، فقال : " عجب ممن يحوك ذلك في صدره تعظيماً لإنكاره ، فقال : ﴿ **سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾ "[2] .

أما الطاهر فيرى أنه تقرير لمعنى الإنكار الواقع في أول الآية ، وذمهم لحسبانهم ذلك[3] .

وأكد المطعني على هذا المعنى فقال : " ﴿ **سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾ استئناف مقرر لمعنى ما قبله ... والجملة وإن كانت خبرية ، فهي مسوقة للذم والوعيد والتهديد وسوء المصير "[4] .

ورأي البقاعي والطاهر يلتقيان على معنى واحد ؛ لأن البقاعي يرى أنّ الفعل (ساء) تعجيب لتعظيم الإنكار ، أي ما أسوأ هذا الحكم الذي حكموا به لأنفسهم . والطاهر يرى أنه تقرير لمعنى الإنكار في : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئات** ﴾ .

● **الموضع الرابع :**

ويجتمع التعريف والتنكير في قول الرحمن الرحيم : ﴿ **وَوَصينَا الإنسَانَ بِوَالدَيه حسناً وَإن جَاهَدَاكَ لتشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلَا تطعهمَا إلَي مَرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾[1] .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ **وَصينَا** ﴾ ، ﴿ **الإنسَانَ** ﴾ ، ﴿ **حسناً** ﴾ ، ﴿ **علْم** ﴾ ، ﴿ **إلَي مَرجِعكُم** ﴾ ، ﴿ **فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ .

اشتملت الآية على العديد من أساليب التعريف والتنكير ، وكان أولها التعريف بالإضمار في (وصينا) بضمير (نا) الفاعل الدالة على عظمة المتكلم سبحانه وتعالى .

---

(١) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ،ج٢٥ ،ص٢٧ .
(٢) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٧ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٧ .
(٤) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ، ج٣ ، ص٢٢٢ ، بتصرف .
(١) سورة العنكبوت : الآية (٨) .

ثم يردفه التعريف بلام الجنس في (الإنسانَ) ، وخرج إلى الاستغراق الحقيقي ؛ لأن الامتثال واجب على كلّ إنسان ، فالكل مأمور بطاعة والديه ، لكن يستثنى من ذلك ما كان في معصية الخالق فلا يطـاع .

﴿ **حسناً** ﴾ نكّرها للدلالة على الكمال[1] . ونكّر (علم) في ﴿ **مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْم** ﴾ للتحقير[2] .

﴿ **إِلَي مَرجِعكُم** ﴾ " استئناف بياني لزيادة تحقيق ما أشارت إليه مقدمة الآية من قوله تعالى : ﴿ **وَوَصينَا الإِنسَانَ بِوَالدَيه حسناً** ﴾ "[3] . والتعريف في ضمير المتكلم المجرور بإلى وهو (ياء المتكلم) ، وهنا أيضاً (مرجعكم) معرف بالإضافة ، إضافة المصدر إلى ضمير المخاطبين .

﴿ **فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ جاء التعريف بالخطاب لغير معين ، وذلك للتعميم ، فهو موجه لكل من افتتن بجهاد والديه المشركين ، أو لكل مؤمنٍ وعاصٍ . فالرجوع إلى الله لا يقتصر على مخاطب بعينه . والتعريف بالموصولية في (ما) في قوله (بما كنتم) للإشارة إلى الوجه الذي يبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب .

● **الموضع الخامس :**

وفي كشف المذبذبين في إيمانهم قال علام الغيوب : ﴿ **وَمنَ الناسِ مَن يَقُولُ آمنا بِاللهِ فَإِذَا أُوذيَ في اللهِ جَعَلَ فتنَةَ الناسِ كَعَذَابِ الله وَلَئن جَاءَ نَصر من ربكَ لَيَقُولُن إنا كُنا مَعَكُم أَوَليسَ الله بِأَعلَمَ بِمَا في صدورِ العَالَمينَ** ﴾[1] .

موضع التعريف : تعددت مواضع التعريف والتنكير وارتكز أغلبها على التعريف بالإضافة ، ﴿ **مَن يَقُولُ** ﴾ ، ﴿ **فتنَةَ الناسِ** ﴾ ، ﴿ **كَعَذَابِ اللهِ** ﴾ ، ﴿ **نَصر** ﴾ ، ﴿ **من ربكَ** ﴾ ، ﴿ **بِأَعلَمَ** ﴾ ، ﴿ **بِمَا في صدورِ العَالَمينَ** ﴾ .

جاء التعريف الأول بـ (من) الموصولة في قوله : ﴿ **مَن يَقُولُ** ﴾ ، تتحدث الآية هنا عن المنافقين ؛ لذلك جاء التعريف بالموصولية للتنبيه على خطأ المخاطب بالكشف عن حقيقة مقولتهم (آمنا بالله) .

---

(١) سبق ذكره في مبحث الأمر الموضع الأول ص٥٦ .
(٢) سبق ذكره في مبحث النهي الموضع الأول ص٧٩ .
(٣) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٤ .
(١) سورة العنكبوت : الآية (١٠) .

ثم جاء التعريف في قوله سبحانه : ﴿ **فِتْنَةَ النَّاسِ** ﴾ والغرض البلاغي من التعريف بالإضافة هو تحقير العذاب الذي يجده ضعيف الإيمان أو مدعيه من المشركين مقابل عذاب الله الدائم . فعذاب الخلق في الدنيا منقطع وسينتهي ، وعذاب القاهر باقٍ لا يتوقف ، إلا رحمةً منه . فعبر بلفظ الفتنة دون العذاب ؛ لأن فعل العبد ابتلاء من الله(١) .

أما قوله : ﴿ **كَعَذَابِ اللَّهِ** ﴾ أفاد التعريف تعظيم عذاب الله سبحانه وتعالى الصارف للمؤمن عن الكفر وأعوانه .

ونكر (نصرٌ) تأكيداً لتحقّق الوعد بالنصر للمسلين ، ثم جاء التعريف في قول المولى ﴿ **مِن رَّبِّكَ** ﴾ : " أي المحسن إليك بنصر أهل دينك ، تصديقاً لوعدك لهم ، وإدخالاً للسرور عليك "(٢)، ففي الإضافة تعظيمٌ لشأن محمداً ﷺ ؛ لأنه هو المقصود بكاف الخطاب .

وفي تناسب يتلاحم فيه النظم مع السياق يعبر مع (العذاب) بلفظ الجلالة الدالّ على الهيبة والعظمة ، بينما عبر مسبقاً بلفظ الرب الدال على الرحمة والعناية مع النصر : ﴿ **وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ** ﴾(١) .

﴿ **أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ** ﴾ ، وفي هذا الجزء من الآية نكّر اسم التفضيل ﴿ **بِأَعْلَمَ** ﴾ للتعظيم والتفخيم ، فهو أعلم من أصحاب الصدور بذلك . ولزيادة التقرير بعلمه سبحانه جاء التعريف بـ (ما) الموصولة ﴿ **بِمَا فِي صُدُورِ** ﴾ ، وتتوج نهاية الآية بالإضافة الدالة على شمولية علم العليم بخفايا الأمور وظواهرها ، حيث أضيف (صدور) إلى (العالمين) ، فأفادت الإضافة ذلك الشمول لكل الصدور .

- **الموضع السادس :**

وتصل حماقة الكفر إلى تخيل ما ليس بالمقدور على عمله ، فقال الله كاشفاً لسرائرهم : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾(٢) .

---

(١) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٣٥ .

(٢) البقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٠ .

(١) ينظر : المرجع السابق .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ **الذينَ كَفَروا** ﴾ و ﴿ **اتبعوا سَبيلَنا** ﴾ و ﴿ **من شَيءٍ** ﴾ . فلشدة كفر هؤلاء وفداحة ما هم عليه من سوء جاء التعريف بالموصولية لذكر السبب الذي حملهم على إضلال المؤمنين ، فقد تصوروا أنّ بإمكانهم تحمل العقوبة عن المؤمن الذي يتبع طريقهم ، وهذا خطأ أرادوا به التغرير ، فتخيلوا من سفاهتهم إمكان ذلك .

ولدقة النظم الجليل جاء التوافق بين السياق والتركيب عند " وصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق ؛ لما أن مساق الكلام لبيان جنايتهم ، وفيما سبق لبيان جناية من أضلوه ، واللام في (للذين آمنوا) للتبليغ ، أي قالوا مخاطبين لهم "[٢].

ثم حكى القرآن ما قالوه : ﴿ **اتبعوا سَبيلَنا وَلْنحملْ خَطَاياكُم** ﴾ معرفاً بالإضمار في مقام التكلم ﴿ **سَبيلَنا** ﴾ للتشويق ولفت نظر سامعيهم إلى قولهم - وبئس ما نطقوا به - ، فما كان إلاّ وبالاً على رؤوسهم يوم اللقاء الأعظم . وعبر بصيغة منتهى الجموع في (خطاياكم) دلالة على تحمل كل الخطايا .

ويكشف العليم الخبير كذبهم في قوله : ﴿ **وَمَا هم بِحَاملينَ من خَطَاياهم من شَيءٍ إنهم لَكَاذبونَ** ﴾ ، نكّر (شيء) للعموم ، فليس بمقدور أولئك الحمقى تحمل أدنى خطيئة لأحد[١] ، وأجد في تنكير (شيء) أنه أفاد التقليل .

- **الموضع السابع :**

نجى الله نوحاً ومن معه من الهلاك عند نزول العذاب بقومه ، وفي ذلك يقول الحافظ : ﴿ **فَأنجَيْنَاه وَأصحَابَ السفينَة وَجَعَلْنَاهَا آيَةً للْعَالَمينَ** ﴾[٢].

بعد أن ذكر الله سبحانه إرسال نوح ودعوته لقومه في تسعمائة وخمسين سنة ، ولم يؤمن إلا قليلٌ منهم ، ومع هذا صبر على إعراضهم وسخريتهم ، حتى أتى أمر الله بهلاك الظالمين ، والإخبار بنجاة نوح ومن آمن معه بالتعريف بالإضمار .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٢) .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٤٢ ، ونقل عبارته الألوسي ، ج٢٠ ، ص١٤٠ .

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٨ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (١٥) .

مواضع التعريف : ﴿ فَأنجَيْنَاه ﴾ و ﴿ وَأصحَابَ السفينَة ﴾ و ﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً ﴾ . تتضاعف أساليب التعريف في الآية بدءًا بضمير التكلم الدال على عظمته سبحانه وتعالى[1] ، أما ضمير الغائب فيعود إلى نوح ﷺ ، وقد جاء ما يدلّ عليه لفظاً في الآية السابقة : ﴿ وَلَقَد أرسَلْنَا نوحاً ﴾ ، وهو تقرير بإنجاء الله لنوح والمؤمنين من العذاب ، خاصة وأنّ فعل الإنجاء أسند إلى الله .

وناسب التعريف بالإضافة في ﴿ وَأصحَابَ السفينَة ﴾ الاختصار ؛ وذلك لتعذّر التعداد أو التفصيل . وذكر الزمخشري عدد الذين كانوا في السفينة ، فقال : " ثمانية وسبعين نفساً ... وخمس نسوة "[2] .

ونصل إلى آخر أساليب التعريف في هذا المقام ، وهو تعريف الإضمار في ﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ ، فـ (نا) الفاعل دالة على عظمة الخالق سبحانه في إبقاء السفينة سنوات عدة للعظة والعبرة ، وأما الضمير (الهاء) فقد اختلف في مرجعه هل هو للسفينة أو للحادثة[1] ؟.

وأرجح القول بأنّ الضمير عائدٌ إلى السفينة ؛ لأنه تقدم ذكرها سابقاً ، وأفادت عودة الضمير عظم شأن السفينة حتى بقيت عظة وعبرة للعالمين . ثم نكر (آية) تعظيماً لشأنها ، " فكانت السفينة آية ماثلة في عصور جميع الأمم الذين جاءتهم الرسل بعد نوح موعظة للمكذبين وحجة للمؤمنين "[2] .

● **الموضع الثامن :**

وتتواصل أساليب التعريف والتنكير متلاحمة لإبراز لمحات بلاغية في الذكر الحكيم ، ففي قول الواحد الأحد في قصة إبراهيم ﷺ : ﴿ **وَإبرَاهيمَ إذْ قَالَ لقَومه اعبدوا اللهَ وَاتقُوه ذَلكُم خَير لكُم إن كُنتم تَعلَمونَ** ﴾ ، ﴿ **إنمَا تَعبدونَ من دون الله أوثَاناً وَتَخلُقُونَ إفْكاً إن الذينَ تَعبدونَ من دون الله لَا يَملكُونَ لَكُم رزقاً فَابتَغوا عندَ الله الرزقَ وَاعبدوه وَاشكُروا لَه إلَيه ترجَعونَ** ﴾[3] .

---

(١) ينظر : نظم الدرر للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٣ .

(٢) الكشاف ، ج٣ ، ص٤٥٠ ، بتصرف . لم أذكر الحديث الذي أورده عن النبي ؛ لأن المحقق ضعفه جداً .

(١) أكثر المفسرين ذكر الرأيين ، إلا أن الرازي فصل القول فيها . ينظر : كتابه التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٣٨ .

(٢) ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٣ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (١٦-١٧) .

مواضع التعريف والتنكير في الآيتين : ﴿ إبراهيم ﴾ ، ﴿ ذَلكُم ﴾ ، ﴿ خيرٌ ﴾ ، ﴿ اللهِ ﴾ ، ﴿ أوثَاناً ﴾ ، ﴿ إفْكاً ﴾ ، ﴿ الذين تعبدونَ ﴾ ، ﴿ رزقاً ﴾ ، ﴿ الرزق ﴾ ، ﴿ واعبدوه واشكُروا لَه إلَيه ترجعونَ ﴾ .

في الآية الأولى ذُكر اسم إبراهيم عليه السلام لمدحه على صدق دعوته ، وحسن صبره على مبتلاه . فقد " انتقل من خبر نوح إلى خبر إبراهيم ؛ لمناسبة إنجاء إبراهيم من النار ، كإنجاء نوح من الماء . وفيه تنبيه إلى عظم القدرة ؛ إذ أنجت من الماء ومن النار "[1] . ثم عبر باسم الإشارة للبعيد (ذلكم) أي ما ذكر من العبادة والتقوى ، وأفاد ذلك تعظيم الأمر الذي يدعو إليه إبراهيم .

ونكّر (خير) لعموم فائدة دعوة إبراهيم عليه السلام ، وتعظيماً لشأن ما يدعو إليه .

وتكرر في الآية الثانية التعريف بالعلمية في لفظ الجلالة " إشارة إلى استحقاق عبوديته لذاته "[1] ، وإحضاراً لعظمته في ذهن السامع باسم يختص به ويمتاز عما عداه[2] ، أما التصريح بـ (أوثَاناً) فلبيان " بطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة إلى الدين الحق ، أي ما تعبدون من دون الله إلا أوثاناً هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ، ليس فيها وصف غير ذلك "[3] ، وبذلك أفاد التنكير التحقير من شأن الأوثان ، فما هي إلا أصنام من صنع أيديهم ، كذلك أفاد تنكير (إفكاً) التقليل من شأن ما صنعوا وتحقيره .

ثم يأتي التعريف بالموصولية في ﴿ **الذينَ تَعبدونَ من دون اللهِ** ﴾ تنبيهاً على خطأ المخاطبين - وهم قوم إبراهيم - في انصرافهم عن الحق وتمسكهم بالأوهام . وأما تنكير (رزقاً) ثُم تعريفها فقال : (الرزق) ، فقد سبق تفصيل القول فيه[4] .

وقوله : ﴿ **وَاعبدوه وَاشكُروا لَه إلَيه ترجَعونَ** ﴾ ، لقد تقدم ذكر ما يعود إليه الضمير لفظاً ، وهو المولى جل جلاله ؛ تنبيهاً على أهمية الالتزام بما أسند إلى الضمير من العبادة والشكر ، لذلك جاء التعريف بالإضمار - والله أعلم - ، فالمسند (اعبدوا - واشكروا) ، والمسند إليه الضمير العائد إلى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) المرجع السابق .

(١) التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٤٠ .

(٢) يمكن العودة إلى كتاب الإتقان للسيوطي ، عند ذكره لأغراض التعريف بالعلمية ، ص٤٥٥ .

(٣) روح المعاني ، للألوسي ، ج٢٠ ، ص١٤٤ .

(٤) في مبحث الأمر ، الموضع الرابع ، ص٦٠ .

● **الموضع التاسع :**

قال الخالق للفت الأنظار إلى عظيم قدرته : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوا كَيفَ يبدئ الله الْخَلْقَ ثُم يعيده إن ذَلكَ عَلَى اللهِ يَسِير** ﴾[(١)] .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ **الْخَلْقَ** ﴾ و ﴿ **إن ذَلكَ** ﴾ و ﴿ **يَسِير** ﴾ ، يقرر الله للمنكرين وعباد الأوثان رؤيتهم لدلائل وحدانية الله ، ومن ذلك بدء الخلق وإعادته : " ألم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم ينفخ فيه الروح ، ثم يخرجه إلى الدنيا ، ثم يتوفاه بعد ذلك ؟ وكذلك سائر الحيوانات وسائر النباتات ، فإذا رأيتم قدرة الله سبحانه على الابتداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة "[(١)]، ومن ذلك يتجلى الغرض من التعريف في (الْخلْق) بلام الجنس الدالة على الاستغراق الحقيقي ، حيث أشارت اللام إلى كلّ الأفراد التي يتناولها اللفظ ؛ فالله هو الخالق لجميع الكائنات ، وهو القادر أيضاً على إعادتها بعد مماتها ، فسبحان الله ما أعظم قدرته وأجلّها .

ثم يؤكد على هذا الأمر بقوله : ﴿ **إن ذَلكَ عَلَى اللهِ يَسِير** ﴾ ، ومعبراً باسم الإشارة للبعيد ؛ لتعظيم درجة المشار إليه - بدء الخلق والإعادة - ، وأمره سبحانه أن يقول للشيء كن فيكون ، ثم نكّر (يسير) تعظيماً لقدرة الله ؛ " إذ لا يفتقر فعله إلى شيء أصلاً "[(٢)].

● **الموضع العاشر :**

قال : ﴿ **وَمَا أَنتم بِمعجِزِينَ في الأَرضِ وَلا في السمَاء وَمَا لَكُم من دون اللهِ من وَلي وَلا نَصير** ﴾[(٣)] .

بعد أن استنكر الملك الديان على الطاغين إعراضهم ، وإغفالهم النظر والرؤية لدلائل وحدانيته ، أكد لهم أنّ مرجعهم إليه ، فيعذّب من يشاء ويرحم من يشاء ، ثم عطف عليها بخطاب موجه للجميع أنه لا يفلت من قبضته سبحانه أحد مهما غار في الأرض أو صعد في السماء .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٩) .

(١) الشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص١٩٧ .

(٢) أبو السعود ، ج٤ ، ص٢٥٥ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٢٢) .

مواضع التعريف : ﴿ وَمَا أنتم بِمعجِزِينَ ﴾ ، ﴿ الأرضِ ﴾ ، ﴿ السمَاء ﴾ ، ﴿ وَلي ﴾ ، ﴿ نَصيرٍ ﴾ .

﴿ وَمَا أنتم بِمعجِزِينَ ﴾ : أي لا تفوتون من حكم ربكم لا في السماء ولا في الأرض ، وإن هربتم[1]. وهنا تعريف بضمير الخطاب (أنتم) ، وقيل : إنه موجه للجميع من عرب و غيرهم[2]. وكشف التعريف عن سبب مجيئه ، وهو تنبيه المخاطب على خطئه ، فلا يظن أحدٌ أنه يستطيع الإفلات من عذاب الله ، لا في الأرض ولا في السماء . وأسهم تنكير (معجزين) في زيادة تحقير قدرتهم على الإفلات من العذاب ، كما أفاد التعريف بلام الجنس في (الأرض - والسماء) في قوله تعالى : ﴿ في الأرضِ وَلا في السمَاء ﴾ الإشارة إلى كلّ ما يتبع اللفظتين ، وهو زيادة في تحقيق عجزهم ، فلا يجدون موئلاً ينجيهم من قدرة الله في أي مكان من الأرض ، سهلها وجبالها ، وبدوها وحضرها . ثم عطف عليها (السماء) احتراساً وتأييساً من الطمع في النجاة ، وإن كانوا لا مطمع لهم في الالتحاق بالسماء[1].

﴿ وَمَا لَكُم من دون اللهِ من وَلي وَلاَ نَصيرٍ ﴾ ، عبر بـ (من) الزائدة للتوكيد ، " أي ليس لكم ولي يواليكم ، ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم عذاب الله "[2]. ونكّر (ولي ، ونصير) ؛ لإفادة التيئيس من وجود الولي والنصير ، كما أفاد أيضاً التحقير من شأن من هم من دون الله .

● **الموضع الحادي عشر :**

تهديد ووعيد قوي اللهجة ، وعذاب منتظر في قول العادل : ﴿ وَالذينَ كَفَرُوا بِآيَات الله وَلقَائه أُولَئكَ يَئسوا من رحمَتي وَأُولَئكَ لَهم عَذَاب أَليم ﴾[3].

تتواصل الآيات في التعريف بحقيقة المنكرين وعجزهم ، وأن العقوبات تنتظرهم أمام ذلك الكفر المتوارث والتمسك بحماقة الإعراض والتكذيب .

---

(١) ينظر : الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٣ .
(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ، المؤلف : أبو البقاء العكبري ، المحقق : علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى البابي الحلبي ، د.ط ، ج٢ ، ص١٠٣١ ، وينظر : نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٩ .
(١) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٢ .
(٢) فتح القدير ، ج٤ ، ص١٩٨ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٢٣) .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ والذين كَفَروا ﴾ ، ﴿ بِآيات الله ﴾ ، ﴿ أُولئك يئسوا ﴾ ، ﴿ من رحمتي ﴾ ، ﴿ عذَابٌ أليمٌ ﴾ .

وتزداد روعة التعريف عند التقائه بالتنكير ؛ ليسهما في فهم ما خلف النظم من معان ، فهذا اسم الموصول يتكرر وجوده ، لكن تختلف مراميه وفقاً للسياق الذي جاء فيه ، ففي قوله تعالى : ﴿ **وَالذينَ كَفَروا** ﴾ تعريف باسم الموصول المشير إلى الوجه الذي يبنى عليه الخبر من العقاب ؛ فكل من كفر بآيات الله وأنكر البعث فقد عرض نفسه لأسوء عقاب ، وهو حرمانه من رحمة الرحيم والنيل من عذابه المستديم .

ثم يصرح سبحانه باسمه الجليل عند قوله : ﴿ **بِآيات اللهِ** ﴾ لما يدلّ عليه من العظمة والهيبة ، كما أن في إضافة الآيات إلى الله " من التذكير بأنه حقيق بأن لا يكفر بآياته "[1]. فلا تقتصر على الآيات الدالة على وحدانيته ، بل جميع آياته " بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله ، فيدخل فيها النشأة الأولى الدالة على تحقيق البعث ، والآيات الناطقة به دخولاً أولياً "[2]. وسر الإضافة الاختصار ؛ لأن المقام يتعذر فيه التعدد والتفصيل .

﴿ **أولئكَ يَئسوا** ﴾ اسم الإشارة للبعيد ، حيث أفاد الوعيد ، وأنّ ما جاء بعده مترتب على ما كان قبله ، فما يئسوا من رحمته ووقع عليهم العذاب الأليم إلا مقابل كفرهم وإنكارهم للبعث[3]، وعبر بالماضي في (يئسوا) لتحقق حدوثه .

أما قوله : ﴿ **من رحمَتي** ﴾ فقد أضاف الرحمة إليه لتشريفها ؛ مما يدلّ على حرمانهم من شيء عظيم ، كذلك لدلالة الآية على " سوء حالهم أيضاً ؛ لإفادتها أنهم حرموا تلك الرحمة العظيمة بما ارتكبوا من العظائم "[4]، كما أجد في الإضافة تعظيماً للمضاف (الرحمة) .

---

(١) التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٦ .

(٣) ينظر : الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٤ ، والبقاعي ، ج٥ ، ص٥٥٠ .

(٤) روح المعاني ، للألوسي ، ج٢٠ ، ص١٤٩ .

وفي مقابل إنكارهم كرر اسم الإشارة لتأكيد التنبيه على فظاعة حالهم واستحقاقهم للعذاب ، ونكّر (عذاب) في ﴿ **وَأُولَئِكَ لَهم عَذَاب أليم** ﴾ للدلالة على فظاعة حالهم[1]؛ لعظَم هذا العذاب ، وكذلك التنكير في (أليم) ؛ لإفادة عظم الألم الذي يشتمل عليه هذا العذاب .

● **الموضع الثاني عشر :**

وإكمالاً لقصة إبراهيم عليه السلام قال الرب الرحيم : ﴿ **فَآمَنَ لَه لُوطٌ وَقَالَ إني مهَاجِر إلَى رَبي إنه هوَ الْعَزِيز الْحَكيم** ﴾[2] .

بعد أن عرضت الآيات دعوة إبراهيم قومه لعبادة الواحد الأحد ، وإقناعهم بالدلائل الكونية ، ثم ما أعقب ذلك من إحراق قومه له ، وصبره على ذلك المبتلى الذي انتهى بمعجزة إلهية ، فكانت نجاته من دون أدنى أذى ؛ يبادره لوط بالإيمان بدعوته ، فناسب المقام إبراز اسم لوط ؛ لتميزه في تلك المبادرة .

مواضع التعريف : ﴿ **فَآمَنَ لَه لُوطٌ** ﴾ و ﴿ **مهَاجِر** ﴾ ، ﴿ **هوَ الْعَزِيز الْحَكيم** ﴾ .

لما كان لوط هو أول الرجال تلبية لدعوة إبراهيم[3]، استحق التعريف باسمه إحضاراً لشخصه في ذهن السامع لما اختص وتميز به عما سواه .

ويقرر إبراهيم عليه السلام الهجرة حيث الأمان في العبادة ، وطاعةً لأمر الله ، فقال : ﴿ **إني مهَاجِر إلَى رَبي** ﴾ ، مؤكداً بـ (إن واسمية الجملة) على أن هجرته لن تخيب ؛ لأن معه من سيعزه ويحميه من أذى أعدائه ، والتي اقتضت حكمته أن يفارق سيدنا إبراهيم تلك الديار إلى حيث الراحة والاطمئنان بطاعة الرحمن ، فنكّر الهجرة في (مهاجر) ؛ لصعوبتها ، فهي تركٌ للأرض والعشيرة ، والانتقال إلى مكان آخر . أيضاً لعظَم وأهمية هذه الهجرة ، فهي أول هجرة إلى ذات الله وامتثال لأوامره[4] .

كما أسهم الضمير (هو) في ﴿ **إنه هوَ الْعَزِيز الْحَكيم** ﴾ في تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع ؛ فإن هجرته إلى ربه بسبب (أنه العزيز الحكيم) . وإتباع وصف العزيز بالحكيم " لإفادة أن عزته محكمة

---

(١) ينظر : المرجع السابق .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢٦) .
(٣) ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٥٢ .
(٤) ينظر : المرجع السابق .

واقعة موقعها المحمود عند العقلاء مثل نصر المظلوم ، ونصر الداعي إلى الحق ، ويجوز أن يكون (الحكيم) بمعنى الحاكم ، فيكون زيادة تأكيد معنى (العزيز) "[1] .

● **الموضع الثالث عشر :**

وبعد أن انتهى الكلام عن قصة إبراهيم ﷺ ، جاء ذكر ما منحه من الأجر الجامع بين خيري الدارين ؛ قال الواهب سبحانه : ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[2] .

لما ختمت الآية السابقة (بالعزيز الحكيم) ، ناسب إردافها بما حباه العزيز الحكيم لإبراهيم من الفضائل في الدنيا والآخرة مقابل صبره أمام إعراض قومه وأذاهم ، وانتقاله من بلاده مهاجراً إلى الله ابتغاء مرضاته .

مواضع التعريف : ضمير التكلم في كلٍ من ﴿ وهبنا ﴾ ، ﴿ إسحاق ويعقُوب ﴾ ، ﴿ وجعلْنا في ذُريته ﴾ ، ﴿ الْكتاب ﴾ ، ﴿ وآتيناه ﴾ ، ﴿ الصالحين ﴾ .

عبر بـ (نا) الفاعل في (وهبنا - وجعلنا - وآتيناه) للتعظيم ؛ فهو الواهب والمتفضل عليه بالمال والولد ، والصلاة عليه إلى يوم القيامة ، واستمرار سلالة النبوة في ذريته ، حتى يصل في النعيم إلى درجة الصالحين في الجنة .

ثم أشار في (ذريته) بالضمير العائد إلى إبراهيم[3] ، حيث دلالة السياق ، فنحن بصدد قصته ، كذلك قوله : ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ** ﴾ ، وهما ابن إبراهيم ، وابن ابنه ، وجاءت الآية على ذكرهما دون غيرهما ؛ لأنهما أشهر الأبناء والأحفاد - والله أعلم - .

ولم يأت على ذكر ابنه إسماعيل ؛ لمراعاة التناسب بين المقام والنظم ، فلما كان المقام يختص بالامتنان على ما وهبه الله إبراهيم لم يذكر إسماعيل ؛ لأنه سبق لأبي الأنبياء أن حزن لتركه وأمه في مكة ، كذلك رؤيته بذبح ابنه في المنام ، واستجابته لذلك حتى جاء أمر الله ، فكلّ هذا لا يناسب ذكره الآن ، لكنه أشار إليه في قوله : ﴿ **وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ**

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٨ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢٧) .

(٣) ينظر : الشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص١٩٩ .

وَالْكِتَابَ ﴾ ، بالإضافة إلى أنه يتعذّر ذكر كل أبنائه وأحفاده ، فاقتصر على ذكر أكبر الأبناء وأشهر الأحفاد[1] .

﴿ **النبوةَ وَالْكِتَابَ** ﴾ تتواصل نعم المنان على إبراهيم بأن جعل من ذريته " إسحاق ويعقوب ، وأنبياء بني إسرائيل وإسماعيل ، ومحمد خاتمهم ، صلى الله عليهم وسلم أجمعين "[2]. وأنزلت على أيديهم التوراة والزبور والإنجيل والفرقان ، وهذا ما أشار إليه التعريف بلام الجنس في ﴿ **الْكِتَابَ** ﴾[3]، حيث أفاد الاستغراق العرفي .

ثم تأتي الآية على ذكر ما أعد الله له في الآخرة : ﴿ **وَإِنه في الآخِرَة لَمِنَ الصالحينَ** ﴾ ، فأكد بـ(إن - واسمية الجملة ، واللام الداخلة على الخبر - المسماة : اللام المزحلقة -) ، أنه سيكون في " عداد الكاملين في الصلاح ، من التعميم بعد التخصيص ، كأنه لما عدد ما أنعم به عليه من النعم الدينية والدنيوية ، قال سبحانه : وجمعنا له مع ما ذُكر خير الدارين "[4]. فالتعريف في ﴿ **الصالحينَ** ﴾ أفاد الكمال في الصلاح .

● **الموضع الرابع عشر :**

قال المولى بعد بشارته لإبراهيم ، وإنذاره لقوم لوط : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنَا إبرَاهيمَ بِالْبشرَى قَالُوا إِنا مهلكُو أَهلِ هَذه الْقَرَيَة إِن أَهلَهَا كَانوا ظَالمينَ** ﴾[5].

لما زاد إعراض قوم لوط وتماديهم في ممارسة الفاحشة ، لجأ لوط إلى الحي القيوم ، طالباً النصر منه بالدعاء عليهم ؛ فأرسل الله الملائكة لإهلاك القوم ، استجابةً لدعوته عليه السلام .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ إبراهيم ﴾ و ﴿ بِالْبشرى ﴾ و ﴿ إِنا مهلكُو أهلِ ﴾ ﴿ هذه الْقَرية ﴾ و ﴿ إن أَهلَها كَانوا ظَالمين ﴾ .

---

(1) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج25 ، ص51 ، وكذلك روح المعاني ، للألوسي ، ج20 ، ص152 .
(2) البحر المحيط ، لأبي حيان ، ج7 ، ص145 .
(3) أشار إلى ذلك أغلب التفاسير بدءاً بالزمخشري في الكشاف ، ج3 ، ص455 ، وانتهاءً بالطاهر بن عاشور ، م10 ، ج20 ، ص279 .
(4) روح المعاني ، للألوسي ، ج20 ، ص153 .
(5) سورة العنكبوت : الآية (31) .

جاء سياق الآية ضمن سياق قصة لوط عليه السلام ، فناسب ذكر اسم (إبراهيم) حتى يعرف من هو المراد بالبشرى .

ويبرز إبداع تناسبي في التعبير بـ (الْبشرى) بالرغم من أنّ المقام مقام إنذار وإهلاك ؛ وذلك لطمأنة إبراهيم عليه السلام بأنّ الله سيملأ الأرض بالعباد الصالحين ، وبالتالي لا يحزن على من سيهلك من القوم الظالمين ، كذلك لأن رحمته تسبق دوماً عذابه[(١)] . والمقصود من البشارة ما جاء ذكره في الموضع السابق ، وجاء إجمال البشارة وتفصيل النذارة لمناسبة المقام[(٢)] .

وأتى تعريف (البشرى) تلويحاً ، حيث إن وجود " (لما) يقتضي أنّ مجيء الملائكة بالبشرى أمر معلوم للسامع ، مع أنه لم يتقدم ذكر للبشرى ، فتعين أن يكون التعريف في البشرى تعريف العهد "[(٣)] .

أما الإضافة في قوله : ﴿ **إنا مهلكُو أهل** ﴾ فقد اختلف حول ما إذا كانت إضافة لفظية أو معنوية ، فالزمخشري يرى أنها للتخفيف وليست للتعريف ، حيث يقول : " وإضافة (مهلكو) إضافة تخفيف لا تعريف ؛ لمعنى الاستقبال "[(٤)] .

أما الألوسي فقد ذكر الرأيين ، حيث قال : " وإضافة (مهلكو) إلى (أهل) لفظية ؛ لأن المعنى على الاستقبال ، وجوز كونها معنوية لتنزيل ذلك منزلة الماضي ؛ لقصد التحقيق والمبالغة "[(٥)] .

ثم يأتي اسم الإشارة للقريب في (هذه الْقَرية) للإشارة إلى قربها من محلّ وجود إبراهيم[(٦)] ، أو قرب قرب زمن هلاك أهل القرية .

وأكد بـ (إن - واسمية الجملة) على سبب إهلاك القوم ﴿ **إن أهلَهَا كَانوا ظَالمينَ** ﴾ ، كما أفاد تنكير ﴿ **ظَالمينَ** ﴾ تعظيم وتهويل ظُلمهم واتساعه ، فلا يقتصر على ظلم أنفسهم ، بل ويمتد إلى " ظلمهم الناس بالغصب على الفواحش والتدرب بها "[(٧)] .

---

(١) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٤ .
(٢) ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٥٥ .
(٣) التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٢ .
(٤) الكشاف ، ج٣ ، ص١٥٦ .
(٥) روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٥٤ . وقد نقل عبارة أبي السعود في كونها لفظية من ج٤ ، ص٢٥٨ ، ثم أضاف جواز كونها معنوية .
(٦) ينظر : المرجع السابق .
(٧) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٣ .

- **الموضع الخامس عشر :**

وإكمالاً لقصة لوط قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا أَن جَاءَت رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِم وَضَاقَ بِهِم ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَت مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ [(١)].

وتنتقل الملائكة من إبراهيم ﷺ إلى لوط ﷺ لتخبره بهلاك قومه .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ **رسلنا** ﴾ ، ﴿ **لوطاً** ﴾ ، ﴿ **سيءَ بهم** ﴾ ، ﴿ **ضَاقَ بِهِم** ﴾ ، ﴿ **ذَرعاً** ﴾ ، ﴿ **إنا** ﴾ ، ﴿ **مَنجوكَ** ﴾ ، ﴿ **وَأَهلَكَ** ﴾ ، ﴿ **امرَأَتَكَ** ﴾ ، ﴿ **الْغَابِرِينَ** ﴾ .

جاء التعريف في ﴿ **رسلنا** ﴾ بضمير المتكلم ؛ لعظمته سبحانه وتعالى ، وتعظيماً للرسل . ثم ذُكر اسم ﴿ **لوطاً** ﴾ ﷺ ؛ لتمييزه باسم العلم ؛ لأن الآية سبقت بحديث الملائكة لإبراهيم ، ثم انتقلوا إلى لوط .

ثم عبر بضمير الغائب (هم) في ﴿ **سيءَ بهم** ﴾ ، ﴿ **ضَاقَ بِهِم** ﴾ ؛ لأنه عائد على ما تقدم ذكره ، وهو ﴿ **رسلنا** ﴾ .

ثم قال سبحانه : ﴿ **وَضَاقَ بِهِم ذَرعاً** ﴾ : أي " وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته ، وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع : عبارة عن فقد الطاقة "[(٢)]، فنكّر (ذرعاً) للدلالة على شدة حيرته وخوفه من قومه أن يصلوا إلى ضيوفه فلا يتمكن من دفع أذاهم ، فالتنكير للتعظيم .

ثم عبر بضمير التكلم وكاف الخطاب في قول المولى : (إنا ، منجوك ، وأهلك ، إلا امرأتك) ، فالمتكلم الملائكة ، والمخاطب لوط ﷺ ، فقولهم : ﴿ **إنا مَنجوكَ** ﴾ : أي " مبالغون في إنجائك "[(٣)].

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٣٣) .
(٢) الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٧ .
(٣) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٥٧ .

ويأتي التعريف في ﴿ **الْغَابِرِينَ** ﴾ بلام الجنس ، أي : هي داخلة في جنس الغابرين ، ولام الجنس هنا لإفادة الاستغراق العرفي ، أي : الذين عرف تكذيبهم للوط ﷺ .

● **الموضع السادس عشر :**

وقال ﷻ في عذاب قوم لوط : ﴿ **إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾[1] .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ **إِنَّا** ﴾ ، ﴿ **مُنزِلُونَ** ﴾ ، ﴿ **أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ** ﴾ ، ﴿ **رِجْزاً** ﴾ ، ﴿ **السَّمَاءِ** ﴾ ، ﴿ **آيَةً بَيِّنَةً** ﴾ .

بدأت الآية بضمير التكلم (إنـا) ، وعبر بالاسم في المسند (منزلون) لتأكيد أنّ أمر عذابهم قد فرغ منه قطعاً لأن يشفع فيهم[2]، ونكّر ليقوي شبهه بالفعل .

ثم تأتي الإضافة في جملة ﴿ **أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ** ﴾ للاختصار وتعذر التفصيل في عدد المهلكين من أهل القرية ؛ لكثرتهم ، كما زاد اسم الإشارة (هذه) - وهو للقريب - من الدلالة على قُرب وقوع العذاب بالقوم ، والتعريف بالإشارة لتمييز القرية - والله أعلم - ، والتعريف بـ (أل) في القرية للعهد العلمي ؛ لكونها معلومة بالسلوك الفاحش .

ومعنى (رجز) : العذاب المؤلم[3]، ونكّرها لبيان شدة العذاب الواقع بهم . ثم عرف باللام (السماء) للعهد العلمي[4] .

ويأتي ضمير المتكلم في الآية التي تليها في قوله : ﴿ **وَلَقَد تَّرَكْنَا** ﴾ وهو " من كلام الله ، ونون المتكلم المعظم تعظيماً له - سبحانه - ، وليست ضمير الملائكة "[5].

---

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٣٤-٣٥) .
(٢) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٥٧ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٦ .
(٤) ينظر : بغية الإيضاح ، للصعيدي ، ج١ ، ص٧١ .
(٥) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٦ .

وأما تنكير (آية) فللدلالة على عظيم شأنها ، (وبينة) صفة لـ(آية) ، أي : أنّ آثار عذابهم باقية بعدهم[1]، ونكّرها مبالغة في وصفها بالوضوح والظهور ، فهي " آية واضحة دائمة على طول الزمان إلى الآن ، ولذلك وصفت ببينة "[2].

● **<u>الموضع السابع عشر :</u>**

وفي قصة شعيب عليه السلام مع قومه قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾[3].

<u>مواضع التعريف والتنكير</u> : ﴿ **مَدْيَنَ** ﴾ ، ﴿ **أَخَاهُمْ** ﴾ ، ﴿ **شُعَيْباً** ﴾ ، ﴿ **يَا قَوْمِ** ﴾ ، ﴿ **الْيَوْمَ الْآخِرَ** ﴾ ، ﴿ **الْأَرْضِ** ﴾ ، ﴿ **مُفْسِدِينَ** ﴾ ، ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ** ﴾ ، ﴿ **الرَّجْفَةُ** ﴾ ، ﴿ **دَارِهِمْ** ﴾ ، ﴿ **جَاثِمِينَ** ﴾ .

عرفت كلمة ﴿ **مَدْيَنَ** ﴾ بالعلمية ؛ لتمييزها أكمل تمييز . ثم أضاف (أخا) إلى (هم) الضمير العائد على القرية ، دلالةً على قوة صلته بهم . ثم جاء التعريف بالعلمية بذكر اسم (شعيب) لتميز اسمه العلم .

وفي أسلوب النداء في قوله : (يا قوم) تأتي الإضافة للفت أذهان السامعين ، والاهتمام بما سيقوله لهم ؛ لما في الإضافة إلى (ياء) المتكلم من تذكير بصلته بهم .

ثم عرف (اليوم الآخر) بلام العهد العلمي ؛ لأن وقوع ذلك اليوم معلوم ، فلا يحتاج إلى تنبيه مسبق .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ عرف (الأرض) بـلام العهد العلمي ، أما تنكير ﴿ **مُفْسِدِينَ** ﴾ فلعموم فسادهم وتعدد أنواعه ؛ لما في (مفسدين) من تأكيد لعاملها (تعثوا) ، مع ما في تنكيرها من دلالة على التعظيم .

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٩ .
(٢) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٦ .
(٣) سورة العنكبوت : الآيتان (٣٦-٣٧) .

وعبر بضمير الغائب (هم) في قوله (فأخذتهم ، ودارهم) ؛ لتقدم ذكر مرجعه في الآية التي قبلها ، أما تعريف (الرجفة) فقد سبق بحثه[1]. ونكّر (جاثمين) تعظيماً ومبالغة في وصف حالهم بعد وقوع العذاب بهم .

● **الموضع الثامن عشر :**

بعد أن فصل - سبحانه - القولَ في عرض ابتلاء بعض الأنبياء وهلاك أقوامهم ، أشار مجملاً إلى إهلاك أقوام أخرى ، فقال ذو القوة المتين : ﴿ **وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۞ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۞ فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[2].

وفي وحدة تجمع بين أغراض السورة في إتباع بعض الأمم لبعضها في الخير والشر ، ونجاة الصادقين منهم وهلاك المكذبين ، يأتي عطف (عاد) على مقدر ، وهو (وأهلكنا عاداً)[3].

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ **وَعَاداً** ﴾ ، ﴿ **وَثَمُودَ** ﴾ ، ﴿ **وَقَارُونَ** ﴾ ، ﴿ **وَفِرْعَوْنَ** ﴾ ، ﴿ **وَهَامَانَ** ﴾ ، ﴿ **مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ ، ﴿ **الْأَرْضِ** ﴾ ، ﴿ **سَابِقِينَ** ﴾ ، ﴿ **فَكُلّاً** ﴾ ، ﴿ **أَخَذْنَا** ﴾ ، ﴿ **أَرْسَلْنَا** ﴾ ، ﴿ **خَسَفْنَا** ﴾ ، ﴿ **أَغْرَقْنَا** ﴾ ، ﴿ **حَاصِباً** ﴾ ، ﴿ **الصَّيْحَةُ** ﴾ .

جاء التعريف بالعلمية في ذكر أسماء (عاداً ، وثمود ، وقارونَ ، وفرعونَ ، وهامانَ) ؛ لأخذ العظة والعبرة من هلاكهم ، نتيجة استكبارهم وصدهم .

وأوضح في قوله : ﴿ **وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ سبب صدهم عن الصراط المستقيم الموصل إلى بر الأمان[4].

---

(١) ينظر من هذا البحث : مبحث البيان ، الموضع الحادي عشر ، ص١٣١ ، ذكر الغرض من تعريف الرجفة .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٣٨-٣٩-٤٠) . وقد جاء القرآن على تفصيل القول في تلك الأقوام في سور أخرى .

(٣) ذكر صاحب فتح القدير في ج٤ ، ص٢٠٢ عدة تقديرات ، ذكرت أنسبها .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٥٩ .

وبحرف التحقيق (قد) في ﴿ **وَلَقَد جَاءهم موسَى بِالْبَينَات** ﴾ تأكيد على أن هلاكهم لم يأت إلا بعد إرسال الرسول بالحجج البينات .

ثم أكد بـ (السين والتاء) في (مستبصرين ، فَاستكْبروا في الأرض) ، ففي قوله : (مستبصرين) بيان حال الأقوام قبل هلاكها ، فقد (كانوا مستبصرين) أي : " متمكّنين من النظر ، ولكنهم لم يفعلوا ، أو متبينين ، أو العذاب لاحق بهم بأخبار الرسل لهم ، ولكنهم لجّوا حتى أهلكوا "[(١)]، فنكر (مستبصرين) لقصد النوعية ، فهم عقلاء يستطيعون تميز الصواب من الخطأ ، إلا أنّ إصرارهم على فسادهم هو ما أوصلهم إلى استحقاق العـذاب .

أما (فاستكبروا) " أي عن الإقرار بالصانع وعبادته "[(٢)] بالرغم من إرسال الرسل لهم .

ثم أشار بقوله : ﴿ **في الأرض** ﴾ على قلّة عقولهم في استكبارهم ؛ فأهل الأرض أضعف أقسام المكلفين ، بخلاف من في السماء الأقوياء ، فهم لا يستكبرون عن عبادة الله ، فكيف يستكبر من في الأرض[(٣)] ؟. والتعريف في (الأرض) للعهد ، فقد يكون المعهود أرض كلّ منهم ، أو يكون المعهود كل من استكبر في أرجاء المعمورة ، مبالغة في انتشار الاستكبار حتى إنه عم الدنيا برمتها[(٤)] .

﴿ **وَمَا كَانوا سَابِقِينَ** ﴾ ، نكّر (سابقين) لتقوية المعنى ، فمهما كانت قوتهم ، إلا أنهم لا يستطيعون الإفلات من العذاب .

ثم نكّر كلمة (كلّ) للعموم ، " أي كلّ واحد من المذكورين "[(٥)]. ثم عبر بالضمير (نا) الفاعلين في (أخذنا ، أرسلنا ، خسفنا ، أغرقنا) ؛ تعظيماً للمولى سبحانه وتعالى .

ثم قال : (حاصباً) نكّرها تعظيماً وتهويلاً في وصف العذاب الواقع بهم . وعرف (الصيحة) بلام العهد الكنائي ؛ لأنه سبق في الآية التي قبلها ذكر ثمود ، فعلم أنهم المقصودون بعذاب الصيحة .

- **الموضع التاسع عشر :**

---

(١) تفسير البيضاوي ، ج٤ ، ص٣١٦ .

(٢) البحر المحيط ، لأبي حيان ، ج٧ ، ص١٤٨ .

(٣) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٩ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ، للطاهر ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٥٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٠ .

قال العزيز الحكيم في حال من اتخذ من دون الله أولياء : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون اللهِ أولياءَ كَمَثَلِ العَنكَبوت اتخَذَت بَيتاً وَإن أوهَنَ البيوت لَبيت العَنكَبوت لَو كَانوا يَعلمونَ ۞ إن اللهَ يَعلم مَا يَدعونَ من دونِه من شَيءٍ وَهوَ العَزيز الحَكيم ۞ وَتلْكَ الأمثَالُ نَضربهَا للناس وَمَا يَعقلُهَا إلا العَالمونَ** ﴾ [1].

لما كانت هذه الأقوام مشركة بربها ومتخذة من دونه أولياء ، كان مثلهم في ذلك مثل العنكبوت تتخذ من بيتها الواهن ملجأً ومأوى .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ **الذينَ اتخَذُوا** ﴾ ، ﴿ **أولياءَ** ﴾ ، ﴿ **كَمَثَلِ العَنكَبوت** ﴾ ، ﴿ **بَيتاً** ﴾ ، ﴿ **أوهَنَ البيوت** ﴾ ، ﴿ **لَبيت العَنكَبوت** ﴾ ، ﴿ **مَا يَدعونَ** ﴾ ، ﴿ **شَيءٍ** ﴾ ، ﴿ **وَهوَ العَزيز الحَكيم** ﴾ ، ﴿ **وَتلْكَ الأمثَالُ** ﴾ ، ﴿ **العَالمونَ** ﴾ [2].

جاءت الإضافة في قوله سبحانه : ﴿ **كَمَثَلِ العَنكَبوت** ﴾ للتحقير من شأن ما اتخذوه من دون الله أولياء ، ثم نكّر (بيتاً) لبيان شدة وهنه وضعفه ، فقد " تكلفت أخذه في صنعتها له ليقيها الردى ، ويحميها البلاء ، كما تكلف هؤلاء اصطناع أربابهم لينفعوهم ، ويحفظوهم بزعمهم ويرفعوهم ، فكان ذلك البيت مع تكلفها في أمره ، وتعبها الشديد في شأنه ، في غاية الوهن "[3].

ثم يتكرر أسلوب الإضافة في قوله سبحانه : ﴿ **وَإن أوهَنَ البيوت لَبيت العَنكَبوت** ﴾ ، جاءت الإضافة (أوهن البيوت) دلالة على مبلغ ضعفها ؛ لإضافة (البيوت) إلى (أوهن) ، أما الإضافة في ﴿ **لَبيت العَنكَبوت** ﴾ فهي لتحقير المضاف .

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (٤١-٤٢-٤٣) .

(٢) سيأتي في هذا البحث الحديث عن التعريف في (الذين اتخذوا) ، و (البيوت) ، و (العنكبوت) ، وتنكير (أولياء) ، في مبحث الصـور البيانية ، الموضع الثاني عشر ، ص١٣٢ .

(٣) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٦١ .

وفي الآية الثانية يأتي تنكير (شيء) للعموم ، " سواء كان نجماً ، أو صنماً ، أو ملكاً ، أو جنياً ، أو غيره "[١]..

وفي قوله : ﴿ **وَهوَ الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ تعريف بالضمير (وهو) عائد على (الله) ؛ لتقدم ذكره سبحانه في قوله : ﴿ **إن اللهَ يَعلَم مَا يَدعونَ من دونِه من شَيءٍ** ﴾ ، وعرف ﴿ **الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ بأل في الاسمين معاً ؛ ليفيد هذا التعريف قصر العزة والعلم عليه سبحانه ؛ لكون المبتدأ (هو) معرفة ، والخبر ﴿ **الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ معرفان (بأل) .

وتبدأ الآية التي تليها بالتعريف باسم الإشارة في قول المولى سبحانه : ﴿ **وَتلْكَ الأمثَالُ** ﴾ ؛ وذلك " للتنويه بالأمثال المضروبة في القرآن التي منها هذا المثل بالعنكبوت "[٢]، ثم يأتي التعريف بلام العهد الصريح في كلمة (الأمثال) ؛ لأنه سبق ذكر المثال صراحة في قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا** ﴾ ، وجاءت فاصلة الآية ﴿ **الْعَالمونَ** ﴾ معرفة باللام - لام العهد العلمي - ، أي : " الراسخون في العلم المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي ، وعنه - عليه الصلاة والسلام - أنه تلا هذه فقال : **((العالم من عقل عن الله تعالى ، وعمل بطاعته ، واجتنب سخطه))** "[٣].

- **الموضع العشرون :**

قال ذو الجلال والإكرام في بيان أمية محمد ﷺ وتبرئته مما اتهمه به المبطلون : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتلُو من قَبله من كتَابٍ وَلا تَخطه بِيَمينِكَ إذاً لارتَابَ الْمبطلُونَ** ﴾[٤].

وفي رد على ادعاء المشركين القائلين بأن القرآن من كلام محمد ﷺ ، نفى الله عن نبيه معرفته القراءة والكتابة ، وهي حجة دامغة في دحض ما افتراه المبطلون ، وإزالة الشك الذي اعتراهم .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ **من قَبله** ﴾ و ﴿ **من كتَابٍ** ﴾ ، ﴿ **الْمبطلُونَ** ﴾ .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٥٦ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦١ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٤٨) .

عبر بالضمير الغائب في (قبله) العائد على القرآن ؛ لأنه قد سبق ذكره في قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ** ﴾ [1]، فالمراد بالكتاب القرآن الكريم[2]، وفيه تنبيه على خطأ غير المخاطب .

وأكد بـ (من) الزائدة الاستغراق في الكتب[3]، وناسب هذا التوكيد تنكير (كتاب) للدلالة على عموم الكتب ، فلم يسبق له قراءة أي كتاب كان .

ثم قال : ﴿ **وَلا تَخطه بِيَمينِكَ** ﴾ ذكر اليمين " زيادة تصوير لما نفى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الخط ، فهو مثل العين في قولك : نظرت بعيني في تحقيق الحقيقة وتأكيدها حتى لا يبقى للمجاز مجاز "[4].

﴿ **إذاً لارتَابَ الْمبطلُونَ** ﴾ عرف (المبطلون) بلام العهد ؛ وذلك لتقدم ذكرهم في الآية التي قبلها في قوله : ﴿ **وَمَا يَجحَد بِآيَاتنَا إلا الكافرونَ** ﴾ .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤٧) .

(٢) ينظر : الشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص٢٠٧ .

(٣) ينظر : أبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٥١ ، وكذلك البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٦٦ .

(٤) روح المعاني ، للألوسي ، ج٢١ ، ص٤ .

● **الموضع الحادي والعشرون :**

قال - سبحانه - : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات لَنبوئَنهم منَ الْجَنة غُرَفاً تَجري من تَحتهَا الأَنهَار خَالدينَ فيهَا نِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾[1] .

بعد أن جاء النداء الرباني بالهجرة إلى حيث الهدوء وأداء العبادة دون خوف ، لبى المؤمنون أمر ربهم ، وكان يخالطهم الحزن على ترك بلاد المنشأ وقلق على المستقبل المنتظر ؛ فأتتهم بشارة الله مؤكدة (بالقسم ونون التوكيد) بأنّ الجنة وما فيها من نعيم للذين (آمنوا وعملُوا الصالحات) : ﴿**الذينَ صَبَروا وَعَلَى رَبهم يَتَوَكلُونَ** ﴾[2] .

مواضع التعريف والتنكير : ﴿ والذين آمنوا ﴾ ، ﴿ وعملُوا الصالحات ﴾ و ﴿ الْجنة ﴾ ، ﴿ غُرفاً ﴾ ، ﴿ الجَنة ﴾ ، ﴿ الأنهار ﴾ ، ﴿ خالدين ﴾ .

عبر سبحانه وتعالى بالاسم الموصول (الذين) إشارة إلى الوجه الذي يبنى عليه الخبر من الثواب ، " أي يبوئهم غرفاً لأجل إيمانهم وعملهم الصالح "[3] .

و ﴿ **الصالحَات** ﴾ وقعت مفعولاً للفعل (عملُوا) ، فليس للعمل الصالح جزاء إلا الجنة ، وأفاد التعريف بـ (أل) الإشارة إلى كلّ ما يتناوله لفظ (الصالحات) من الأعمال الحسنة .

وعرف (الجنة) لعلو مكانها وشرفه . ثم نكّر (غُرفاً) تفخيماً لشأنها ومدى اتساعها ، ومعناها : " بيوتاً عالية تحتها قاعات واسعة بهية عالية "[4] .

﴿ **تَجري من تَحتهَا الأَنهَار خَالدينَ فيهَا** ﴾ ، فعرف (الأنهار) للإشارة إلى كلّ ما يتناوله لفظ (أنهار) ، فمن " المعلوم أنه لا يكون في موضع أنهار إلا يكون به بساتين كبار ، وزروع ورياض وأزهار فيشرفوا عليها من تلك العلالي "[5] . ثم نكّر (خالدين) تأكيداً على أنه نعيم باقٍ لا ينقطع .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٨) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥٩) .

(٣) الطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٣ .

(٤) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٧٣ .

(٥) المرجع السابق .

﴿ **نِعمَ أجر العَاملينَ** ﴾ أسلوب إنشاء غير طلبي ، حيث عبر بفعل المدح (نِعم) ، و " المخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه "[1]، وهي الجنة .

سابعاً : الصور البيانية :

علم البيان بحر واسع من الإبداع ، استقطب أنظار الكثير من العلماء والباحثين ، فتوقفوا متأملين لأصوله وفروعه .

وفي هذا البحث سأقوم بدراسة الصور البيانية : التشبيه ، والمجاز اللغوي بقسميه المرسل والاستعارة ، والكناية . وستكون دراسة الصور البيانية حسب ترتيبها في السورة .

- **الموضع الأول :**

صورتان بيانيتان تتمثلان في قول المنان سبحانه وتعالى : ﴿ **أحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقولُوا آمَنا وَهم لا يفْتَنونَ** ﴾ [2].

موضع البيان : ﴿ **أحَسِبَ الناس أن يترَكُوا** ﴾ و ﴿ **وَهم لا يفْتَنونَ** ﴾ ، عبر سبحانه وتعالى " بالحسبان والناس إشارة إلى أنّ صاحب ذلك مضطرب العقل منحرف المزاج "[3]. وفي (الناس) مجاز مرسل[4]، فكلمة (الناس) عامة تشمل كلّ من آمن ، ولكن المقصود هو من حسب الترك دون فتنة ، علاقته العموم ؛ لأن اللفظ عام شامل للكثير ، والخاص المقصود ظانين الترك .

أما القول في ﴿ **أن يترَكُوا أن يَقولُوا** ﴾ ، فهو " كناية عن حصول المقول في نفس الأمر "[5]، وهي كناية نسبة بأنّ القائلين كُثُر .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٥ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

(٣) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٤ .

(٤) ينظر : التفسير البلاغي ، لعبد العظيم المطعني ، ج٣ ، ص٢١٩ .

وتعريف المجاز المرسل : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة غير المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي .

وعلاقة العموم : هي كون المعنى الوضعي للفظ المذكور عاماً يراد منه معنى خاصاً . فتسوغ تسمية الخاص باسم العام .

ينظر : المفصل في علوم البلاغة ، لعيسى علي العاكوب ، ص٥٠٦ .

(٥) ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٢ .

** وكناية النسبة هي إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه . ينظر : علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، لأحمد مصطفى المراغي ، الناشر : دار القلم ، بيروت ، د.ط ، ص٢٨٢ .

ثم ختم الآية بالاستعارة التصريحية في ﴿ **وَهم لا يفْتنونَ** ﴾ . يقول ابن منظور في المعنى اللغوي للفتنة : " (فتن) جماع معنى الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من فَتنت الفضة والذهب ؛ إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد "(1). وبهذا يمكن القول بأنه استعار الفتنة للابتلاءات ، بجامع التمحيص والتنقية ، حيث صرح بالمشبه به ، وهو الفتنة ، ثم اشتق من الفتنة بمعنى الابتلاء ، (يفتنون) بمعنى (يبتلون) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ؛ لمجيء الاستعارة في مدلول مادة الفعل المضارع .

● **الموضع الثاني :**

قال خير الحاكمين في أهل الإساءة من المشركين : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئَات أن يَسبِقُونَا سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾(2) .

ومهما بلغ باطل الذين يفتنون المؤمنين فما هم بمفلتين من عذاب الله ولا ناجين ، فسنة الله نافذة ، ونصره أكيد .

موضع البيان : احتوت الآية الكريمة على استعارتين ؛ إحداهما : تصريحية تبعية في ﴿ **أن يَسبِقُونَا** ﴾ ، والأخرى : تهكمية عنادية في ﴿ **سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾ .

وتفصيل القول في الاستعارتين(3)، أنه استعار في الأولى السبق والمسارعة للإفلات من عذاب الله بجامع عدم اللحاق ؛ فصرح بالمشبه به (يسبقونا) ، وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ؛ لاستعارته مدلول مادة الفعل المضارع . ثم اشتق من السبق بمعنى الإفلات من عذاب الله ، (يسبقونا) يفلتون من عذابنا .

وفي الثانية استعار الحكم للظن والاعتقاد تهكماً بهم ، حيث يظنون الغلبة في ذلك ، بجامع " نفاذ الأمر في كل منهما "(4) على سبيل الاستعارة التهكمية العنادية ؛ لاستعمال معنى المشبه به فيما

---

(1) لسان العرب ، ج11 ، ص120 ، حرف الفاء ، مادة (فتن) .

** الاستعارة التصريحية : هي لفظ المشبه به المستعار للمشبه المحذوف ، أما التبعية هي التي يكون اللفظ المستعار فيها تابعاً للاستعارة معنى يسبقه . ينظر : العاكوب ، ص473 .

(2) سورة العنكبوت : الآية (4) .

(3) ينظر : ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م6 ، ج10 ، ص53 ، في سورة الأنفال : الآية (59) . وكـذلك : م10 ، ج20 ، ص206 ، سورة العنكبوت .

(4) المطعني في التفسير البلاغي ، ج3 ، ص222 .

** الاستعارة العنادية : هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ؛ لما بينهما من التعاند وامتناع الاجتماع . والتهكمية تعـني التهكم والاستهزاء . ينظر : بغية الإيضاح ، للصعيدي ، ج3 ، ص105 .

يناقضه ، وإبرازاً لحقارة المشبه تهكماً واستهزاءً . فإنّ ما صدر عنهم مجرد أوهام اختلطت بفساد عقولهم فعميت بصائرهم ، " وإشعاراً أنّ حكمهم مذموم حالاً واستقبالاً "[١]، عبر بالفعل المضارع (يحكمون) ، ودلالة على تجدد واستمرار هذا الحكم المذموم منهم .

● **الموضع الثالث :**

وفي بشارة الصادقين ، وتلويح بتهديد الكاذبين ، قال مالك الملك : ﴿ **مَن كَانَ يَرجو لقَاء اللِه فَإن أَجَلَ اللِه لآتٍ وَهوَ السميع العَليم** ﴾ [٢].

موضع البيان : ﴿ **لقَاء اللِه** ﴾ ، لقد ذهب الزمخشري - وتبعه أبو حيان وأبو السعود - إلى القول بأن " لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء ، مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل ، وقد اطّلع مولاه على ما كان يأتي ويذر ، فإما أن يلقاه ببِشرٍ وترحيب لما رضي من أفعاله ، أو بضد ذلك لما سخطه منها "[٣].

أما البقاعي فقد قال : " شبه البعث باللقاء ؛ لانكشاف كثيرٍ من الحجب به وحضور الجزاء "[٤].

إذن استعار اللقاء ليوم البعث والالتقاء مع الأعمال ، ثم الثواب والعقاب ، بجامع انكشاف الحجب ومواجهة الجزاء ، فقد حذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية .

● **الموضع الرابع :**

قال علام الغيوب : ﴿ **وَوَصينَا الإِنسَانَ بِوَالدَيه حسناً وَإن جَاهَدَاكَ لتشرِكَ بِي مَا لَيسَ لكَ بِه علْم فَلا تطعهمَا إِلَي مَرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ [٥].

موضع البيان : ﴿ **مَا لَيسَ لكَ بِه علْم** ﴾ ، قال الزمخشري في المراد من ذلك : " والمراد بنفي العلم : نفي المعلوم ، كأنه قال : لتشرك بي شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً ولا يستقيم "[٦]، إذن فنفي العلم كناية عن نفي المعلوم ، وهي كناية إيماء ، حيث إن المشار إليه بالكناية واضح . وغالباً ما يستعمل هذا الأسلوب في حق الله تعالى[١].

---

(١) أبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٣٧ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥) .

(٣) الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٤٥ . ينظر : أبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٣٧ ، تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٠ .

(٤) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٧ .

(٥) سورة العنكبوت : الآية (٨) .

(٦) الكشاف ، ج٣ ، ص٤٤٦ .

ثم نأتي على كناية أخرى في قوله : ﴿ **فَأُنبِئُكُم** ﴾ ، أي : " بأن أجازي كلا منكم بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر "[٢]، فهي كناية عن الجزاء خيراً على مجاهدة الوالدين للثبات على الإيمان ، أو الجزاء بالعذاب على إشراكهما - أي الوالدين - ، وبهذا تكون كناية تلويح ، وتكون أيضاً كناية إيماء عن علم الله تعالى بما يعملونه في الظاهر والباطن ، أي : (فأجازيكم ثواباً على عصيانهم فيما يأمران) ، وهذه كناية الإيماء . أو (أجازيهما عذاباً على إشراكهما) ، وهذه كناية تلويح[٣] .

● **الموضع الخامس :**

وبالتشبيه تشخص قلوب المنافقين ، قال العلي الكبير في حالهم : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ** ﴾[٤] .

ومن دقة النظم الكريم في التناسب بين المبنى والمعنى أن عبر بـ (الناس) مرتين ، الأولى : أتت بعد من (من الناس) ، أي : بعض الناس . أما الثانية : (فتنة الناس) فقد أفادت الكل ، أي : جنس الناس ؛ للاستغراق الحقيقي ؛ ليدل في الأولى " على قلّة من يرتد عن دينه بسبب العذاب ، أو يخفي إيمانه وينافق ، و - في الثانية - يدلّ على كثرة من يقف عدواً للمؤمنين ، والله أعلم "[٥] .

موضع البيان : ﴿ **جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ** ﴾ ، في الموضع صورة تشبيه ، المشبه فيها فتنة الناس ، المشبه به عذاب الله ، الأداة (الكاف) ، ووجه الشبه : المساواة في التأثير[٦] . وفهم هذا المعنى للتشبيه من قوله : (جعل) ، ومما أومأ به كلام الزمخشري ؛ إذ قال : " فإذا مسهم من الكفار وهو المراد بفتنة الناس ، كان ذلك صارفاً لهم عن الإيمان ، كما أن عذاب

---

(١) ينظر : الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٣٩ .

** كناية الإيماء : هي التي قلّت وسائطها مع وضوح الدلالة . ينظر : المراغي ، ص٢٨٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥١ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٥ .

** كناية التلويح : هي التي كثرت الوسائط فيها بين اللازم والملزوم .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (١٠) .

(٥) دراسة في سورة العنكبوت ، لأحمد القطان ، ومحمد الزين ، ص٣٧ .

(٦) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٣٥ .

الله صارف للمؤمنين عن الكفر "[1] . ففُهِم من كلامه معنى التساوي ، وهيهات ، فأين فتنة الناس من عذاب الله ؟!.

ثم إنّ في قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ إلى ﴿ **كَعَذَابِ اللَّهِ** ﴾ كناية عن حماقتهم وذم تصرفاتهم[2]، فما يلبثون أن يعلنوا إيمانهم إلا وقد تخلّوا عنه عند التعرض للأذى ممن يعادي المسلمين .

وعبر - معلّم الإنسان ما لم يعلم - بالفعل المضارع في ﴿ **يَقُولُ آمَنَّا** ﴾ و ﴿ **لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ** ﴾ للدلالة على تجدد القول وتكراره دائماً . أما الفعل الماضي في ﴿ **جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ** ﴾ فلأنّ المنافق يبني قوله الجديد على الحدث القديم[3] .

● **الموضع السادس :**

قال شديد العقاب في حال المشركين المغررين للمؤمنين : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾[4] .

موضع البيان : ﴿ **وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ** ﴾ و ﴿ **وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ** ﴾ ، لما كان حمل الذنوب والآثام أمراً عقلياً جسده القرآن في أمرٍ محسوس ؛ لترتسم الصورة في ذهن المتلقي .

وبهذا يمكن إجراء الاستعارة في قوله : ﴿ **وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ** ﴾ على طريقتين :

الطريقة الأولى : أن تكون استعارة بالكناية ؛ حيث شبهت الخطايا بالشيء المادي المحسوس الذي يحمل ، ثم حذف المشبه به - وهو الشيء المادي المحسوس - ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو (الحمل) ، وأُثبت للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية .

---

(١) الكشاف ، ج٣ ، ص٤٤٨ .

(٢) ينظر : ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٦ .

(٣) ينظر : أحمد القطان ، ومحمد الزين في دراسة لسورة العنكبوت ، ص٣٧ .

(٤) سورة العنكبوت : الآيتان (١٢-١٣) .

الطريقة الثانية : نجريها على قول ابن عاشور : " والحمل (مجاز تمثيلي) لحال الملتزم بمشقة غيره بحال من يحمل متاع غيره ، فيؤول إلى معنى الحمالة والضمان "[1].

إذن استعير تركيب ﴿ **وَلْنحملْ خَطَايَاكُم** ﴾ لتحمل تبعاتهم ومشقاتهم ؛ حيث شبه حال من يتحمل التبعات والمشقات عن المؤمنين بحال من يحمل عنهم الخطايا ، ثم حذف التركيب الدال على المشبه واستعمل له التركيب الدال على المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية .

أما قوله سبحانه : ﴿ **وَلَيَحملُن أَثْقَالَهم وَأَثْقَالاً معَ أَثْقَالهم** ﴾ ، جاءت الاستعارة هنا في الأثقال ؛ حيث شبهت تبعاتهم في ضلال أنفسهم ، وتبعاتهم في إضلال غيرهم بالأثقال بجامع (عظم الحجم المعجز في كل) ، ثم حذف المشبه واستعمل له لفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأخيلية .

● **الموضع السابع :**

وحكاية عما قاله إبراهيم عليه السلام لقومه ، قال الرزاق الشكور : ﴿ **إنمَا تَعبدونَ من دون الله أَوثَاناً وَتخلُقُونَ إفْكاً إن الذينَ تَعبدونَ من دون الله لا يَملكُونَ لَكُم رزقاً فَابتَغوا عندَ الله الرزقَ وَاعبدوه وَاشكُروا لَه إلَيه ترجَعونَ** ﴾[2].

موضع البيان : ﴿ **فَابتَغوا عندَ اللهِ الرزقَ** ﴾ ، موطن الاستعارة الظرف (عند) ، وقد استعار الظرف (عند) للمكان المختص بما يضاف إليه من الظرف[3].

● **الموضع الثامن :**

قال شديد العقاب جلّت قدرته في حال من كفر بالقرآن والبعث : ﴿ **وَالذينَ كَفَروا بِآيَات الله وَلقَائه أولَئكَ يَئسوا من رحمَتي وَأولَئكَ لَهم عَذَاب أليم** ﴾[4].

---

(١) ينظر : ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٠ . كما أشار إلى وجود المجاز في الآية كل من الأندلسي في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر : دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ط١ ، ج٤ ، ص٣٠٩ ، وأبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٣٩ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (١٧) .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٦ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٢٣) .

موضع البيان : ﴿ **أولَئكَ يَئسوا من رحمَتي** ﴾ ، قيل : الرحمة هنا تأتي بمعنى الجنة أو العفو[1] ، وأياً كان المعنى فالكافر بالله والمنكر ليوم البعث لن يفوز بعفو الرحيم ولا بجنة النعيم .

قال صاحب الكشاف تعليقاً على موضع المجاز : " شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة "[2].

أما صاحب روح المعاني فيقول : " الكلام على الاستعارة ، شبهوا بالآيسين من الرحمة ، وهم الذين ماتوا على الكفر ؛ لأنه ما دامت الحياة لا يتحقق اليأس من الرحمة لرجاء الإيمان "[3].

ويتفق الشيخان على أنّ يأسهم من الرحمة يكون بعد موتهم على الكفر ، وبذلك يكون شبه حتمية حلول العذاب بهم بعد موتهم باليأس من رحمة الله بجامع انسداد طريق الأمل في النجاة في كل . ثم اشتق من اليأس بمعنى حتمية العذاب (يئسوا) بمعنى تحتم عذابهم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

● **الموضع التاسع :**

وفي هجرة إبراهيم إلى ربه قال من هاجرت إليه القلوب والأجساد إيماناً واحتساباً : ﴿ **فَآمَنَ لَه لُوطٌ وَقَالَ إني مهَاجِر إلَى رَبي إنه هوَ العَزيز الحَكيم** ﴾[4] .

قال الأندلسي في معنى المهاجر : " النازع عن الأمر ، وهو في عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة في رضا الله تعالى "[5].

موضع البيان : ﴿ **إني مهَاجِر إلَى رَبي** ﴾ ، جاء في معناها قولان ؛ الأول : إلى رضا ربي ، والثاني : إلى حيث أمرني ربي[6] . وعلى هذين التفسيرين في الكلام محذوف مقدر وهو كلام حقيقي لا استعارة فيه .

﴿ **إني مهَاجِر إلَى رَبي** ﴾ حرف (إلى) يفيد الانتهاء المجازي إذا قُصد بهجرته تنفيذ أمر الله بالهجرة من أرضه إلى الأرض المأمور بها ، وهي بيت المقدس - فلسطين - ، فكأنها بذلك هجرة إلى ذات الله . وبهذا تكون (إلى) تخييلاً لاستعارة مكنية ، ويكون التعبير ﴿ **إني مهَاجِر إلَى رَبي** ﴾ استعارة مكنية قرينتها

---

(١) ينظر : زاد المسير ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ط٣ ، ج٦ ، ص٢٦٦ .

(٢) الزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٤ ، ونقل عبارته أبو حيان ، ج٧ ، ص١٤٣ .

(٣) الألوسي ، ج٢٠ ، ص١٤٩ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٢٦) .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج٤ ، ص٣١٤ .

(٦) ينظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، ج٦ ، ص٢٦٨ .

حرف الجر (إلى) . فالمشبه (هجرته إلى ربه) ، والمشبه به (هجرته إلى الأرض التي أمره الله بالهجرة إليها) ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو حرف الجر (إلى) الذي أثبت للمشبه .

وعلى جعل الاستعارة في الحرف (إلى) يكون معنى الآية : (إني مهاجر من أجل ربي) ، فاستعيرت (إلى) لمعنى لام التعليل على سبيل الاستعارة التبعية في الحرف . وتوحي هذه الاستعارة بأن العمل الذي لله ينتهي بصاحبه بالوصول إلى الله[(١)] .

● **الموضع العاشر :**

أن قوماً تمكن السوء من أخلاقهم ، فابتدعوا أفظع الفواحش وأقبحها في تاريخ البشرية ، وهي كما ذكرها الرب سبحانه وتعالى على لسان نبيه لوط : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في َناديكُم الُمنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنتَ منَ الصادقِينَ** ﴾[(٢)] .

موضع البيان : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ** ﴾ ، فبعد الاستفهام الإنكاري يأتي لوط على ذكر الفاحشة في أسلوبٍ كنائي بليغ عما يستقبح ذكره صوناً للسان عن التدنس به[(٣)] .

وتبدو البلاغة القرآنية المعجزة في عبارة من كلمتين : ﴿ **وَتَقْطَعونَ السبِيلَ** ﴾ ، إلا أنها تشير إلى عدة مدلولات ، منها كما ذكر أبو السعود : " وتتعرضون للسابلة : أي بالفاحشة ، حيث روي أنهم كانوا كثيراً ما يفعلونها بالغرباء ، وقيل : تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث ، وقيل : تقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال "[(٤)]، ولكل معنى أسلوب بياني يشير إليه .

فالمعنى الأول : من حيث ما يفعلونه مع الغرباء فيتسببوا في منع المارة من السير في الطريق خشية أن يعتدي عليهم ، وهذا مجاز عقلي علاقته السببية ، حيث إن سوء فعلهم تسبب في انقطاع الطريق من المارة[(٥)] . والمجاز في إيقاع القطع على السبيل ، فهو مجاز في النسبة الإيقاعية .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٨ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢٩) .

(٣) ينظر : المطعني في التفسير البلاغي للاستفهام ، ج٣ ، ص٢٢٨ .

(٤) تفسيره إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص٢٥٨ .

(٥) المجاز العقلي : هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له ؛ لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي .

أما المعنى الثاني : فهو كناية عن انقطاع أو انعدام التناسل ، وهي كناية تلويح ، حيث تعددت الوسائط ، فقوله : ﴿ **لَتأتونَ الرجَالَ** ﴾ أي تعزفون عن النكاح بالنساء ، ثم عطف عليه : ﴿ **وَتقْطَعونَ السبِيلَ** ﴾ ، أي أن عزوفكم عن النساء أدى إلى انعدام النسل ؛ لانعدام إتيان الحرث .

وأما المعنى الثالث : فيكون مجازاً مرسلاً بناءً على معنى قطع السبيل بالاعتداء على المارة بالسرقة والقتل وغير ذلك ، فهو مجاز مرسل علاقته المسببية ، حيث أطلق المسبب - وهو قطع الطريق - وأراد السبب - وهو تعطيل طريق المارة بإيذائهم -[1] .

● الموضع الحادي عشر :

حكى المولى عن قوم شعيب بقوله : ﴿ **فَكَذبوه فَأَخَذَتهم الرجفَةُ فَأَصبَحوا في دَارهم جَاثمينَ** ﴾[2] .

ونتيجة لصبر شعيب ﷺ في إبلاغ الرسالة وما يتبع ذلك من أذى المشركين ، نزل العذاب بقومه نصراً له ﷺ ، فجاءت الاستعارة لتجسد حالهم عند نزول العذاب بهم .

موضع البيان : ﴿ **فَأَخَذَتهم الرجفَةُ** ﴾ ، والأخذ هنا استعارة لهلاك القوم - أي الإعدام - بجامع الإزالة[3] ، ثم اشتق من الأخذ بمعنى الإعدام ، (أخذتهم) بمعنى (أعدمتهم) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل . وتوحي هذه الاستعارة بقوة هلاكهم . وجاء التعريف بـ (أل) في (الرجفة) ؛ لبيان شدة الاضطراب وارتجاف الأرض .

واستعارة أخرى في قوله : ﴿ **في دَارهم جَاثمينَ** ﴾ ، وجاثمين - كما قال الراغب في المفردات - استعارة للمقيمين من قولهم : (جثم الطائر : إذا قعد ولطئ بالأرض)[4] ، فتمت الاستعارة أولاً في المصدر الجثوم والإقامة ، ثم اشتق من الجثوم الإقامة (جاثمين) بمعنى مقيمين على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في المشتق ، وهو (اسم الفاعل) .

---

(١) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام ، لعبد العظيم المطعني ، ج٣ ، ص٢٢٨ .
لقد فصل في تلك المدلولات وأحوال المجاز المناسبة لها . أما معنى علاقة السببية في المجاز المرسل : هو كون المعنى الوضـعي للفـظ المذكور سبباً للمعنى المجازي الذي يأتي عليه في السياق .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٣٧) .
(٣) ينظر : ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٧ .
(٤) ينظر : روح المعاني ، للألوسي ، ج٢٠ ، ص١٥٧ .

وقيل : إن معنى جاثمين : (باركين على الركب) ، والمراد : ميتين على ما روي عن قتادة[1] ، فيكون (جاثمين) كناية عن موتهم .

● **الموضع الثاني عشر :**

ولما كان صرف الولاء إلى غير الله يخالف العقل السليم والفطرة الصحيحة ، جاء بتشبيه ما لا تدركه البديهة بما يدرك بالبديهة ، قال الحكيم الرشيد في محكم التنزيل : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون اللهِ أولِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبوت اتخَذَت بَيتاً وَإن أوهَنَ الْبيوت لَبيت الْعَنكَبوت لَو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾[2] .

بعد أن فصل سبحانه القول في هلاك من أشرك من الأقوام في العصور السالفة وعذاب من كذب ، ولم يغنِ عنه في الدارين معبوده من دون الله شيئاً من أمر الله ؛ شخص صورته بالمحسوس من حال العنكبوت ؛ إذ اتخذت من بيتها المتهالك الهش مأمناً تلتجئ إليه[3] .

موضع البيان : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون اللهِ أولِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبوت ..** ﴾ الآية ، في لفظة (مثل) جاءت الاستعارة بمعنى الصفة ، وذلك لغرابة المثل .

قال الزركشي في مثل هذا الموضع : " لما كان المثل السائر فيه غرابة ، استعير لفظ المثل للحال ، أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة "[4] .

وعرف باسم الموصول (الذين) للإشارة إلى جميع المشركين أو كل من اتخذ من دون الله أولياء . ثم يأخذ في رسم الصورة التشبيهية المركبة : ﴿ **اتخَذُوا من دون اللهِ أولِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبوت اتخَذَت بَيتاً** ﴾ ، فمن سفه عقول هؤلاء المشركين أن اعتصموا ولجؤوا إلى أولياء لا يردون عنهم أدنى ضرر ، وهم في ذلك كالعنكبوت حينما تحتمي ببيتها الواهن الضعيف .

ويشير سبحانه في قوله : ﴿ **إن أوهَنَ الْبيوت لَبيت الْعَنكَبوت** ﴾ ، إلى هيئة وجه الشبه المنتزعة من هاتين الحالتين ، وهي " ضعف المعتمد ، ووهاء المستند "[5] . وقد أكد الجملة بـ (إن واللام)

---

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤١) .

(٣) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٦٠ ، وابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٥٢ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ، ج١ ، ص٤٨٨ .

(٥) النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، و : د. محمد زغلول سلام ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ص٨٤ .

في (لبيت) لتأكيد وهن بيت العنكبوت المصور لوهن أوليائهم ، كما أفاد تنكير (أولياء) تحقير شأنهم ، أو كثرة تنوع الأولياء الذين يلجؤون إليهم . وعبر بـ(أولياء) دون (آلهة) إشارة إلى الشرك الخفي[1] .

كما جاء التعريف بلام الجنس في (البيوت) للاستغراق ، وفي (العنكبوت) للإشارة إلى الحقيقة باعتبار عهديتها في الذهن وإقامة القرينة[2] .

﴿ **لو كانوا يعلمونَ** ﴾ أنّ هذا هو مثل ما اتخذوه متكأ ومعتمداً في الوهن والضعف لمّا استمروا في طغيانهم ، وليس المقصود ما يعلمونه من وهن بيت العنكبوت ، فهذا أمر معلوم للجميع[3] .

وقبل أن أختم القول في هذه الآية ، أود الرد على من اعترض على ذكر مثل هذه الحشرات والحيوانات بقوله تعالى : ﴿ **إن اللهَ لا يَستَحيِي أن يَضربَ مَثَلاً ما بَعوضَةً فَمَا فَوقَهَا فَأما الذينَ آمَنوا فَيعلَمونَ أنه الحَق من ربهم وَأما الذينَ كَفَروا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ الله بِهَـذَا مَثَلاً يضل بِهِ كَثيراً وَيَهدي بِهِ كَثيراً وَمَا يضل بِهِ إلا الفَاسقينَ** ﴾[4] ، وما كان التشبيه بالعنكبوت وغيرها إلا لبيان المعاني النفسية وتقريبها لذهن العامة[5] ، وكم هو " تصويرٌ عجيب صادق لحقيقة القوى في هذا الوجود التي يغفل عنها الناس أحياناً ، فيسوء تقديرهم لجميع القيم ، ويفسد تصورهم لجميع الارتباطات ، وتختلّ في أيديهم جميع الموازين ، ولا يعرفون إلى أين يتوجهون ، ماذا يأخذون وما يدعون "[6] .

● **<u>الموضع الثالث عشر</u> :**

** ملاحظة : لقد توصل العلم الحديث - في باب الإعجاز - إلى أنه بعد انتهاء عملية التلقيح بين ذكر وأنثى العنكبوت يخرج الذكر من البيت هارباً ؛ لأنه لو بقي ستقتله الأنثى ، وكذلك إذا جاعت تأكل أبناءها ، وكلّ هذا يشير إلى أنّ بيت العنكبوت مثال للبيت المليء بالخوف والوحشة المؤديان إلى الهلاك ، ومثل هذا ما اتخذه المشركون أولياء من دون الله ، فما يجدون إلا وحشةً وخوفاً وسوء مصير . (المرجع : الشبكة العنكبوتية) .

(١) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٦١ .

(٢) ينظر : الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٦٠ ، وجواهر البلاغة ، للهاشمي عند ذكره لأغراض التعريف ، ص١١٧ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي ، ج١٣ ، ص٣٤٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية (٢٦) .

(٥) ينظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، ج٢ ، ص٤٥ .

(٦) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٣٦ .

ولما استمر تكذيب المشركين لمحمد ﷺ ، خاطبهم قائلاً بما أمره الله بقوله : ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾[1] .

موضع البيان : ﴿ **كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً** ﴾ ، كناية عن عدل الله وإنصافه ، وهي كناية صفة بقرينة (بيني وبينكم) .

وجاء التعريف باسم الموصول في قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ** ﴾ توبيخاً للمنكرين ، وتحقيراً لما اتخذه من دون الله آلهة .

و (الْخَاسِرُونَ) هم " المغبونون في صفقتهم ، حيث اشتروا الكفر بالإيمان "[2] .

وللألوسي رأي في الاستعارة هنا ، حيث يقول : " وفي الكلام على ما قيل استعارة مكنية شبه استبدال الكفر بالإيمان المستلزم للعقاب باشتراءٍ مستلزم للخسران ، وفي الخسران استعارة تخييلية هي قرينتها - أي : قرينة المكنية - ؛ لأن الخسران متعارف في التجارات "[3] .

وللشيخ ابن عاشور رأي آخر ، حيث جعل موطن الاستعارة (الخاسرون) ، وقال : " واستعير الخسران لانعكاس المأمول من العمل المُكد ؛ تشبيهاً بحال من كد في التجارة لينال مالاً فأفنى رأس ماله "[4] .

وهي - كما يتضح - استعارة تصريحية تبعية ؛ لكونها في اسم مشتق (الخاسرون) ؛ لأنه اسم فاعل من خسر .

فالاستعارة أولاً في المصدر (الخسران) ، حيث شبه خسران الكافرين لدنياهم وآخرتهم المستلزم لعقابهم بخسران التاجر لتجارته وقد أفنى رأس ماله ، بجامع (انعكاس المأمول من العمل المكد) . ثم اشتق من (الخسران) اسم الفاعل (خاسرون) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في المشتق ، وعرف الخاسرون بـ (أل) ؛ للاستغراق في الخسران ، فقد خسروا أنفسهم أبداً .

● **الموضع الرابع عشر :**

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٢) .

(٢) الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٦٤ .

(٣) روح المعاني ، للألوسي ، ج٢١ ، ص٨ .

(٤) التحرير والتنوير ، للطاهر ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٨ .

وتزداد سفاهة الكافرين وإنكارهم ليستعجلوا نزول العذاب بهم ؛ تكذيباً واستبعاداً لوقوعه ، فجاءهم الرد الإلهي الملجم لتجاوزاتهم ، فقال شديد العقاب : ﴿ **يَستَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِن جَهَنَمَ لَمحيطَةٌ بِالْكَافرينَ** ﴾ [1].

فبعد أن ذكر استعجالهم بنزول العذاب في الآية السابقة لها عند قوله : ﴿ **وَيَستَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَولا أَجَلٌ مسَمى لَجَاءهم الْعَذَاب وَلَيَأتيَنهم بَغتَةً وَهم لا يَشعرونَ** ﴾ ، فتضمنت عذابهم في الدنيا ، وهو ما حصل لهم يوم بدر[2] ، ثم كرر استعجالهم للعذاب تأكيداً لسوء فعلهم ، وإخباراً بأن العذاب الذي سيلحق بهم عذابان ؛ في الدنيا والآخرة ، ولا يخفى ما في ذلك من التهديد القوي لسوء عاقبتهم .

موضع البيان : ﴿ **وَإِن جَهَنَمَ لَمحيطَةٌ بِالْكَافرينَ** ﴾ ، أكد بـ (إن واللام) وقوع جزائهم المنتظر في الآخرة ، وذلك مقابل إنكارهم واستبعادهم لنزول العذاب بهم .

﴿ **لَمحيطَةٌ بِالْكَافرينَ** ﴾ قيل حول معناها : إما أن يكون المقصود إحاطة كفرهم وسوء أعمالهم بهم الموجبة لدخولهم جهنم ، أو يقصد بها إحاطة وتطويق جهنم لهم من كلّ جانب ، فلا يستطيعون الخروج أو الإفلات منها ، وهذا المعنى جاء بدلالة ما بعده من قوله تعالى : ﴿ **يَومَ يَغشَاهم الْعَذَاب من فَوقهم وَمن تَحت أَرجلهم وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ [3]؛ ولأن الآية السابقة لها ذكرت عذابهم في الدنيا ، فأردفتها هذه بذكر عذابهم في الآخرة ، وبتعدد المعاني للآية تتعدد أوجه الصور فيها .

فيقول الألوسي في ذلك : " على أن في الكلام تشبيهاً بليغاً أو استعارة أو مجازاً مرسلاً ، أو تجوزاً في الإسناد "[4]. وهذا يؤكد إعجاز القرآن من حيث إنه (حمال أوجه) ، فالكلمة أو الصورة الواحدة تحتمل عدة وجوه مع صلاحية النص لكل منها . وعلى هذا يكون التشبيه في الآية على معنى : (وإن جهنم كالمحيطة بهم) . أما الاستعارة على أنّ الإحاطة مستعارة لعدم الإفلات منها ، وهي استعارة تبعية لكونها في مشتق (اسم الفاعل من الفعل أحاط) ، ويمكن أن تكون مجازاً مرسلاً ، حيث إن ما يحاصرهم من الكفر وارتكاب المعاصي سبب في دخولهم جهنم ، إذن هو مجاز مرسل علاقته المسببية[5].

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٤) .

(٢) ينظر : أبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٥٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٥٥) . وينظر : الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٦ ، وتفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٤ .

(٤) روح المعاني ، للألوسي ، ج٢١ ، ص٩ .

(٥) ومعنى علاقة المسببية في المجاز المرسل : هي كون المعنى الوضعي للفظ المذكور مسبباً عن المعنى المجازي .

أما التجوز في الإسناد فمن حيث إن جهنم مكان ، وقد أسند (اسم الفاعل) إلى ضمير مستتر في اسم الفاعل يعود على جهنم ، والعلاقة (المكانية) .

واسم الفاعل يفيد الوقوع في زمن الحال ، ولكن لما كان نزول العذاب بهم أمراً محققاً ، عبر باسم الفاعل ، وعلى هذا المعنى يكون في " الإحاطة كناية عن عدم إفلاتهم منها "[1]، وهي كناية إيماء لوضوح المعنى الكنائي .

وأفاد التعريف بلام الجنس في (الكافرين) الاستغراق الحقيقي ، أو للإشارة إلى حقيقة ما اتصفوا به . وجوز أبو السعود أن تكون اللام فيها للعهد ؛ " لوضع الظاهر موضع المضمر ؛ للإشعار بعلة الحكم "[2].

● **الموضع الخامس عشر :**

وفي المصير النهائي للنفس البشرية مؤمنة أو كافرة قال الحي الدائم : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾[3].

بعد أن جاء أمر الله للمؤمنين بالهجرة من ديار تضطهد دينهم وتعكّر صفو عبادتهم إلى حيث الاستقرار العبادي ، كان المؤمن وقتها يخشى الموت في ديارٍ لا يعرف فيها سكناً آمناً ولا مصدر رزق ؛ أكد المولى ﷻ له أنّ ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ أياً كان زمانها ومكانها ، وكذلك تحمل الآية وعداً ووعيداً بأنّ الموت كأس سيشرب منه ذو الأعمال الصالحة ، ومن آمن بالباطل وكفر بالله ، فالمرجع والمصير إلى الفرد الصمد[4].

وأفاد إضافة (كل) إلى النكرة (نفس) معنى الاستغراق[5]، فكلّ نفس ستفارق الجسد الذي وجدت فيه .

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٩ .

(٢) تفسيره ، ج٤ ، ص٢٦٤ . ونقل عبارته الألوسي ، ج٢١ ، ص٩ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٥٧) .

(٤) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٢ .

(٥) ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ص٤٠٧ ، عند ذكره لأحوال إضافة (كل) .

موضع البيان : ﴿ **ذَائِقَةُ الْمَوت** ﴾ ، وهي صورة استعارية[1]، حيث شبه الموت بأمر مادي محسوس له طعم يذاق ، ثم حذف المشبه به (المادي المحسوس) ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو (الذوق) ، وأثبت للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية ، بجامع التحقق والحصول .

﴿ **ثُم إِلَيْنَا ترجَعونَ** ﴾ عرف بضمير التكلم للدلالة على عظمته سبحانه وتعالى .

● **الموضع السادس عشر :**

وتقريراً لملكية الله لهذا العالم خلقاً وتسخيراً باعتراف المنكرين كفراً وعناداً ، قال مبدع هذا الكون :

﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهم من خَلَقَ السمَاوَات وَالأَرضَ وَسَخرَ الشمسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُن اللهُ فَأَنى يؤفَكُونَ** ﴾[2] .

فبعد أن طمأن المولى المؤمنين في الآية السابقة لها ﴿ **وَكَأَين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإِياكُم وَهوَ السميع الْعَليم** ﴾ ، عن طريق المجاز المركب بأنه ميسرٌ لأسباب رزقهم[3]، ثم ذكّرهم بحال من تركوهم في البلاد المهاجر منها ، حيث وصف نقائض كفرهم ، ففي الوقت الذي يعصون الله بكفرهم يقرون بخلقه للسموات والأرض وتهيئة الشمس والقمر للعمل على تعاقب الليل والنهار ، وترتب الفصول الأربعة ، فكيف تصرفون بعد هذا كله إلى غير الله ؟ وبهذا ناسب اشتمال السؤالين على كنايتين ومجاز في التسخير .

موضع البيان : ﴿ **وَسَخرَ الشمسَ وَالْقَمَرَ** ﴾ ، ﴿ **فَأَنى يؤفَكُونَ** ﴾ ، عبر سبحانه وتعالى بالتسخير في قوله : ﴿ **وَسَخرَ الشمسَ وَالْقَمَرَ** ﴾ ؛ لأن المعنى اللغوي له كما ذكره ابن منظور : " سخرته : أي قهرته وذللته ...

قال الزجاج : تسخير ما في السموات ، وتسخير الشمس والقمر والنجوم للآدميين ، وهو الانتفاع بها في بلوغ منابتها والاقتداء بها في مسالكهم "[4]. وبهذا المعنى للتسخير يكون في الآية مجاز مرسل في تصريف الشيء غير ذي الإرادة لعمل عظيم يصعب استعماله فيه ، علاقته الملزومية ؛ حيث إن

---

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ، ج٣ ، ص٢٦ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦١) .

(٣) سبق ذكره في مبحث التوكيد ، الموضع الثالث عشر ، ص٩٧ .

(٤) لسان العرب ، ج٧ ، ص١٤٥ ، حرف السين ، مادة (سخر) ، بتصرف .

المعنى الوضعي للتسخير (القهر والتذليل) ، والمعنى المجازي (الانتفاع على النحو الذي يحقق مصلحة الخلق) ، والمعنى المجازي لازم للمعنى الوضعي ، والمعنى الوضعي ملزوم .

وقال صاحب التفسير البلاغي : أنّ في ﴿ **فأنى يؤفكُونَ** ﴾ كنايتين ، وهي على النحو التالي :

" (وأنى) إن كانت بمعنى (أين) ، كان المعنى : أين تصرفون ؟ وإن كانت بمعنى (كيف) ، كان المعنى : فإلى أي حال من الأحوال تصرفون ؟ وقد كنى بالسؤال عن الجهة في الأول عن انعدام الجهة التي يصرفون إليها ، وكنى بالسؤال في الثاني عن نفي الحال التي تكون لهم مع استمرارهم على العناد "[1]؛ إذن الأولى كناية إيماء على أنه لا خالق إلا الله ، وهذا أمر معلوم ، أما الثانية فكناية تعريض عن استمرار عنادهم بالرغم من اعترافهم بوحدانية الخالق ، حيث عرفوا الحق ولم يتبعوه .

● **الموضع السابع عشر :**

وتتابعاً لذكر دلائل وحدانيته وإقرار المشركين بذلك ، قال الرزاق الحميد : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهم من نزلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً فَأَحيَا بِهِ الأرضَ من بَعد مَوتِهَا لَيَقُولُن اللهُ قُلِ الحَمد لله بَلْ أَكْثَرهم لاَ يعقلُونَ** ﴾[2] .

موضع البيان : ﴿ **فَأَحَيَا بِهِ الأرضَ من بَعد مَوتِهَا** ﴾ ، وفي هذا الجزء من الآية استعارتان ، كلتاهما تصريحية ، إلا أن أحداهما تبعية والأخرى أصلية .

الاستعارة الأولى : ﴿ **فَأَحَيَا بِهِ الأرضَ** ﴾ ، استعير الإحياء لظهور النباتات وتزيين الأرض بها ، ثم اشتق من الإحياء بمعنى ظهور النباتات وتزيين الأرض بها (أحيا) بمعنى : ظهرت نباتاتها وتزينت بها الأرض ، بجامع : عودة الحركة والنماء المصاحبة للحسن والنفع[3]، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وهي استعارة في مادة الفعل (أحيا) .

وتعاضدها الاستعارة الثانية ﴿ **من بَعد مَوتِهَا** ﴾ ليتجلى المعنى ويتم ، فقد استعار الموت لجدب الأرض وخلوها من الأشجار والنباتات ، بجامع انعدام الأثر ، حيث صرح بالمشبه به على سبيل

---

(١) عبد العظيم المطعني ، ج٣ ، ص٢٣٤ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٣) .

(٣) ينظر : التفسير البلاغي ، للمطعني ، ج ٣ ، ص٢٣٦ . المفصل في علوم البلاغة ، لعيسى علي العاكوب ، ص٤٧٣ .

الاستعارة التصريحية الأصلية[1]؛ لأن اللفظ المستعار مباشر للمستعار له ، كما أنها أصلية ، فاللفظ المستعار (الموت) اسم جنس .

● **الموضع الثامن عشر :**

وفي موازنة بين متاع الدارين ترجح فيها كفة متاع الآخرة ، يقول مالك الملك : ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾[2] .

موضع البيان : ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ** ﴾ ، واللهو هو كلّ ما يشغل المرء من هوى وطرب ، وقد يأتي بمعنى اللعب . أما اللعب فهو ضد الجد ، كما يطلق على كلّ عمل لا يجدي نفعاً[3]، وعلى هذا يكون في الآية تشبيه ؛ حيث شبه سرعة زوال حياة المغترين بالدنيا كصبية اجتمعوا للهو واللعب ، وما لبثوا أن تفرقوا[4]. وجه الشبه : (الزوال والفراق) ، فلما كان المشبه عقلياً ، أتى بالمشبه به حسيا ؛ ليقرب إلى الأذهان كيف تكون سرعة زوال ملذات الدنيا . وهو كما قال الألوسي : تشبيه بليغ[5] .

● **الموضع التاسع عشر :**

ولما تمادى الكافرون في كفرهم ، وازدادوا صداً وعناداً ، قال القوي المتين لهم تهديداً وتوعداً :

﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾[6] .

موضع البيان : اللام في (**لِيَكْفُرُوا - وَلِيَتَمَتَّعُوا**) ، سبق وأن أوضحت القراءة في اللام[7]، فإما أن تكون لام التعليل التي بمعنى (كي) أو لام الأمر ، فإذا كانت لام التعليل فيكون فيها استعارة تبعية .

---

(١) ينظر : المرجع السابق .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٤) .
(٣) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور ، ج١٣ ، ص٢٤٦ ، حرف اللام ، مـادة (لهـا) ، و : ج١٣ ، ص٢٠٥ ، حـرف الـلام ، مادة (لعب) .
(٤) ينظر : الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٦٧ .
(٥) ينظر : روح المعاني ، ج٢١ ، ص١٢ .
(٦) سورة العنكبوت : الآية (٦٦) .
(٧) ينظر : مبحث الأمر ، ص٧٦ من هذا البحث .

يقول ابن عاشور : " واللام في (ليكفروا) لام التعليل ، وهي لام (كي) ، وهي متعلّقة بفعل (يشركون) . والكفر هنا ليس هو الشرك ، ولكنه كفران النعمة بقرينة قوله : ﴿ **بِمَا آتَيْنَاهم** ﴾ ، فإن الإيتاء بمعنى : الإنعام ، وبقرينة تفريعه على (يشركون) فالعلة مغايرة للمعلول ، وكفران النعمة مسبب عن الإشراك ؛ لأنهم لما بادروا إلى شؤون الإشراك فقد أخذوا يكفرون النعمة ، فاللام استعارة تبعية ؛ شبه المسبب بالعلة الباعثة فاستعير له حرف التعليل عوضاً عن فاء التفريع "[1]، ﴿ **بِمَا آتَيْنَاهم** ﴾ قرينة المعنى المجازي . وقد عرفها بضمير التكلم الدال على العظمة .

● **الموضع العشرون :**

قال تعالى فيما امتن به على أهل مكة : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوا أنا جَعَلْنَا حَرَماً آمناً وَيتَخَطف الناس من حَولهم أفَبِالْبَاطل يؤمنونَ وَبِنِعمَة الله يَكْفُرونَ** ﴾[2] .

موضع البيان : ﴿ **وَيتَخَطف الناس من حَولهم** ﴾ " كناية عن شدة الاضطراب "[3]، وفقدان الأمن ، وهي كناية إيماء ، حيث إن اللّزوم بين المعنى الوضعي والمعنى المجازي واضح . ودلت الأفعال المضارعة في الآية على تجدد الفعل[4]، واستمراريته .

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٣ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٧) .
(٣) التفسير البلاغي للاستفهام ، لعبد العظيم المطعني ، ج٣ ، ص٢٣٩ .
(٤) ينظر : الطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٤ .

الفصل الرابع

وجوه النظم والتناسب في بناء الجمل والفصول

الفصل الرابع

وجوه النظم والتناسب في بناء الجمل والفصول

في هذا الفصل سندرس مبحثاً مهماً ودقيقاً من مباحث البلاغة ، والذي يعين على معرفة الوجوه التناسبية بين جمل ومقاطع السورة ، ويعد هذا المبحث - كما قال البلاغيون - من أدق الأبواب البلاغية وأغمضها ؛ لأنه يحتاج إلى مزيد تأمل وإعمال فكر لعلاقات الجمل .

يقول عبد القاهر في هذا : " اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيها إلا الأعراب الخلّص ، وإلا قوم طبعوا على البلاغة ، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد . وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئلَ عنها فقال : (معرفة الفصل من الوصل) ، ذاك لغموضه ودقة مسلكه ، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد ، إلا كمل لسائر معاني البلاغة "[(١)] .

تعريف الفصل والوصل :

الوصل : هو عطف بعض الجمل على بعض بالواو ؛ لصلة بينهما في المبنى والمعنى ، أو دفعاً للبس يمكن أن يحصل[(٢)] .

الفصل : هو ترك هذا العطف ، وتميز موضع الجملتين أو إحداهما من موضع الأخرى على ما تقتضيه البلاغة[(٣)] .

مواضع الفصل :

لقد بين البلاغيون مواضع الفصل في خمسة أحوال ، وهي كالتالي :

أولاً : كمال الاتصال : وهو أن تكون الجملة الثانية بمعنى الأولى أو جزءاً منها ، وله عدة صور ، وهي :

١- أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى ، سواء أكان تأكيداً معنوياً أم لفظياً .

٢- أن تقع الجملة الثانية بدلاً من الأولى ، والبدل إما أن يكون بدل بعض من كل ، أو بدل اشتمال .

---

(١) دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص٢٢٢ .

(٢) ينظر : بغية الإيضاح ، للصعيدي ، ج٢ ، ص٥٥ ، والمفصل في علوم البلاغة ، للعاكوب ، ص٢٩٧ .

(٣) ينظر : المرجعين السابقين .

٣- أن تكون الجملة الثانية عطف بيان للجملة الأولى .

ثانياً : شبه كمال الاتصال : ومعناه أن تكون الجملة الثانية جواباً لسؤال نشأ أو فهم عن الجملة الأولى . وهذا يسمى (استئنافاً بيانياً) .

ثالثاً : كمال الانقطاع : وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً . ويتمثل في صورتين :

١- أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً .

٢- أن تتفقا خبراً وإنشاءً ، ولكن لا يكون بينهما جامع .

رابعاً : شبه كمال الانقطاع : وهو أن تسبق الجملة بجملتين يجوز عطفها على الأولى لوجود مناسبة بينهما ، بينما لا يمكن عطفها على الثانية لفساد المعنى .

خامساً : إذا وجد بين الجملتين تناسب وترابط قوي ، ولكن يمنع من العطف عدم التشريك في الحكم(١) .

أما مواضع الوصل ، والتي يكون فيها العطف بالواو ، فهي ثلاثة مواضع :

أولاً : اتفاق الجملتين خبراً وإنشاء ، مع وجود المناسبة بينهما .

ثانياً : اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً مع إيهام الفصل خلاف المقصود فيفسد المعنى ، فلا بد من الوصل ، مثل : (لا وشافاك الله) ؛ لأن الفصل يوهم المخاطب بخلاف مقصود المتكلم .

ثالثاً : أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب ، ويراد إشراك الجملة الثانية فيه ، حيث لا مانع منه(٢) .

وأبدأ - بإذن الله - في دراسة هذا الفصل من خلال مقطع من الآيات ، أبحث خلاله العلاقات بين الجمل ، سواء كان منها ذو محل إعرابي ، كجملة الحال وعلاقتها بما قبلها ، أو ما ليس له محل إعرابي ، كالجمل التي تخضع لأحكام الفصل والوصل .

---

(١) ينظر : جواهر البلاغة ، للهاشمي ، ص١٨٣-١٨٦ ، والبلاغة فنونها وأفنانها ، لفضل عباس ، ص٤٢٠-٤٣٨ .

(٢) ينظر : أحمد المراغي في علوم البلاغة ، ص١٤٩ ، البلاغة فنونها وأفنانها ، لفضل عباس ، ص٤٤٠ .

المقطع الأول :

تبدأ آياته من قوله تعالى : ﴿ **الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقُولُوا آمَنا وَهم لا يفْتنونَ** ﴾ ،

إلى قوله تعالى : ﴿ **وَليَحملُن أثقَالَهم وَأثقَالاً معَ أثقَالهم وَليسألُن يَومَ القيَامَة عَما كَانوا يَفترونَ** ﴾ [(١)].

بدأت الآيات بالحديث عن الفتنة وذكر صور من الابتلاءات ، قال السميع العليم في ذلك :

﴿ **الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ الناس أن يترَكُوا أن يَقُولُوا آمَنا وَهم لا يفْتنونَ ۞ وَلقَد فتَنا الذينَ من قبلهم فَليَعلَمَن اللهُ الذينَ صَدَقُوا وَليَعلمَن الكَاذبِينَ ۞ أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئَات أن يَسبِقُونَا سَاء مَا يَحكُمونَ ۞ مَن كَانَ يَرجو لقَاء الله فَإن أجَلَ الله لآتٍ وَهوَ السميع العَليم ۞ وَمَن جَاهَدَ فَإنمَا يجَاهد لنَفسِه إن اللهَ لَغَني عَن العَالَمينَ ۞ وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات لَنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم وَلَنجزيَنهم أحسَنَ الذي كَانوا يَعمَلُونَ ۞** ﴾ [(٢)].

احتوت الآية الثانية على جملتين : الأولى إنشائية (استفهامية) ، والثانية خبرية ؛ فناسب مجيء الواو الحالية ؛ وذلك كون الجملة الثانية جملة حالية ، المبتدأ فيها ضمير لصاحب الحال[(٣)]، والفعل المضارع منفي .

يقول شيخنا عبد القاهر في مثل هذا الموضع : " .. كل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت (الواو) فذاك ؛ لأنك مستأنف بها خبراً ، وغير قاصد أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات "[(٤)]، ثم يذكر مثالاً على ذلك : (جاءني زيد وهو مسرع) على إثبات للسرعة ، ولم يكن ذلك في (جاءني زيد يسرع) .

ومما زاد من تناسق الجملتين وجود الفعل المضارع فيهما الدالّ على التجدد والاستمرار .

يقـول المولى عز شأنه : ﴿ **وَلقَد فتَنا الذينَ من قبلهم فَليَعلَمَن اللهُ الذينَ صَدَقُوا وَليَعلمَن الكَاذبِينَ** ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (١-١٣) .
(٢) سورة العنكبوت : الآيات (١-٧) .
(٣) ينظر : الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٣٣ .
(٤) دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص٢١٣ .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (٣) .

وبناء الجمل في الآية ذكر فيه ثلاثة مواضع للوصل بين الجمل ، وهي كالتالي :

﴿ **وَلَقَد فَتَنا الذينَ من قَبلهم** ﴾ عطفت الجملة على ﴿ **أَحَسِبَ الناس** ﴾ أو ﴿ **وَهم لاَ يفْتنونَ** ﴾ ، وفي هذا يقول ابن عاشور : " والواو الداخلة على جملة (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يجوز أن تكون عاطفة على جملة (أحسب الناس) ، ويجوز كونها عاطفة على جملة (وهم لا يفتنون) ، فتكون بمعنى الحال "[(١)].

أما قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَد فَتَنا الذينَ من قَبلهم فَلَيَعلَمَن** ﴾ ، فقد عطف بالفاء ؛ لإفادة ترتب ما بعدها على ما قبلها . فعند وقوع الامتحان فإن الله يعلم الصادق من الكاذب ، فشمولية علم الله موصولة بمن وقع عليهم الاختبار والابتلاء .

لقد عطفت جملة (فليعلمن) المشتملة على الفعل المضارع الدالّ على تجدد علم الله واستمراريته ، على الجملة الخبرية (ولقد فتنا) المشتملة على الفعل الماضي المؤكد لوقوع الفتنة ، فناسب التعبير بالفعل المضارع المؤكد لعلم الله الحاصل لما وقع من أمر الفتنة .

ثم جاء الوصل بين الجملتين الإنشائيتين عند قوله ﷻ : ﴿ **فَلَيَعلَمَن اللهُ الذينَ صَدَقُوا وَلَيَعلَمَن الكَاذِبِينَ** ﴾ ، ومن حسن الوصل بينهما أنهما جملتان فعليتان اشتملتا على فعلين مضارعين (يعلمن) " لزيادة التأكيد والتقرير "[(٢)].

ويأتي الفصل في قول المهيمن العزيز : ﴿ **أَم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئات أَن يَسبِقُونَا سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾[(٣)].

عبر النظم الحكيم بقوله : ﴿ **أَم حَسِبَ الذينَ** ﴾ ، و (أم) هنا منقطعة تفيد الإضراب والانتقال ، وتحقق شرط دخولها على غير مفرد[(٤)]؛ حيث دخلت (أم) في الآية على (جملة) ، فقد انتقل الحديث " من تثبيت المؤمنين إلى تهديد ووعيد الكافرين "[(٥)]. وهي جملة مفصولة ؛ لأنها استئناف ابتدائي مقرر لسنة أخرى من سنن الله ، وهي عدم إفلات من يعملون السيئات من عقاب الله ، وفيها تهديد ووعيد

---

(١) ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٤ .

(٢) دراسة في سورة العنكبوت ، أحمد القطان ، ومحمد الزين ، ص٢٤ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤) .

(٤) ينظر : مغني اللبيب ، لابن هشام ، ج١ ، ص٤٤-٤٦ .

(٥) التفسير البلاغي ، للمطعني ، ج٣ ، ص٢١٢ .

لأهل السيئات من المشركين .

ثم فصل الجملة الثانية في الآية فقال ﷻ : ﴿ **سَاءَ مَا يَحكُمونَ** ﴾ ؛ لأنها " مقررة لمعنى الإنكار في جملة ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئَات** ﴾ فلها حكم التوكيد ؛ لذلك فصلت "[1]، ولكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيداً معنوياً ، فكان الفصل فيها لكمال الاتصال بين الجملتين .

وقد يكون الفصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال ؛ حيث جاءت الجملة الثانية : ﴿ **سَاءَ مَا يَحكُمونَ** ﴾ جواباً لسؤال محذوف فهم من الجملة الأولى ، فكأنه قيل : أأصابوا في ذلك أم أخطؤوا ؟ فكانت الإجابة : ﴿ **سَاءَ مَا يَحكُمونَ** ﴾ ، استئنافاً بيانياً ، " أي : ما أسوأ هذا الذي أوقعوا الحكم به لأنفسهم "[2].

ومن موجبات الفصل في الآية التالية كمال الاتصال ، حيث قال العلي الكبير : ﴿ **مَن كَانَ يَرجو لقَاء اللهِ فَإن أجَلَ اللهِ لآتٍ وَهوَ السميع العَليم** ﴾ [3].

أوضحت الجملة في قوله ﷻ : ﴿ **مَن كَانَ يَرجو لقَاء اللهِ** ﴾ ما أومأت إليه الجملة السابقة في قوله : ﴿ **أنْ يَسبِقُونَا** ﴾ فكانت بياناً لها .

يقول ابن عاشور في ذلك : " الجملة مفيدة التصريح بما أومأ إليه قوله : ﴿ **أنْ يَسبِقُونَا** ﴾ من الوعد بنصر المؤمنين على عدوهم مبينة لها ، ولذلك فصلت . ولولا هذا الواقع لكان حق الإخبار بها أن يجيء بواسطة حرف العطف "[4].

﴿ **وَهوَ السميع العَليم** ﴾ عطفت الجملة على ما قبلها ؛ لاتفاقها معها في كونهما خبريتين .

ويأتي العطف بالواو في قول الغني المتعال : ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإنمَا يجَاهد لنَفْسِه إن اللهَ لَغَنِي عَن**

---

(١) ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٧ .

(٢) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٣٧ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٥) .

(٤) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٨ .

الْعَالَمينَ ﴾[1] .

اتفقت الجملة : ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يجَاهد لنَفْسِه** ﴾ مع ما قبلها في أن كلتيهما خبريتان ، وسبقها جملتان ؛ الأولى : ﴿ **مَن كَانَ يَرجو لقَاء اللهِ فَإِن أَجَلَ اللهِ لآتٍ** ﴾ ، والثانية : ﴿ **وَهوَ السميع العَليم** ﴾ ، فالجملة الثالثة يناسبها العطف على الجملة الأولى ، ولا يصح عطفها على الثانية ، والمعنى : " ومن جاهد ممن يرجون لقاء الله "[2] .

﴿ **إن اللهَ لَغَنِي عَن الْعَالَمينَ** ﴾ فصلت الجملة عما قبلها لقوة المناسبة بينهما - كمال الاتصال - ، حيث جاءت مؤكدة لما قبلها ، فإن من يجاهد نفسه على ترك المعاصي والمنكرات والصبر على الابتلاءات فإنما تعود فائدة جهاده على نفسه ؛ لأن الله غني عن العالمين ، " فإنما أمر الله ﷻ ونهى ؛ رحمةً لعباده ، وهو الغني عنهم وعن طاعتهم "[3] .

ومن أحسن في جهاد نفسه فقد أعد له الكريم المنان الجزاء الأوفى ، فقال ﷻ : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات لَنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم وَلَنجزَينهم أحسَنَ الذي كَانوا يَعمَلُونَ** ﴾[4] .

وجب الوصل بحرف العطف الواو على ما قبلها : ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يجَاهد لنَفْسِه** ﴾ ؛ وذلك لاتفاق الجملتين ، فكلتاهما خبريتان ، كما ناسب الاتصال بينهما ؛ لأن كل جملة اشتملت على فعل ماضٍ (آمنوا - وجاهدوا) ، وهو تأكيد لصدق جهاد المؤمنين ذوي الأعمال الصالحة ، وجملة ﴿ **لَنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم** ﴾ خبر عن ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات** ﴾ ، فهي وجملة المبتدأ وخبره جملة واحدة .

ويعود الوصل بالواو للربط بين الجمل في الآية ، فقال ﷻ : ﴿ **وَلَنجزَينهم أحسَنَ الذي كَانوا يَعمَلُونَ** ﴾ ، اتفقت مع جملة : ﴿ **لَنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم** ﴾ ، فكلتاهما إنشاء غير طلبي نوعه (قسم) ، فهي في سياق تعداد ما أعد الله للمؤمنين من الجزاء ، ومن حسن الوصل هنا اتفاق بناء الجملتين ، فكلتاهما جملة فعلية

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦) .
(٢) المرجع السابق . وينظر : حديث فضل عباس عن عطف الجملة في كتابه : البلاغة فنونها وأفنانها ، ص٤٥٨ .
(٣) الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٤٥ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٧) .

، والمسند إليه فيهما واحد ، وبين المسندين (نكفر) و (نجزي أحسن الذي كانوا يعملون) تناسب أيضاً .

ومن أنواع الابتلاءات ما جاء في قول الملك القدوس : ﴿ **وَوَصيّنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيه حسناً وَإِن جَاهَدَاكَ لتشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلا تطعهمَا إِلَي مَرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ ۞ وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات لَندخلَنهم في الصالحينَ** ﴾[1] .

عطف قوله تعالى : ﴿ **وَوَصيّنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيه حسناً** ﴾ على ﴿ **وَلَقَد فَتَنا** ﴾[2] ، فوجب الوصل ؛ لاتفاقهما في الخبرية ، فلما تحدثت الآيات في المقطع السابق عن ابتلاء المؤمنين ناسب عطف هذه الآية عليها ؛ لأنها تسير في نفس السياق ، فتذكر نوعاً آخر من فتنة المؤمنين .

ويتكرر العطف في الجملة التي تليها ، فيقول المولى : ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ لتشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلا تطعهمَا** ﴾ ، فكان الوصل بين الجملتين واجباً ، حيث جاءت الجملة الأولى : ﴿ **وَوَصيّنَا الإِنسَانَ** ﴾ خبرية ، والثانية خبرية لفظاً إنشائية معنى ؛ لأنها اشتملت في آخرها على أسلوب نهي ، وهو يدخل ضمن الجمل الإنشائية الطلبية .

ويقف الألوسي عند هذا الوصل قائلاً : " عطفٌ على ما قبله ، ولا بد من إضمار القول إن لم يضمر ، أي : (قلنا إن جاهداك ... إلخ) ؛ لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر ؛ لأن الجملة الشرطية إذا كان جوابها إنشاء فهي إنشائية ، كما صرحوا به . فإذا لم يضمر القول لا يليق عطفها على (وصينا) لما ذكر ، ولا على ما عمل فيه ؛ لكونه في معنى القول ، وهو أحسن وإن توافقا في الإنشائية ؛ لأنه ليس من الوصية فلا يضر ؛ لما فيه من تقيدها بعدم الإفضاء إلى المعصية مآلاً ، فكأنه قيل : أحسن إليهما وأطعهما ما لم يأمراك بمعصية "[3]، فجملة (وإن جاهداك ..) معطوفة على (وصينا) ، بتقدير : (وقلنا إن جاهداك) .

ويأتي الاستئناف البياني في قوله تعالى : ﴿ **إِلَي مَرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ . لقد وجب الفصل هنا لشبه كمال الاتصال ؛ لأن الجملة " مستأنفة استئنافاً بيانياً لزيادة تحقيق ما أشارت إليه مقدمة الآية من قوله : ﴿ **وَوَصيّنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيه حسناً** ﴾ ؛ لأن بقية الآية ... كان مما

---

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٨-٩) .

(٢) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٨ .

(٣) روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٣٨ .

يثير سؤالاً في نفوس الأبناء أنهم هل يعاملون الوالدين بالإساءة لأجل إشراكهما "[1] ؟.

وجزاء هؤلاء الصابرين الدخول مع الصالحين ، قال المنعم المنان في ذلك : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالِحَات لَنُدخلنهم في الصالحينَ** ﴾[2] .

عطف جملة ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالِحَات** ﴾ على محذوف مقدر ، والتقدير : (فالذين أشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم في المفسدين) ، ولكنه طواه لدلالة السياق عليه ، وجاء العطف زيادة في الحث على الإحسان إلى الوالدين[3] .

وفي فضح خبايا المنافقين قال العليم الخبير : ﴿ **وَمِنَ الناسِ مَن يَقُولُ آمَنا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ في اللهِ جَعَلَ فِتنَةَ الناسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِن جَاءَ نَصرٌ من ربكَ لَيَقُولُن إنا كُنا مَعَكُم أَوَلَيسَ اللهُ بِأَعلَمَ بِمَا في صدورِ العَالَمينَ ۝ وَلَيَعلَمَن اللهُ الذينَ آمَنوا وَلَيَعلَمَن المُنَافِقينَ** ﴾[4] .

لما سبق الحديث عن فئتين ؛ فئة المؤمنين المفتنين ، ثم الكافرين المسيئين ، بقي الحديث عن فئة ثالثة ، وهم فئة المنافقين[5] .

وجملة ﴿ **وَمِنَ الناسِ مَن يَقُولُ آمَنا بِاللهِ** ﴾ عطف على المفهوم من ترجمة الأقسام الثلاثة السابقة : الراجي ، والمجاهد ، والعامل الصالح[6] .

ثم عطف ﴿ **وَلَئِن جَاءَ نَصرٌ من ربكَ** ﴾ على جملة ﴿ **فَإِذَا أُوذِيَ في اللهِ جَعَلَ فِتنَةَ الناسِ كَعَذَابِ اللهِ** ﴾ ، وفصل جملة ﴿ **أَوَلَيسَ اللهُ بِأَعلَمَ** ﴾ عما قبلها ؛ لكمال الانقطاع ؛ لأنها إنشائية (استفهام) وما قبلها خبرية .

وكل ما كان من أمر الطائفتين فإن الله به عليم ، قال ﷻ : ﴿ **وَلَيَعلَمَن اللهُ الذينَ آمَنوا وَلَيَعلَمَن**

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٤-٢١٥ ، بتصرف .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٩) .
(٣) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٩ .
(٤) سورة العنكبوت : الآيتان (١٠-١١) .
(٥) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٢٤ .
(٦) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٠ .

الْمَنَافِقِينَ ﴾ ، العطف هنا بالواو على مقدر فُهم من السياق ، والتقدير : فقد علم الله ما أخفوا وما أعلنوا[1] .

وتتكرر علاقة الوصل في الآية للربط بين جملتين إنشائيتين اشتملت كلّ منهما على الفعل المضارع (ليعلمن) الدال على تجدد علم الله واستمراريته ، وبهذا قويت مناسبة الوصل بين الجملتين .

ويتنوع طغيان الكافرين بين عذاب من آمن أو إغوائه ، يقول القوي المنتقم في إغوائهم : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ۞ **وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾[2] .

والعطف في : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ على ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا** ﴾[3] . ولما أمر الكافرون غيرهم بالاتباع أعقبوه أمرهم أنفسهم بتحمل أوزار غيرهم ، فقالوا : ﴿ **اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ** ﴾ عطف ﴿ **وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ** ﴾ على ﴿ **اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا** ﴾ للتوسط بين الكمالين ؛ لاتفاقهما في الإنشاء . وفي العطف هنا مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع ، ومنشأ المبالغة الإشارة إلى أن تحقق الأمر وكأنه أمر واجب أُمروا به[4] .

والمراد من العطف : " المعية بين مضمون الجملتين في الأمر ، وليس المراد منه الجمع في الحصول ، فالجملتان في قوة جملة الشرط وجزائه ، والتعويل على القرينة "[5] .

وجملة : ﴿ **وَمَا هُم بِحَامِلِينَ** ﴾ حالية ، فالواو للحال ، وفصلت جملة : ﴿ **إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ لكمال الاتصال بين الجملتين ، حيث وقعت هذه الجملة بدل اشتمال من : ﴿ **وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ** ﴾ ، " فكان مضمون جملة : ﴿ **إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ مما اشتمل عليه مضمون جملة : ﴿

---

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) سورة العنكبوت : الآيتان (١٢-١٣) .

(٣) ينظر : نظم الدرر للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٤١ .

(٤) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٢ ، وروح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٤٠ .

(٥) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٠ .

وَمَا هم بِحَاملينَ ﴾ ، وليس مضمون الثانية عين مضمون الأولى ، بل الثانية أولى بالدلالة على أن كذبهم محقق ، وأنه صفة لهم في خبرهم هذا وفي غيره "[١] .

أما الألوسي فله رأي آخر في جملة : ﴿ **إنهم لكَاذبونَ** ﴾ ، فهي عنده استئناف مقرر لنفي السابق ، بينما يرى د. محمد أبو موسى أنها تأكيد للكلام السابق[٢] . وما اختلاف الآراء في دلالة الجملة القرآنية إلا دليل على دقة النص القرآني ، واتساع أسراره . فسبحان الله أحكم القائلين .

ثم جاء بأسلوب القسم الذي يوضح تبعة قولهم ، فقال القادر المقتدر : ﴿ **وَلَيحملُن أَثْقَالَهم وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهم وَلَيسأَلُن يَومَ الْقيَامَة عَما كَانوا يَفْتَرون** ﴾[٣] .

عطف هذه الآية على قولهم ﴿ **وَلْنحملْ خَطَاياكُم** ﴾ ، وهي " بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعتهم لمخاطبيهم أصلاً "[٤] .

فكان الوصل بين الجملتين الإنشائيتين واجباً ، ومن حسن الوصل بينهما أن كلتيهما جملة فعلية .

ويستمر الوصل بين جمل الآية ، فيقول ﷻ : ﴿ **وَلَيسأَلُن يَومَ الْقيَامَة عَما كَانوا يَفْتَرون** ﴾ ، وهي " تذييل جامع لمؤاخذاتهم بجميع ما اختلقوه من الإفك والتضليل "[٥] ، ثم تكررت جملة الإنشاء ؛ مما استدعى الوصل بينهما بالواو ، وتناسب الربط بينهما لكونهما جملتين فعليتين ، الفعل فيهما في زمن المضارع ؛ لاستحضار ذلك اليوم وما سيكون فيه ، مع ما في المسند إليه فيهما من اتحاد ؛ إذ هو ضمير هؤلاء المُغوين .

❐ ❐ ❐

---

(١) المرجع السابق .

(٢) ينظر : روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٤١ ، ودلالات التراكيب ، ص٣٢٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (١٣) .

(٤) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٣ .

(٥) التحرير والتنوير ، للطاهر ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢١ .

المقطع الثاني :

ويبدأ من قوله ﷻ : ﴿ **وَلَقَد أَرسَلْنَا نوحاً إلَى قَومِه فَلَبِثَ فِيهِم أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمسِينَ عَاماً فَأَخَذَهم الطوفَانُ وَهم ظَالمونَ** ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ **وَتلْكَ الأَمثَالُ نَضرِبهَا للناسِ وَمَا يَعقلُهَا إلا الْعَالمونَ** ﴾ [1]، وعلاقة هذا المقطع بالمقطع الأول تتمثل في أنّ المقطع الأول حديث عن سنة الله في الابتلاء ، وهذا المقطع عرض لنماذج من ابتلاء الأنبياء .

وبهذا تنتقل الآيات إلى ذكر نماذج من افتتان الأنبياء ، كان أولها قصة سيدنا نوح عليه السلام ، فقال المعز لأوليائه ، المذل لأعدائه : ﴿ **وَلَقَد أَرسَلْنَا نوحاً إلَى قَومِه فَلَبِثَ فِيهِم أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمسِينَ عَاماً فَأَخَذَهم الطوفَانُ وَهم ظَالمونَ ۞ فَأَنجَينَاه وَأَصحَابَ السفِينَة وَجَعَلْنَاهَا آيَةً للْعَالَمينَ** ﴾ [2].

وتتوالى الجمل الخبرية في الآيتين ؛ مما أوجب الوصل بينهم .

وتعطف قصة إبراهيم على قصة نوح - عليهما السلام - ، وفي ذلك يقول الوارث الرشيد :

﴿ **وَإِبرَاهيمَ إذْ قَالَ لقَومه اعبدوا اللهَ وَاتقُوه ذَلكُم خَير لَكُم إن كُنتم تَعلَمونَ ۞ إنمَا تَعبدونَ من دون اللهِ أَوثَاناً وَتَخلُقُونَ إفْكاً إن الذينَ تَعبدونَ من دون اللهِ لا يَملكُونَ لَكُم رزقاً فَابتَغوا عندَ اللهِ الرزقَ وَاعبدوه وَاشكُروا لَه إلَيه ترجَعونَ ۞ وَإن تكَذبوا فَقَد كَذبَ أُمَم من قَبلكُم وَمَا عَلَى الرسولِ إلا الْبَلاغُ الْمبِين** ﴾ [3].

ويأتي عطف قوله : (وإبراهيم) على : (نوحاً) ، وهو من عطف مفرد على مفرد .

وتعليلاً للأمر بعبادة الله قال : ﴿ **ذَلكُم خَير لَكُم إن كُنتم تَعلَمونَ** ﴾ ، فصلت جملة (ذلكم خير لكم) لشبه كمال الاتصال بين الجملتين ؛ حيث جاءت الجملة جواباً لسؤال ناشئ من الجملة الأولى ، فلما قال إبراهيم لهم ﴿ **اعبدوا اللهَ** ﴾ كأنه قيل : كيف نعبد ما تدعونا إليه ونترك ما يعبد آباؤنا ؟ فأجابهم ﴿ **ذَلكُم خَير لَكُم إن كُنتم تَعلَمونَ** ﴾ ، فتكون الجملة استئنافاً بيانياً لدعوته لهم .

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (١٤-٤٣) .

(٢) سورة العنكبوت : الآيتان (١٤-١٥) .

(٣) سورة العنكبوت : الآيات (١٦-١٨) .

ومن قول إبراهيم لقومه ما جاء في قول الواحد الأحد : ﴿ **إنما تعبدونَ من دون اللهِ أوثاناً وتخلقونَ إفكاً إن الذينَ تعبدونَ من دون اللهِ لا يملكونَ لكُم رزقاً فابتغوا عندَ اللهِ الرزقَ واعبدوه واشكُروا له إليه ترجَعونَ** ﴾ [1] .

فصلت جملة ﴿ **إنمَا تعبدونَ من دون اللهِ أوثاناً** ﴾ ؛ لأنها تعليل للأمر بعبادة الله ، فهي مستأنفة[2] .

ثم إنّ جملة ﴿ **إن الذينَ تعبدونَ من دون اللهِ** ﴾ فصلت لأنها تعليل للأمر بعبادة الله ، أو مستأنفة ابتدائية[3] ، فهي حينئذ مستأنفة استئنافاً بيانياً .

ثم ناسب الوصل بين الجمل الإنشائية : ﴿ **فابتغوا عندَ اللهِ الرزقَ واعبدوه واشكُروا له إليه ترجَعونَ** ﴾ للتوسط بين الكمالين ؛ لاتفاق الجمل في كونها إنشائية ، وجملة ﴿ **إليه ترجَعونَ** ﴾ فصلت عما قبلها ؛ لشبه كمال الاتصال .

ويختم المقطع بالوصل ، قال الله تعالى : ﴿ **وإن تكذبوا فقد كذبَ أمم من قبلكُم ومَا علَى الرسول إلا البلاغُ المبين** ﴾ [4] ، في هذه الجمل تفصيل ، والتفصيل مبني على : هل هي من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه ؟ أو من كلام الله مخاطباً مشركي العرب ؟ فعلى الاعتبار الأول الواو عاطفة ، وعلى الاعتبار الثاني الواو اعتراضية[5] .

ثم يأتي سرد الدلائل الكونية على وحدانية الله تعالى ، وفي ذلك يقول المولى : ﴿ **أولم يَروا كيفَ يبدئ اللهُ الخَلْقَ ثُم يعيده إن ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِير ۞ قُلْ سيروا في الأرض فانظُروا كيفَ بدَأ الخَلْقَ ثُم اللهُ ينشئُ النشأةَ الآخرَةَ إن اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير ۞ يعَذبُ من يَشَاءُ ويرحَم من يَشَاءُ وإليه تقْلبونَ ۞ ومَا أنتم بِمعجِزِينَ في الأرض ولا في السمَاء ومَا لكُم من دون اللهِ من ولي ولا نصير**

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٧) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (١٨) .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٦ .

﴿ **وَالذينَ كفَروا بِآيات اللهِ وَلقائه أولئكَ يَئسوا من رحمَتي وَأولئكَ لهم عَذَاب أليم** ﴾ [١] .

قال القادر العظيم : ﴿ **أوَلَم يَرَوا كَيفَ يبدئ اللهُ الخَلْقَ ثم يعيده إن ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِير** ﴾ [٢] ، رجح الشيخ الطاهر كون الآية مسوقة من جانب الله إلى المشركين ، فهي - إذن - ليست من كلام إبراهيم عليه السلام ، وعلى الوجه المرجوح ، وهو أنّ هذا من كلام إبراهيم يكون قوله : ﴿ **أوَلَم يَرَوا** ﴾ التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة[٣] . والفصل على الاعتبار الأول ؛ لأن الآية مستأنفة استئنافاً ابتدائياً ، وعلى الاعتبار الثاني الفصل لكمال الانقطاع .

جملة ﴿ **إن ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِير** ﴾ ، استئناف مبين لما تضمنه الاستفهام من إنكار عدم الرؤية والعلم بقدرة الله في الإعادة[٤] .

ولما كانت جملة : ﴿ **إن ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِير** ﴾ جملة خبرية وجب فصل الجملة الإنشائية في قوله : ﴿ **قُلْ سيروا في الأرضِ فانظُروا كَيفَ بَدَأ الخَلْقَ ثم اللهُ ينشئُ النشأةَ الآخرَةَ إن اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾ [٥]؛ لكمال الانقطاع بينهما .

كما فصلت الجملة الثانية في الآية : ﴿ **إن اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾ تذييل لما قبلها ، فكان شبه كمال الاتصال موجباً لفصلها عما قبلها .

ثم يأتي بجملة الاستئناف البياني لما بعد النشأة الآخرة في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يعَذب مَن يَشَاءُ وَيرحَم مَن يَشَاءُ وَإليه تقْلبونَ** ﴾ [٦] .

وبهذا وجب الفصل فيها لشبه كمال الاتصال ؛ فالجملة وقعت استئنافاً بيانياً[٧] لما يأتي بعد النشأة

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (١٩-٢٣) .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (١٩) .
(٣) ينظر : المرجع السابق .
(٤) ينظر : المطعني في التفسير البلاغي ، ج٣ ، ص٢٢٦ .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (٢٠) .
(٦) سورة العنكبوت : الآية (٢١) .
(٧) ينظر : الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٤٢ .

النشأة الآخرة المذكورة في الآية السابقة لها .

ولما أخبر النظم الحكيم بالجملة الفعلية ﴿ **يعذب من يشاء** ﴾ ناسب العطف عليها بالجملة الفعلية الثانية في الآية ﴿ **ويرحم من يشاء** ﴾ ، فكان الوصل للتوسط بين الكمالين ؛ لاتفاق الجملتين في الخبرية . وكذلك الحال في جملة ﴿ **وإليه تقلبون** ﴾ ، فهي جملة خبرية اشتملت على الفعل المضارع كسابقتها (يعذب ، ويرحم ، وتقلبون) .

ويعطف على جملة ﴿ **وإليه تقلبون** ﴾ قوله تعالى : ﴿ **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** ﴾ [1] .

تكرر في الآية الوصل بين جملها ؛ وكان موجب ذلك اتفاقها في كونها خبرية ن فهو وصل للتوسط بين الكمالين .

ثم يأتي قوله ﷻ : ﴿ **والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم** ﴾ [2] .

عطفت الآية على ما قبلها ، والمناسبة في ذلك أن الأولى : ﴿ **يعذب من يشاء ..** ﴾ جملة خبرية ، وكذلك الثانية متفقة معها في خبريتها : ﴿ **والذين كفروا بآيات الله ولقائه** ﴾ ، كما يفيد العطف " زيادة الإخبار بأنهم لا ينالهم الله برحمته ، وأنه يصيبهم بعذاب أليم "[3] .

﴿ **أولئك يئسوا من رحمتي** ﴾ خبر المبتدأ : ﴿ **والذين كفروا بآيات الله** ﴾ ، فلما ذكر كفرهم أوضح ما يستحقونه من اليأس من الرحمة ، والتي يعقبها عذاب أليم ، فكان كمال الاتصال بين الجملتين موجب لفصلهما .

ويعود السياق القرآني للحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه . قال ذو الجلال والإكرام : ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم**

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢٢) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢٣) .

(٣) الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٣ .

يؤمنونَ ۞ **وَقَالَ إِنَمَا اتخَذْتم من دون اللهِ أوثَاناً مَوَدةَ بَينِكُم في الْحَيَاة الدنيَا ثُم يَومَ الْقيَامَة يَكْفُر بَعضكُم بِبعض وَيلْعن بَعضكُم بَعضاً وَمَأوَاكُم النار وَمَا لَكُم من ناصرينَ** ﴾ [1] .

وفي الآية الأولى الفاء في ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه** ﴾ تفريع على جملة : ﴿ **إذْ قَالَ لقَومه اعبدوا** ﴾ ،

ثم جاء الفصل بين الجملتين عند قوله : ﴿ **فَأَنجَاه اللهُ منَ النار إن في ذَلكَ لآيَاتٍ لقَومٍ يؤمنونَ** ﴾ ،

فالجملة الثانية ﴿ **إن في ذَلكَ** ﴾ بدل اشتمال ؛ لما تضمنته نجاة إبراهيم عليه السلام من النار من العبر والآيات ، فكانت مناسبة كمال الاتصال بين الجملتين .

كما أن كمال الاتصال هو موجب الفصل بين الجملتين في الآية التي تليها : ﴿ **وَقَالَ إنمَا اتخَذْتم من دون اللهِ أوثَاناً مَوَدةَ بَينِكُم في الْحَيَاة الدنيَا** ﴾ ، (مودة بينكم) : (مودة) اسم مفرد ، وهو مفعول لأجله ، أي : " مودة بعضكم بعضاً هي التي دعتكم إلى اتخاذها بأن رأيتم بعض من تودونه اتخذها فاتخذتموها "[2]، وأما الجمل في بقية الآية فقد اتفقت في خبريتها ؛ مما أوجب الوصل بينها ، وكلها داخلة في مقول القول .

وتختم قصة إبراهيم بما أعد الله له من النعم ، فعلّل صبره بقول الظاهر الباطن : ﴿ **فَآمَنَ لَه لُوطٌ وَقَالَ إني مهَاجِر إلَى رَبي إنه هوَ الْعَزيز الْحَكيم ۞ وَوَهَبنَا لَه إسحَاقَ وَيعقُوبَ وَجَعَلْنَا في ذُريته النبوةَ وَالْكتَابَ وَآتينَاه أجرَه في الدنيَا وَإنه في الآخرَة لَمنَ الصالحينَ** ﴾ [3].

في الآية الأولى فصلت جملة ﴿ **إنه هوَ الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ لشبه كمال الاتصال ؛ إذ هي جملة تعليلية لمضمون ﴿ **وَقَالَ إني مهَاجِر إلَى رَبي** ﴾ [4].

ثم عطف قوله : ﴿ **وَوَهَبنَا لَه إسحَاقَ وَيعقُوبَ** ﴾ على جملة ﴿ **فَآمَنَ لَه لُوطٌ** ﴾ ، يقول

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٢٤-٢٥) .
(٢) روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٥٠ .
(٣) سورة العنكبوت : الآيتان (٢٦-٢٧) .
(٤) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٨ .

الألوسي : " الجملة معطوفة على ما قبل ، ولا حاجة إلى عطفها على مقدر "[(١)]. وعطف على جملة ﴿ وَوَهَبْنَا لَه .. ﴾ الجمل : (وجعلنا في ذريته ، وآتيناه أجره في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين) ؛ للتوسط بين الكمالين .

وننتقل مع الآيات إلى قصة لوط كنموذج آخر ، فقال الأول الآخر : ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَومِه إِنكُم لَتأتونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا من أحَدٍ منَ العَالمينَ ۞ أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم المنكرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنتَ منَ الصادقِينَ ۞ قَالَ رَب انصرنِي عَلَى القَومِ المفْسِدينَ** ﴾ [(٢)].

عطف قوله : ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَومِه** ﴾ على ما سبق من قصة نوح . وقوله : ﴿ **مَا سَبَقَكُم بِهَا من أحَدٍ منَ العَالمينَ** ﴾ جملة حالية ترجح ترك الواو فيها ؛ لأنه سبقها أداة ، وهي (ما) ، فحسن ترك الواو[(٣)].

ويأتي الفصل في الآية التي تليها عند قوله : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم المنكرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنتَ منَ الصادقِينَ** ﴾ [(٤)].

فجملة : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ** ﴾ بدل اشتمال من جملة : ﴿ **لَتأتونَ الفَاحِشَةَ** ﴾ [(5)]؛ وذلك لكمال الاتصال بين الجملتين .

ثم قال سبحانه : ﴿ **وَتَقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم المنكرَ** ﴾ ، وهي عطف على جملة ﴿ **لَتأتونَ الرجَالَ** ﴾ الواقعة خبراً لإنّ ، وكذلك جملة ﴿ **وَتَأتونَ في نَاديكُم** ﴾ معطوفة على جملة الخبر .

ولقد أوجب إعراضهم وسوء أفعالهم الدعاء بهلاكهم ، قال ﷻ على ما جاء على لسان لوط :

---

(١) روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٥٢ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٢٨-٣٠) .

(٣) ينظر : ما قاله عبد القاهر في الدلائل عن مجيء الجملة الحالية بدون واو ، ص٢١١ : " ومما ينبغي أن يراعى في هذا الباب : أنك ترى الجملة قد جاءت حالاً بغير (واو) ويحسن ذلك ، ثم تنظر فترى ذلك إنما حسن من أجل حرف دخل عليها " .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٢٩) .

(5) ينظر : الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٠ .

﴿ **قَالَ رَب انصرنِي عَلَى الْقَومِ الْمفْسِدِينَ** ﴾ .

فصلت جملة ﴿ **قَالَ رَب ..** ﴾ عما قبلها لشبه كمال الاتصال ؛ لأنها جواب عن سؤال مقدر اقتضاه قولهم : (ائتنا بعذاب أليم) .

ولما حان الموعد لنزول العذاب بقوم لوط ، جاءت الملائكة للإخبار بذلك ، فقالت لإبراهيم ما حكاه النظم الكريم في قول القادر المقتدر : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنا إِبرَاهِيمَ بِالْبشرَى قَالُوا إنا مهلكُو أَهلِ هَذه الْقَريَة إن أَهلَهَا كَانوا ظَالمينَ ۞ قَالَ إن فيهَا لُوطاً قَالُوا نَحن أَعلَم بِمن فيهَا لَننجينه وَأَهلَه إلا امرأَته كَانَت منَ الْغَابِرِينَ** ﴾[1] .

ولأن الآيتين جاءتا في سياق قصة لوط جاء العطف على ما سبق : ﴿ **قَالَ رَب انصرنِي ..** ﴾ استجابة لدعاء لوط . ثم جاء الفصل بين الجملتين : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنا إِبرَاهِيمَ بِالْبشرَى** ﴾ وقوله : ﴿ **قَالُوا إنا مهلكُو أَهلِ هَذه الْقَريَة** ﴾ ؛ لأن الجملة الثانية جواب (لما) .

وأما الجملة في قوله : ﴿ **إن أَهلَهَا كَانوا ظَالمينَ** ﴾ جملة تعليلية ، ففصلها لشبه كمال الاتصال .

وفصلت جملة : ﴿ **قَالَ إن فيهَا لُوطاً** ﴾ لشبه كمال الاتصال ؛ لأنها جواب عن سؤال مقدر تقديره : فماذا قال إبراهيم ؟.

وكذلك حدث في الجملة الثانية : ﴿ **قَالُوا نَحن أَعلَم بِمن فيهَا** ﴾ فصلت لشبه كمال الاتصال أيضاً .

أما في الجملة التي تليها : ﴿ **لَننجينه وَأَهلَه إلا امرأَته** ﴾ فقد كان موجب الفصل كمال الاتصال ، حيث جاءت هذه الجملة " بياناً لجملة ﴿ **نَحن أَعلَم بِمن فيهَا** ﴾ ، فلذلك لم تعطف عليها وفُصلت "[2]. وجملة : ﴿ **كَانَت منَ الْغَابِرِينَ** ﴾ استئناف بياني وقع جواباً عن سؤال مقدر ، فكأنه قيل : فما

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (٣١-٣٢) .

(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٤ .

كان حالها ؟ فقيل : ﴿ **كَانَت منَ الْغَابِرِينَ** ﴾[1] .

ثم تصل الملائكة إلى لوط ، وفي ذلك يقول الواجد الماجد : ﴿ **وَلَما أن جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهم وَضَاقَ بِهم ذَرعاً وَقَالُوا لا تَخَف وَلا تحزَنْ إنا منَجوكَ وَأهلَكَ إلا امرَأَتَكَ كَانَت منَ الْغَابِرِينَ ۝ إنا منزِلُونَ عَلَى أهلِ هَذه الْقَريَة رجزاً منَ السمَاءِ بِمَا كَانوا يَفْسقُونَ ۝ وَلَقَد تركْنا منهَا آيةً بينَةً لقَومٍ يَعقلُونَ** ﴾[2] .

عطف في الآية الأولى جملة ﴿ **وَقَالُوا لا تَخَف وَلا تحزَنْ** ﴾ على ﴿ **سيءَ بِهم وَضَاقَ بِهم ذَرعاً** ﴾[3] ، فالجملتان خبريتان ، والعطف للتوسط بين الكمالين . وجملة ﴿ **لا تَخَف وَلا تحزَنْ** ﴾ مقول القول ، فهي في محل نصب ؛ لأنها مفعول به . وعطفت جملة ﴿ **وَلا تحزَنْ** ﴾ على جملة ﴿ **لا تَخَف** ﴾ للتوسط بين الكمالين ؛ لكونهما إنشائيتين .

أما قوله : ﴿ **إنا منَجوكَ وَأهلَكَ إلا امرَأَتَكَ** ﴾ فصلت عما قبلها ؛ لشبه كمال الاتصال ، و ﴿ **وَأهلَكَ** ﴾ معطوف على الضمير (كاف الخطاب) في ﴿ **منَجوكَ** ﴾ ، وهذا من عطف المفرد على المفرد ، ﴿ **كَانَت منَ الْغَابِرِينَ** ﴾ سبق الحديث عن مثلها في الآية الثانية والثلاثين .

ثم يأتي الاستئناف في قوله ﷻ : ﴿ **إنا منزِلُونَ عَلَى أهلِ هَذه الْقَريَة رجزاً منَ السمَاءِ بِمَا كَانوا يَفْسقُونَ** ﴾[4] .

إذن جملة ﴿ **إنا منزِلُونَ عَلَى أهلِ ...** ﴾ " استئناف مسوق لبيان ما أشير إليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليه "[5] ، فكان موجب الفصل كمال الاتصال بين الجملتين ، والجملة بياناً لما في جملة

---

(١) ينظر : روح المعاني ، للألوسي ، ج٨ ، ص١٧٢ ، سورة الأعراف ، وفي سورة العنكبوت ، ج٢٠ ، ص155 .
(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٣٣-٣٥) .
(٣) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤5 .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٣٤) .
(5) أبو السعود ، ج٤ ، ص٢5٩ .

﴿ **لا تَخَف وَلا تَحزَنْ** ﴾ [(١)] .

وفي قول الحق المتين : ﴿ **وَلَقَد تَرَكْنَا مِنهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَومٍ يَعقِلُونَ** ﴾ [(٢)]، عطف على قوله تعالى : ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَومِهِ** ﴾ ، وهو من عطف آية على آية ؛ لأن " قصة لوط آية بما تضمنته من الخبر ، وآثار قرية قومه آية أخرى بما يمكن مشاهدته لأهل البصر "[(٣)]، فكان اتفاق الجملتين في كونهما خبريتين أدعى لوصلهما .

وكان شعيب عليه السلام من تميز صبره على بلاء قومه ، وقد جاء ذكره في قول المعز لأنبيائه ، المذلّ لأعدائه : ﴿ **وَإِلَى مَديَنَ أَخَاهُم شُعَيباً فَقَالَ يَا قَومِ اعبُدُوا اللهَ وَارجُوا اليَومَ الآخِرَ وَلا تَعثَوا فِي الأَرضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ فَأَصبَحُوا فِي دَارِهِم جَاثِمِينَ** ﴾ [(٤)] .

عطف ﴿ **وَإِلَى مَديَنَ أَخَاهُم شُعَيباً** ﴾ على ﴿ **وَلَقَد أَرسَلْنَا نُوحاً** ﴾ ، أي : وأرسلنا إلى مدين[(٥)] .

ثم وجب الوصل بين الجمل الإنشائية في الآية : (اعبدوا الله ، وارجوا اليوم الآخر ، ولا تعثوا في الأرض) ؛ للتوسط بين الكمالين ؛ لاتفاق هذه الجملة في كونها إنشائية .

ومن الأقوام المكذبة لرسلها فاستحقت الهلاك : ﴿ **وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَبَيَّنَ لَكُم مِن مَسَاكِنِهِم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعمَالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُستَبصِرِينَ ۞ وَقَارُونَ وَفِرعَونَ وَهَامَانَ وَلَقَد جَاءَهُم مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاستَكْبَرُوا فِي الأَرضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۞ فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنهُم مَن أَرسَلْنَا عَلَيهِ حَاصِباً وَمِنهُم مَن أَخَذَتهُ الصَّيحَةُ وَمِنهُم مَن خَسَفْنَا بِهِ الأَرضَ وَمِنهُم مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُم وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ** ﴾ [(٦)] .

والآية الأولى عطف على ما تقديره (أهلكنا عاداً وثمود ...) ، وأما جملة ﴿ **وَقَد تَبَيَّنَ لَكُم مِن**

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٥ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٣٥) .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سورة العنكبوت : الآيتان (٣٦-٣٧) .
(٥) ينظر : أبو حيان ، ج٧ ، ص١٤٧ .
(٦) سورة العنكبوت : الآيات (٣٨-٤٠) .

مسَاكِنِهم ﴾ فهي جملة حالية جاءت الواو رابطاً فيها ، ويجوز كون هذه الجملة معترضة[1] - واو الحال لا تعطف جملة الحال على ما قبلها ، وإنما هي رابط يربط جملة الحال بما قبلها ، الذي هو صاحب الحال - .

والجملة الثالثة في الآية : ﴿ **وَزَينَ لَهم الشيطَانُ أعمَالَهم** ﴾ عطف على الجملة الأولى : ﴿ **وَعَاداً وَثَمودَ** ﴾[2]؛ لأنّ تقدير الكلام : أهلكنا عاداً وثمود ، وزين لهم الشيطان أعمالهم .

ومن المكذبين الطغاة المهلكين : ﴿ **وَقَارونَ وَفرعَونَ وَهَامَانَ وَلَقَد جَاءهم موسَى بِالْبَينَات فَاستَكْبَروا في الأَرضِ وَمَا كَانوا سَابِقينَ** ﴾[3]، (وقارون وفرعون) معطوف على (عاداً)[4]، والجملة ﴿ **وَلَقَد جَاءهم** ﴾ حالية ، أو معترضة ، وكذلك الشأن : ﴿ **وَمَا كَانوا سَابِقينَ** ﴾ جملة حالية .

ثم يختتم هذا المقطع بقول المولى : ﴿ **فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنبِه فَمنهم من أرسَلْنَا عَلَيه حَاصباً وَمنهم من أَخَذَته الصيحَةُ وَمنهم من خَسَفْنَا بِه الأَرضَ وَمنهم من أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهم وَلَكن كَانوا أَنفُسَهم يَظْلمونَ** ﴾[5]. وكما نرى أنّ علاقة الوصل بين جمل الآية كانت هي الرابط ؛ لكونها جملاً خبرية صح أن يعطف بعضها على بعض ، وهي : (ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا) ، وأما جملة ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهم** ﴾ ، فهي جملة حالية ، وتقدير الكلام : أهلكناهم حال كوننا غير ظالمين لهم ، بينما هم الذين ظلموا أنفسهم .

قال الباعث الشهيد في حال من اتخذ من دونه أولياء : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون اللهِ أَولِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبوت اتخَذَت بَيتاً وَإن أَوهَنَ الْبيوت لَبيت الْعَنكَبوت لَو كَانوا يَعلمونَ ۞ إن اللهَ يَعلم مَا يَدعونَ من دونِه من شَيءٍ وَهوَ الْعَزيز الْحَكيم ۞ وَتلْكَ الأَمثَالُ نَضرِبهَا للناسِ وَمَا يَعقلُهَا إلا الْعَالمونَ** ﴾[6].

بعد أن تحدثت الآيات عن نماذج من الأقوام المكذبة والمتخذة غير الله إلهاً ، والكفرة والمشركين من

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٨ .
(٢) ينظر : المرجع السابق .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٣٩) .
(٤) ينظر : أبو السعود ، ج٤ ، ص٢٦٠ .
(٥) سورة العنكبوت : الآية (٤٠) .
(٦) سورة العنكبوت : الآيات (٤١-٤٣) .

أهل مكة ، جاء النظم الحكيم بالتشبيه وتقريب حالهم بالمثل ، فقال : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون اللهِ أولياء كَمَثلِ العَنكَبوت اتخَذَت بَيتاً وَإن أوهَنَ البيوت لَبَيت العَنكَبوت لو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾ [1] .

فجملة ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا** ﴾ استئناف يوضح حالة الضعف والوهن للمعبودات التي يلجأ إليها المشركون ، وقوله : ﴿ **اتخَذَت بَيتاً** ﴾ مستأنفة من لزوم الوقف على العنكبوت ، وجملة ﴿ **وَإن أوهَنَ البيوت لَبَيت العَنكَبوت** ﴾ جملة حالية[2] .

ثم يأتي قول العلي الكبير : ﴿ **إن اللهَ يَعلَم مَا يَدعونَ من دونِه من شَيءٍ وَهوَ العَزيز الحَكيم** ﴾ [3] . لقد جاء الفصل في قوله : ﴿ **إن اللهَ يَعلَم مَا يَدعونَ** ﴾ عن ﴿ **لو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾ :

١- على تقدير : قول محذوف[4] .

٢- أو على أنها مستأنفة ، أي ابتداء كلام جديد ؛ فالفصل لكمال الانقطاع .

فلما نفى العلم عن المشركين ، وهو علمهم بأنّ مثَلهم فيما اتخذوه من دون الله متكلاً ومعتمداً كمثل العنكبوت ، أثبت في المقابل سعة علم الله بحقيقة ما يدعونه ، ولهذا فصلت الآية .

وجملة ﴿ **وَهوَ العَزيز الحَكيم** ﴾ تذييل لجملة ﴿ **إن اللهَ يَعلَم مَا يَدعونَ** ﴾ ومعطوفة على الجملة قبلها ؛ لكونهما خبريتين ، فالوصل للتوسط بين الكمالين . وجملة ﴿ **وَتلكَ الأمثَالُ** ﴾ معطوفة على مقدر : (هذا مثلهم)[5] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤١) .

(٢) ينظر : الألوسي ، ج٢٠ ، ص١٦٠ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤٢) .

(٤) ينظر : المرجع السابق .

(٥) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٦٢ .

المقطع الثالث :

وهو التقاء الحق الذي جاء في هذا الكتاب مع الحق الذي قامت عليه السموات والأرض ، ويبدأ من قول المولى ﷻ : ﴿ **خَلَقَ اللهُ السمَاوَات وَالأرضَ بِالْحَق إِن في ذَلكَ لآيةً للْمؤمنِينَ** ﴾ [(١)] ، إلى قوله سبحانه : ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا فينَا لَنهدِيَنهم سبلنَا وَإِن اللهَ لَمَعَ الْمحسِنِينَ** ﴾ [(٢)] .

وتنبيهاً على حقارة قدر الأوثان التي عبدوها قال الحق : ﴿ **خَلَقَ اللهُ السمَاوَات وَالأرضَ بِالْحَق إِن في ذَلكَ لآيةً للْمؤمنِينَ ۝ اتلُ مَا أُوحيَ إِلَيكَ منَ الْكتَابِ وَأَقم الصلاةَ إِن الصلاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحشَاء وَالْمنكَر وَلَذكْر اللهِ أَكْبر وَاللهُ يَعلم مَا تَصنَعونَ ۝ وَلا تجَادلُوا أَهلَ الْكتَابِ إِلا بِالتي هيَ أَحسَن إِلا الذينَ ظَلَموا منهم وَقُولُوا آمنا بِالذي أُنزِلَ إِلَينَا وَأُنزِلَ إِلَيكُم وَإِلَهنَا وَإِلَهكُم وَاحد وَنَحن لَه مسلمونَ** ﴾ [(٣)] .

ولما لم ينتفع المشركون بما قُدم لهم من الحجج ونتائجها الموصلة إلى بطلان إلهية ما يعبدون ، انتقل الخطاب إلى المؤمنين ؛ وذلك " لإفادة التنويه بشأن المؤمنين إذا انتفعوا بما هو أدق من ذلك ، وهو حالة النظر والفكر في دلالة الكائنات على أن خالقها هو الله "[(٤)] ، ففصلت الآية عما قبلها ؛ لأنها كلام مستأنف ، أي مبتدأ لإفادة معنى آخر جديد .

وأما جملة ﴿ **إِن في ذَلكَ لآيةً للْمؤمنِينَ** ﴾ ، فهي توكيد للجملة قبلها ؛ لأن الحق في كل عمل هو إتقانه وحصول المراد منه ، وهذا الخلق المتقن هو آية على وحدانية الخالق ، وعلى صفات ذاته وأفعاله ، ففصلت الجملة عما قبلها ؛ لكمال الاتصال .

ثم يأتي الأمر من الله ﷻ : ﴿ **اتلُ مَا أُوحيَ إِلَيكَ منَ الْكتَابِ وَأَقم الصلاةَ إِن الصلاةَ** ﴾ فصلت الجملة عما قبلها لكمال الانقطاع ؛ إذ هي إنشاء وما قبلها خبر .

وتتفق جملة الإنشاء الطلبي - المتمثلة في فعل الأمر - الأولى مع جملة الإنشاء الطلبي الثانية ، وهي : ﴿ **وَأَقم الصلاةَ** ﴾ ؛ مما أوجب الوصل بين الجملتين للتوسط بين الكمالين .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤٤) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .

(٣) سورة العنكبوت : الآيات (٤٤-٤٦) .

(٤) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٥٦ .

﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ يحتمل أن يكون عطف جملة ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾ على قوله ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ** ﴾ ، فيكون عطف جملة خبرية على أخرى خبرية ؛ مما يوجب الوصل بينهما ، ويكون بهذا المراد ذكر الله الصلاة ، وهو من عطف علّة على علة . ويمكن أن يكون قوله : ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾ عطف على جملة ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ ، فيكون المعنى : اذكر الله ؛ فإنّ ذكر الله أمر عظيم(١)، فالجملة خبرية أريد بها الإنشاء .

وجملة ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى** ﴾ فصلت عما قبلها ؛ لشبه كمال الاتصال . أما قوله : ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ ، فهو تذييل لما سبقه ، فالله يعلم المتدبر للقرآن والمقيم للصلاة : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ ...** ﴾ ، فناسب الوصل بين الجملتين .

ثم عطف الوصاية بأهل الكتاب على قوله : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ** ﴾ ، فقال ﷻ : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (٢).

وجاء العطف على الآية السابقة خطاباً لمن ختمت الآية بخطابهم ، وهم المؤمنون ؛ " تنزيها لمقامه ﷺ عن المواجهة بمثل ذلك ، تنبيهاً على أنه لا يصوب همته الشريفة إلى مثل ذلك ؛ لأنه ليس في طبعه المجادلة ، والمماراة ، والمغالبة "(٣)، فقال عاطفاً ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا** ﴾ فالأولى فيها أمر ، والثانية نهي ، وبهذا اتفقتا في كونهما إنشائيتين ، كذلك ناسب الوصل اتفاقهما في بنائهما ، فكلتاهما جملة فعلية .

وتتواصل علاقة العطف بين جمل هذه الآية : ﴿ **وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا** ﴾ ، وهو عطف على ما سبق . وفي وجوب الوصل هنا يقول ابن عاشور : " ولأجل أنّ مضمون هذه الآية لا يدخل في جنس المجادلة عطفت على ما قبلها ، ولو كانت مما شملته المجادلة لكان ذلك مقتضياً فصلها ؛ لأنها مثل بدل الاشتمال "(٤)، ثم تتوالى الجمل الخبرية المعطوفة بالواو : (وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون) ، هاتان الجملتان عطفتا على

(١) ذكر الاحتمالين في العطف ابن عاشور في : م١٠ ، ج٢٠ ، ص١٦١ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٦) .
(٣) البقاعي ، ج٥ ، ص٥٦٤ .
(٤) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج ٢١ ، ص٧ .

﴿ **آمنا بِالذي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُم** ﴾ ، وكلّ هذه الجمل في محلّ نصب مقول القول .

ويحتج المشركون فيطالبون النبي محمد ﷺ بمعجزة كالتي مرت على أيدي الأنبياء ، وكأنهم لا يرون في القرآن معجزة ، قال الوالي المتعال في ذلك : ﴿ **وكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيكَ الْكِتَابَ فَالذينَ آتَينَاهم الْكِتَابَ يؤمنونَ بِه وَمن هَؤلاَء مَن يؤمن بِه وَمَا يَجحَد بِآيَاتِنَا إِلا الْكافرونَ ۞ وَمَا كُنتَ تَتلُو من قَبله من كِتَابٍ وَلاَ تَخطه بِيَمينِكَ إِذاً لارتَابَ الْمبطلُونَ ۞ بَلْ هوَ آيَات بَينَات في صدورِ الذينَ أُوتوا الْعلْمَ وَمَا يَجحَد بِآيَاتِنَا إِلا الظالمونَ ۞ وَقَالُوا لَولاَ أُنزِلَ عَلَيه آيَات من ربه قُلْ إِنمَا الآيَات عندَ اللهِ وَإِنمَا أَنَا نَذير مبِين ۞ أَوَلَم يَكْفهم أَنا أَنزَلْنَا عَلَيكَ الْكِتَابَ يتلى عَلَيهم إِن في ذَلِكَ لَرَحمَةً وَذكْرَى لقَومٍ يؤمنونَ ۞ قُلْ كَفَى بِاللهِ بَينِي وَبَينَكُم شَهيداً يَعلَم مَا في السمَاوَات وَالأَرضِ وَالذينَ آمنوا بِالْبَاطلِ وَكَفَروا بِاللهِ أُولَئكَ هم الْخَاسرونَ** ﴾[1] .

يبدأ هذا المقطع : ﴿ **وكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيكَ الْكِتَابَ فَالذينَ آتَينَاهم الْكِتَابَ يؤمنونَ بِه وَمن هَؤلاَء مَن يؤمن بِه وَمَا يَجحَد بِآيَاتِنَا إِلا الْكافرونَ** ﴾ ، ﴿ **وكَذَلِكَ أَنزَلْنَا** ﴾ أي : مثل ذلك الإنزال الذي للكتب السابقة[2] . ثم عطف بالفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، وذلك في قوله : ﴿ **فَالذينَ آتَينَاهم الْكِتَابَ يؤمنونَ** ﴾ ، وجملة : ﴿ **وَمن هَؤلاَء مَن يؤمن بِه** ﴾ معطوفة على ﴿ **فَالذينَ آتَينَاهم الْكِتَابَ يؤمنونَ** ﴾ فلاتصال الخبر في الجملتين كان العطف .

وإذا كان من أهل مكة من آمن ، فإنّ منهم من كان جاحداً لآيات القرآن ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَجحَد بِآيَاتِنَا إِلا الْكافرونَ** ﴾ ، وهي جملة حالية[3] .

وتستمر الآيات في إثباتها لنزول القرآن من رب العزة والجلال ، فيعطف قول المنان : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتلُو من قَبله من كِتَابٍ وَلاَ تَخطه بِيَمينِكَ إِذاً لارتَابَ الْمبطلُونَ** ﴾[4]، فلما ذكرت الأولى إثبات نزول

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (٤٧-٥٢) .
(٢) ينظر : أبو حيان ، ج٧ ، ص١٥٠ .
(٣) على رأي الدكتور : عبد الحافظ البقري .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٤٨) .

الكتاب من الله ﴿ **كَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيكَ الْكِتَابَ** ﴾ جاء في الثانية بالبرهان القاطع ، والدليل على أن القرآن ليس من قول المصطفى ﷺ ، فقال ﷻ : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتلُو من قَبله من كِتَابٍ وَلا تَخطه بِيَمينِكَ** ﴾ ، فوصل ما أخبر به في الأولى بالحجة الدامغة الدالّة على بطلان ما قالوه .

ولارتباط الكتابة بالقراءة فكلاهما وسيلتا تعلّم نفاهما عن محمد ﷺ ؛ ليثبت أميته الدالة على صدق نزول القرآن من لدن الواحد الأحد .

فكان الوصل أنسب بين الجملتين الخبريتين ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتلُو من قَبله من كِتَابٍ** ﴾ وجملة ﴿ **وَلا تَخطه بِيَمينِكَ** ﴾ ، وقد عبر بالأفعال المضارعة (تتلو ، وتخطّ) ؛ لأنها صفتان ملازمتان للأمية ، وهو استقصاء وتحقيق وصف الأمية[1] . والغرض من إثبات الأمية في التلاوة والقراءة للنبي ﷺ نفي الشك الذي قد يوقعه المشركون في احتمالية أن يكون قرأ في كتب السابقين[2] ، و ﴿ **إذاً لارتَابَ الْمبطلُونَ** ﴾ جواب وجزاء لشرط مقدر ، والتقدير : لو كنت تتلو قبله كتاباً أو تخطّه لارتاب المبطلون .

ثم يأتي بإبطال ارتياب المبطلين والإضراب عنهم[3] بقوله سبحانه : ﴿ **بَلْ هُوَ آيات بَينَات في صدور الذينَ أوتوا الْعلْمَ وَمَا يَجحَد بِآيَاتنَا إلا الظالمونَ** ﴾[4] .

فكانت الآية مبينة ومؤكدة على أنّ القرآن منزل من الله سبحانه وتعالى ، ومحفوظ في صدور من عرفوه ، وأحسنوا قراءته ، وهي موصولة بما قبلها بحرف العطف (بل) .

﴿ **وَمَا يَجحَد بِآيَاتنَا إلا الظالمونَ** ﴾ تذييل لجحود المشركين بآيات الله ، وتتفق الجملتان في خبريتهما ؛ مما أوجب الفصل بينهما .

لما ذكرت الآيات السابقة الجاحدين وصفاتهم جاء الذكر الحكيم على ذكر مقولتهم ، فقال الواحد الصمد عنهم : ﴿ **وَقَالُوا لَولا أُنزلَ عَلَيه آيات من ربه قُلْ إنمَا الآيات عندَ اللهِ وَإنمَا أَنَا نَذير**

---

(١) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٠ .

(٢) ينظر : المرجع السابق .

(٣) ينظر : الألوسي ، ج٢١ ، ص٥ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٤٩) .

مبين ﴾ [١]، فناسب في الآية الوصل ؛ لأنها تستكمل ما كان من جحود المشركين من أهل مكة ؛ إذ هي معطوفة على مقدر ، (فجحدوها بما لهم من الرسوخ في الظلم)[٢].

وقال الله سبحانه بدون العطف : ﴿ **قُلْ إِنَمَا الآيات عندَ اللهِ وَإِنمَا أَنا نَذير مبين** ﴾ فكان الفصل أنسب لشبه كمال الاتصال ؛ إذ هي جواب عن سؤال مقدر اقتضاه قولهم : ﴿ **وَقَالُوا لَولا أُنزلَ عَلَيه آيات** ﴾ .

ثم يعجب سبحانه من حال هؤلاء المشركين الجاحدين لآياته الجليلة ، فيقول ﷻ : ﴿ **أَوَلَم يَكْفِهم أَنا أَنزَلْنا عَلَيكَ الْكِتَابَ يتلى عَلَيهم إِن في ذَلكَ لَرَحمَةً وَذكْرَى لقَومٍ يؤمنونَ** ﴾ [٣].

جملة ﴿ **أَوَلَم يَكْفِهم** ﴾ عطف على جملة ﴿ **قُلْ إِنمَا الآيات عندَ اللهِ** ﴾ [٤]، وهذا على اعتبار أن همزة الاستفهام مقدمة من تأخير ، وأصل الكلام : (وألم يكفهم) ، وهذا رأي سيبويه في الاستفهام الذي بعده حرف عطف ، وجملة ﴿ **يتلى عَلَيهم** ﴾ مستأنفة أو حال ، وجملة ﴿ **إِن في ذَلكَ لَرَحمَةً وَذكْرَى لقَومٍ يؤمنونَ** ﴾ تعليل للتعجيب ، فهي مفصولة لشبه كمال الاتصال[٥].

وقال سبحانه : ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللهِ بَينِي وَبَينَكُم شَهيداً يَعلَم مَا في السمَاوَات وَالأَرضِ وَالذينَ آمَنوا بِالْبَاطلِ وَكَفَروا بِاللهِ أُولَئكَ هم الْخَاسرونَ** ﴾ [٦].

وجملة : ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللهِ بَينِي وَبَينَكُم شَهيداً** ﴾ مفصولة عما قبلها ؛ لكونها جواباً عن سؤال مقدر ، فالفصل لكمال الاتصال ، وفصلت الجملة الثانية عن الأولى في قوله : ﴿ **يَعلَم مَا في السمَاوَات وَالأَرضِ** ﴾ ؛ لأن الجملة الثانية مقررة للأولى ، فهي " تقرير لما قبلها من كفايته تعالى

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٠) .
(٢) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٦٧ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٥١) .
(٤) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٤ .
(٥) ينظر : المرجع السابق .
(٦) سورة العنكبوت : الآية (٥٢) .

شهيداً "[1]، ومنزلة منزلة التوكيد لما قبلها[2]، فكانت علاقة الوصل بين الجملتين كمال الاتصال ، وجملة : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا بِالْباطلِ وَكَفَروا بِاللهِ** ﴾ معطوفة على جملة ﴿ **كَفَى بِاللهِ شَهيداً** ﴾ ، فهي داخلة في مقول القول .

وجملة ﴿ **أُولئكَ هم الخَاسرونَ** ﴾ مكونة من مبتدأ وخبر ، وهي بجزأيها المبتدأ والخبر خبر عن اسم الموصول ﴿ **وَالذينَ آمَنوا بِالْباطلِ** ﴾ .

ولم يتوقف المشركون عند جحود آيات القرآن وإعجازه واستعجال العذاب بهم استكباراً واستبعاداً ، قال علاّم الغيوب عما صدر عنهم : ﴿ **وَيَستَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَولا أَجَلٌ مسَمى لَجَاءهم الْعَذَاب وَلَيَأْتِيَنهم بَغْتَةً وَهم لا يَشعرونَ ۞ يَستَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِن جَهَنمَ لَمحيطَةٌ بِالْكَافرينَ ۞ يَومَ يَغشَاهم الْعَذَاب من فَوقِهم وَمن تَحت أَرجلِهم وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾[3].

قوله سبحانه : ﴿ **وَيَستَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَولا أَجَلٌ مسَمى** ﴾ عطف على : ﴿ **وَقَالُوا لَولا أُنزِلَ عَلَيه آيات من ربه** ﴾ ؛ للتوسط بين الكمالين ؛ لاتفاق الجملتين في الخبرية ، فلما عجب من قولهم في الجملة الأولى أخبر بما هو أعجب من ذلك ، " وهو استمرارهم بما لا قدرة لهم على شيء منه من عذاب الله "[4]، فجاء الوصل بين الجملتين الخبريتـين .

وجملة ﴿ **وَلَولا أَجَلٌ مسَمى لَجَاءَهم الْعَذَاب** ﴾ حالية ، فالواو فيها رابطة ، والجملة في قوله سبحانه : ﴿ **وَلَيَأْتِيَنهم بَغْتَةً وَهم لا يَشعرونَ** ﴾ مستأنفة " مبينة لما أشير إليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محلّ الأجل "[5]، وجملة ﴿ **وَهم لا يَشعرونَ** ﴾ جملة

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٣ .

(٢) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٧ .

(٣) سورة العنكبوت : الآيات (٥٣-٥٥) .

(٤) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٠ .

(٥) أبو السعود ، ج٤ ، ص٢٦٤ .

حالية .

ويتكرر ذكر استعجالهم للعذاب في قول القوي المتعال : ﴿ **يَستَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِن جَهَنمَ لَمحيطَةٌ بِالْكَافرينَ** ﴾ [1] .

قوله تعالى : ﴿ **يَستَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ** ﴾ استئناف ابتدائي ، وعطفت جملة ﴿ **وَإِن جَهَنمَ لَمحيطَةٌ بِالْكَافرينَ** ﴾ على جملة : ﴿ **وَلَيأْتَينهم بَغتَةً وَهم لا يَشعرونَ** ﴾ ، فهما عذابان كما هو مقتضى ظاهر العطف[2] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٤) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٩ .

وبياناً لإحاطة جهنم بهم قال سبحانه : ﴿ **يَومَ يَغشَاهم العَذَاب من فَوقِهم وَمن تَحت أَرجلهم وَيقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ [1].

﴿ **يَومَ يَغشَاهم العَذَاب ...** ﴾ الظرف (يوم) متعلق بـ (محيطة) ، وهو معمول لمحيطة ؛ لأنه اسم فاعل ، وجملة ﴿ **يَغشَاهم العَذَاب** ﴾ مضافة إلى الظرف ، وجملة ﴿ **وَيقُولُ ذُوقُوا** ﴾ معطوفة على ﴿ **يَغشَاهم** ﴾ ، مع مراعاة أنّ فاعل القول هو العذاب ، وجملة ﴿ **ذُوقُوا** ﴾ مقول القول ، فهي في محل نصب .

قال تعالى : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الذينَ آمَنوا إن أَرضي وَاسعَةٌ فَإِيايَ فَاعبدون ۝ كُل نَفْسٍ ذَائقَةُ المَوت ثُم إلَينَا ترجَعونَ ۝ وَالذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالحَات لَنبوئَنهم منَ الجَنة غُرَفاً تَجري من تَحتهَا الأنهَار خَالدينَ فيهَا نِعمَ أَجر العَاملينَ ۝ الذينَ صَبَروا وَعَلَى رَبهم يَتَوَكلُونَ ۝ وَكَأَين من دَابةٍ لاَ تَحملُ رزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإياكُم وَهوَ السميع العَليم** ﴾ [2].

استئناف ابتدائي وقع اعتراضاً بين الجملتين المتعاطفتين ، جملة ﴿ **وَالذينَ آمَنوا بِالبَاطل** ﴾ ، وجملة ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالحَات** ﴾ [3] في قول الرحمن الرحيم : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الذينَ آمَنوا إن أَرضي وَاسعَةٌ فَإِيايَ فَاعبدون** ﴾ النداء إنشاء ، والجملة بعده خبر ، فالفصل لكمال الانقطاع .

والجملة في قوله تعالى : ﴿ **كُل نَفْسٍ ذَائقَةُ المَوت ثُم إلَينَا ترجَعونَ** ﴾ كما قال ابن عاشور : اعتراضٌ ثان بين الجملتين المتعاطفتين ، أي أنها مستأنفة استئنافاً ابتدائياً[4].

ثم يأتي العطف بين الجمل الخبرية ، ففي قوله سبحانه : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالحَات** ﴾ عطف على ﴿ **وَالذينَ آمَنوا بِالبَاطل** ﴾ [5]، وسبب الوصل التوسط بين الكمالين ، والجامع بين

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٥٥) .
(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٥٦-٦٠) .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢١ .
(٤) ينظر : المرجع السابق .
(٥) ينظر : ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٢ .

الجملتين ما بينهما من تضاد .

وأما قوله : ﴿ **لنبوئنهم منَ الْجَنة غُرَفاً تَجري من تَحتهَا الأنهَار خَالدينَ فيها** ﴾ خبر الاسم الموصول في أول الجملة[(١)] .

وفصلت أيضاً الجملة الإنشائية الأخيرة في الآية : ﴿ **نِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾ ؛ لأنها إنشاء ثناء وتعجيب على الأجر الذي أعطوه[(٢)] .

﴿ **الذينَ صَبَروا وَعَلى رَبهم يَتوَكلُونَ** ﴾ ، الموصول خبر لمبتدأ محذوف اتباعاً للاستعمال والتقدير (هم الذين صبروا)[(٣)] ، فالجملة بيانية للجملة التي سبقتها ، ولهذا فصلت .

ثم عطفت الجملة في قوله تعالى : ﴿ **وَكَأين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإِياكُم وَهوَ السميع الْعَليم** ﴾ على جملة ﴿ **كُل نَفْسٍ ذَائقَةُ الموت** ﴾ ، وجملة ﴿ **لا تَحملُ رِزقَهَا** ﴾ صفة لدابة .

﴿ **اللهُ يَرزقُهَا وَإِياكُم** ﴾ كأنه قيل : فمن يرزقها[(٤)] ؟ فكان شبه كمال الاتصال موجب للفصل بينهما ، ثم عطف ﴿ **وَهوَ السميع الْعَليم** ﴾ على جملة ﴿ **اللهُ يَرزقُهَا وَإِياكُم** ﴾ .

ثم يعود السياق القرآني في السورة إلى لحديث عن أهل الباطل الجاحدين لآيات الله ، فيقول الخالق القادر : ﴿ **وَلَئن سَأَلْتَهم من خَلَقَ السمَاوَات وَالأَرضَ وَسَخرَ الشمسَ وَالْقَمَرَ لَيقُولُن اللهُ فَأَنى يؤفَكُونَ ۞ اللهُ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عبَاده وَيقْدر لَه إِن اللهَ بِكُل شَيءٍ عَليم ۞ وَلَئن سَأَلْتَهم من نزلَ منَ السمَاءِ مَاءً فَأَحيَا بِه الأَرضَ من بَعد مَوتهَا لَيقُولُن اللهُ قُلِ الْحَمد لله بَلْ أَكْثَرهم لا يَعقلُونَ ۞ وَمَا هَذه الْحَيَاةُ الدنيَا إِلا لَهو وَلَعب وَإِن الدارَ الآخرَةَ لَهِيَ الْحَيوَانُ لَو كَانُوا يَعلَمونَ ۞ فَإِذَا رَكبوا في الْفُلْك دَعَوا اللهَ مخلصينَ لَه الدينَ فَلَما نَجاهم إِلَى الْبر إِذَا هم يشركُونَ ۞ لِيَكْفُروا بِمَا آتَينَاهم وَلِيَتَمَتعوا فَسَوفَ يَعلَمونَ ۞ أَولَم يَروا أَنا جَعَلْنَا حَرَماً آمناً وَيتَخَطف الناس من حَولهم أَفَبِالْبَاطلِ يؤمنونَ وَبِنعمَة اللهِ يَكْفُرونَ ۞ وَمَن أَظْلَم ممن افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذباً أَو كَذبَ**

---

(١) ينظر : روح المعاني ، ج٢١ ، ص١١ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٣ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٧٤ .

بِالْحَق لَما جَاءه أَلَيسَ في جَهَنمَ مَثْوًى للْكَافرِينَ ﴾ [1] .

يأتي قوله تعالى : ﴿ **وَلَئن سَأَلْتهم من خَلَقَ السمَاوَات وَالأَرضَ وَسَخرَ الشمسَ وَالْقَمَرَ لَيقُولُن اللهُ فَأَنى يؤفَكُونَ** ﴾ متوسطاً بين آيتين تتحدثان عن الرزق ؛ وذلك لتوكيد ما جاء فيها[2] ، فسبقها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَكَأَين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا** ﴾ ، وبعدها : ﴿ **اللهُ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عبَاده وَيقْدر لَه ..** ﴾ .

والآية كلها قسم وجوابه ، فهي جملة واحدة . وقوله : ﴿ **لَيقُولُن اللهُ فَأَنى يؤفَكُونَ** ﴾ جملة جواب القسم ، والجملة كلام معترض بين ما قبلها وما بعدها لتوكيد معنى الآيتين ، وتعريض بأن الذين اعتمدتم عليهم في الرزق يقرون بقدرتنا وبقوتنا[3] .

﴿ **اللهُ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عبَاده وَيقْدر لَه إِن اللهَ بِكُل شَيءٍ عَليم** ﴾ استئناف ابتدائي قصد به بيان توسعة الرزق وضيقه بعد أن تقدم الحديث عن المرزوق ﴿ **اللهُ يرزقُهَا** ﴾ ، وختمت بقوله سبحانه : ﴿ **إِن اللهَ بِكُل شَيءٍ عَليم** ﴾ ، وهي تعليل لبسط الرزق وضيقه ، فهي مفصولة لشبه كمال الاتصال .

ثم يعطف على السؤال السابق سؤالاً آخر : ﴿ **وَلَئن سَأَلْتهم من نزلَ منَ السمَاءِ مَاءً فَأَحيَا بِه الأَرضَ من بعد موتهَا لَيقُولُن اللهُ قُلِ الْحَمد لله بلْ أَكْثَرهم لا يعقلُونَ** ﴾ ؛ للاستدلال على قدرته سبحانه على البعث بعد أن تم الاستدلال على قدرته على الخلق والرزق .

فصلت جملة : ﴿ **قُلِ الْحَمد لله** ﴾ ، والحمد هنا على ظهور الحجة ودحض أهل الشرك ، وحمد الله لا يختص بأمرٍ معين ، وإنما يكون على كلّ نعمة وفعل وصفة اختص بها الله ، ولكمال الانقطاع وجب الفصل ، حيث سبقها جملة إنشائية ، إلا أنّ الخطاب فيها موجهٌ للكافرين ، ثم جاءت هذه الجملة الإنشائية فكان الخطاب فيها موجهاً لحبيبنا محمد ﷺ ، فاتفقت الجملتان في إنشائيتهما ، وفُصل بينهما لعدم وجود الجامع .

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (٦١-٦٨) .

(٢) ينظر : الألوسي ، ج٢١ ، ص١٢ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

وقوله سبحانه : ﴿ بَلْ أَكْثَرهم لاَ يَعقلُونَ ﴾ " إضراب انتقال من حمد الله على وضوح الحجج إلى ذم المشركين بأن أكثرهم لا يتفطّنون لنهوض تلك الحجج الواضحة "[(١)].

﴿ وَمَا هَذه الْحَيَاةُ الدنيَا إلا لَهو وَلَعب وَإن الدارَ الآخرَةَ لَهيَ الْحَيَوَانُ لَو كَانوا يَعلمونَ ﴾ ، وهذا الكلام مبلغ إلى الفريقين اللذين تضمنهما قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَكْثَرهم لاَ يَعقلُونَ ﴾ من عقلائهم الذين آثروا الدنيا ، ودهمائهم الذين لم يشعروا بغير أمور الدنيا[(٢)]. وبهذا ناسب الوصل بين الجمل الخبرية ، فقال بعدها : ﴿ وَإن الدارَ الآخرَةَ لَهيَ الْحَيَوَانُ ﴾ ، وجملة ﴿ لَو كَانوا يَعلمونَ ﴾ أفادت أنهم جهلوا الحياة الآخرة من أصلها ، وجواب (لو) محذوف ، دليله : ﴿ وَإن الدارَ الآخرَةَ لَهيَ الْحَيَوَانُ ﴾ .

وتستمر الآيات في ذكر أنواع جحودهم وكفرهم والتناقض في أفعالهم وأقوالهم ، فقال المولى : ﴿ فَإذَا رَكبوا في الْفُلْك دَعَوا اللهَ مخلصينَ لَه الدينَ فَلَما نَجاهم إلَى الْبَر إذَا هم يشركُونَ ﴾ ، فالفاء لتفريع ما بعدها على ما قبلها ، والمفرع عليه محذوف . وقوله : ﴿ ليَكْفُرُوا بِمَا آتَينَاهم وَليَتَمَتعوا فَسَوفَ يَعلمونَ ﴾ ، اللام في ﴿ ليَكْفُرُوا ﴾ لام التعليل ، وهي تعليل لما قبلها : ﴿ إذَا هم يشركُونَ ﴾ ، والكفر هنا هو جحود النعمة .

واللام في ﴿ وَليَتَمَتعوا ﴾ إن كانت مكسورة فهي لام التعليل ، وهي والفعل معها معطوفة على ﴿ ليَكْفُرُوا ﴾ ، وإن كانت ساكنة فهي لام الأمر ، والفعل معها حينئذ أمر ، الغرض منه التهديد[(٣)].

ثم عطف قول المعز المذلّ : ﴿ أَولَم يَروا أَنا جَعَلْنَا حَرَماً آمناً وَيتَخَطف الناس من حَولهم أَفَبِالْبَاطل يؤمنونَ وَبِنِعمَة اللهِ يَكْفُرونَ ﴾ على قوله : " ﴿ فَإذَا رَكبوا في الْفُلْك دَعَوا اللهَ ﴾ ، باعتبار ما اشتملت عليه تلك الجملة من تفريعهم على كفران نعم الله تعالى "[(٤)]، والعطف هنا مراعى فيه كون

(١) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٠ .
(٢) ينظر : المرجع السابق .
(٣) ينظر : الطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٣ .
(٤) المرجع السابق .

الجملة الثانية في معنى الخبر ؛ لكون الاستفهام التقريري يؤول إلى معنى الخبر ، والواو في : ﴿ **وَيتَخَطف الناس** ﴾ واو الحال بتقدير مبتدأ (وهم)[1] . ثم فصلت الجملة الاستئنافية : ﴿ **أفَبِالْباطل يؤمنونَ وَبنِعمَة اللهِ يَكْفُرونَ** ﴾ ، ولما كانت هذه الجملة الإنشائية دالّة على سوء معتقدهم وجحودهم ، عطف عليها جملة إنشائية توضح أنّ كل ما كان منهم إنما هو ظلم لأنفسهم وافتراء على الله الغني الكبير ، فقال عز من قائل : ﴿ **وَمَن أظْلَم ممن افْتَرَى عَلى اللهِ كَذباً أو كَذبَ بِالْحَق لَما جَاءه أليسَ في جَهَنمَ مَثْوًى للْكَافرينَ** ﴾ ، فكان الوصل في كونهما إنشائيتين .

وجملة : ﴿ **أليسَ في جَهَنمَ مَثْوًى للْكَافرينَ** ﴾ بيان لما جاء في قوله : ﴿ **وَمَن أظْلَم ممن افْتَرَى عَلى اللهِ كَذباً** ﴾ ، فتكون علاقة كمال الاتصال هي الموجبة للفصل بين الجملتين ، فالجملة الأولى كانت إيذاناً بجزاء فظيع يترقبهم . فجاء بيان مضمونها وتقريرها بالجملة الثانية .

وتختم سورة العنكبوت بقوله سبحانه : ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا فينَا لَنهدَينهم سبلَنا وَإن اللهَ لَمَعَ المحسِنِينَ** ﴾[2] .

والجملة معطوفة على مقدر مفهوم من الكلام السابق ، تقديره : فالذين فتناهم فوجدوا كاذبين ضلوا فصاروا لا يعقلون ؛ لكونهم لم يكونوا من المجاهدين .

وجملة : ﴿ **لَنهدَينهم سبلَنا** ﴾ خبر عن ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا** ﴾ ، والمبتدأ وخبره جملة واحدة .

ثم يوصل قوله : ﴿ **وَإن اللهَ لَمَعَ المحسِنِينَ** ﴾ تذييل لما أعد لهم من الجزاء والمعية مجاز في العناية والاهتمام بهم ، وجيء بها معطوفة للدلالة على " أن المهم من سوقها هو ما تضمنته من أحوال المؤمنين ، فعطفت على حالتهم الأخرى "[3] .

❑ ❑ ❑

---

(١) ينظر : الألوسي في روح المعاني ، ج٢١ ، ص١٤ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .
(٣) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٧ .

الفصل الخامس

وجوه التناسب في فواصل السورة

الفصل الخامس

وجوه التناسب في فواصل السورة

لم تأت الفاصلة القرآنية لمجرد التكرار ، أو لتلوين الأسلوب ، بل للتناسب مع الغرض المقصود من السورة وآياتها . وبهذا يتسع علم التناسب ليشمل الفاصلة القرآنية ، فنجد تلك الحروف التي تنتهي بها آيات سور القرآن الكريم " متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت ، والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب "[(١)]، فالفاصلة إعجاز ، والقرآن العظيم لا تنقضي عجائبه .

تعريف الفاصلة :

قال الرماني : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني "[(٢)].

وقال أبو بكر الباقلاني : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني "[(٣)].

وقال ابن منظور : " وآخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر ، جل كتاب الله ﷻ ، واحدتها فاصلة "[(٤)].

وقال الزركشي : " هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع "[(٥)].

ومن خلال هذا العرض لتعريف الفاصلة يمكن أن نخرج بتعريف لها فنقول : (هي الكلمة الأخيرة في الآية ، والتي توافق ما سبقها في المعنى ، فتستريح النفوس إليها) ، قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ** ﴾ [(٦)]، أي تفصيل آيته بالفواصل . وقال أيضاً في الأعراف : ﴿ **آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ** ﴾ [(٧)]، أي بين كل آيتين فصل ومهلة .

أثـر الفاصـلة :

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، د.ط ، ص١٥٠ .
(٢) النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للخطابي والرماني والجرجاني ، ص٩٧ .
(٣) الإتقان في علوم القرآن ، ص٦٧٢ .
(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، ج١١ ، ص١٨٩ ، حرف (ف) ، مادة (فصل) .
(٥) البرهان في علوم القرآن ، ج١ ، ص٥٣ .
(٦) سورة الأعراف : الآية (٥٢) .
(٧) سورة الأعراف : الآية (١٣٣) .

" الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام "[1]. وفي الكلام المنثور كثيراً ما يجعل الأديب المعنى تابعاً للسجع في نصه مراعاةً للتناسب بين مقاطع ما كتب ، لكن القرآن يترفع عن ذلك ، فالفواصل فيه تابعة للمعاني ، ومناسبة للسياق الذي جاءت فيه ، " فإذا كان للمعنى الواحد أكثر من لفظ يدلّ عليه فإنه يترجح اللفظ الذي تتم به هذه الرعاية "[2]. وللفاصلة القرآنية مزية هامة في ارتباطها بما قبلها ؛ لأنه تمهيد لها ، فلو حذفت لاختلّ المعنى ، وكذلك علاقتها في السياق بما بعدها ، بل وبمقطعها الذي جاءت فيه .

لهذا نجد أنّ لتناسب الفواصل أثره العميق المعتبر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً[3]. ولا يقف أثر الفاصلة عند التأثير في النفس ، بل إنها تساعد على اختزال الكلام في الذاكرة ، وسهولة استرجاعه وترداده ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾[4]، أي أنه يسهل حفظه لمن أراد ذلك[5].

ويقول ابن عاشور في علاقة الفاصلة بالإعجاز : " واعلم أنّ هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز ؛ لأنها ترجع إلى محسنات الكلام ، وهي من جانب فصاحة الكلام . فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسماع فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل ، كما تتأثر بالقوافي في الشعر ، وبالأسجاع في الكلام المسجوع ، فإن قوله تعالى : ﴿ **إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۞ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۞ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ ...** ﴾[6]، فقوله : ﴿ **فِي الْحَمِيمِ** ﴾ متصل بقوله : ﴿ **يُسْحَبُونَ** ﴾ ، وقوله : ﴿ **مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ متصل بقوله : ﴿ **تُشْرِكُونَ** ﴾ ، وينبغي الوقف عند نهاية كل آية منها "[7].

---

(1) المرجع السابق .

(2) دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، عبد الجواد محمد طبق ، الناشر : دار الأرقم ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ص١٤ .

(3) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ج١ ، ص٦٠ .

(4) سورة القمر : الآية (١٧) .

(5) ينظر : دراسة بلاغية ، عبد الجواد محمد طبق ، ص١٢ .

(6) سورة غافر : الآيات (٧١-٧٣) .

(7) التحرير والتنوير ، م١ ، ج١ ، ص٧٦ ، المقدمة الثامنة .

وستكون دراستنا للفاصلة في السورة على النحو التالي :

أ / تناسب الفاصلة مع مضمون السورة .

ب/ تناسب الفاصلة مع المعنى العام للمقطع الذي هي فيه .

جـ / تناسب الفاصلة مع آياتها التي جاءت خاتمة لها .

أ / تناسب الفاصلة مع مضمون السورة :

إن أكثر فواصل آيات القرآن تكون بالميم والنون المسبوقة بحروف المد ، وحكمته " وجود التمكين من التطريب بذلك "[(١)]، ومن حيث التناسب الصوتي فإن فاصلة آخر سورة العنكبوت : ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ قد جاءت منتهية بحرفَي : (الياء والنون) ؛ ليتناسب هذا الإيقاع الصوتي مع ما تدعو إليه السورة من ثبات المؤمنين على ما دعوا إليه من قوة دائمة لا تنتهي ، وهذا من حيث التوافق في الأداء الصوتي .

أما من حيث المعنى فإن ختم السورة بتأكيد معية الله تعالى للمحسنين فيه حث المؤمن على بذل الجهد في الطاعة ، وتجاوز دائرة الفريضة باستيفاء السنن والحرص عليها ، مع الشعور الدائم بمراقبة الله لهم . وبهذا الإحسان تدوم معية الله تأييداً ورعاية ونصراً ، وعوناً على الاستقامة على الصراط المستقيم بكل تكاليفه ، بما فيه من الجهاد بكلّ أنواعه[(٢)]، " وإنما جيء بها معطوفة للدلالة على أن المهم من سوقها هو ما تضمنته من أحوال المؤمنين ، فعطفت على حالتهم الأخرى "[(٣)]، فـ ﴿ **الْمُحْسِنِينَ** ﴾ لفظ عام عرف بـ(أل) ، فأفاد مطلق من جاء بالأفعال الحسنة ، ومنهم المحسنون من الأنبياء والصالحين ، وتحملهم لما وجدوه من أقوامهم الكافرة ؛ فكان نتيجة حسن صبرهم أن نصرهم الله بهلاك القوم المكذبين . كذلك من المحسنين المؤمنين الذين أحسنوا في ثباتهم ، وصدقوا في جهادهم للفتن والابتلاءات على اختلافها وتنوعها .

ولما كانت فاصلة آخر السورة جمع مذكر سالم (المحسنين) ، ناسب مجيء فواصل السورة متماثلة بالمد والنون ، ومتقاربة في بعض فواصل الآيات المختومة (بالراء ، أو الميم) ، فدلالة هذا النوع من الوقف - المختوم بالمد والنون - " معبر عن غاية القرآن في مخاطبة الجموع من مؤمنين ومشركين ومنافقين ، وهم مجموع البشر "[(٤)]. وسورة العنكبوت تحدثت عن تلك الفئات الثلاث ضمن قضية الابتلاء والافتتان .

---

(١) الزركشي في البرهان ، ج١ ، ص ٦٨ ، وذكره السيوطي ، ص٦٨٨ .

(٢) ينظر كتاب الفاصلة في القرآن ، للدكتور : محمد الحسناوي ، الناشر : دار عمار ، ط٢ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م . تحدث عن علاقة الفاصلة بالسورة ، وذكر في ذلك أربعة أنواع ، وهي :

١- تعلق فاصلة السورة بمضمون السورة . ٢- تعلق الفاصلة الأخيرة من السورة بفواتحها .

٣- تعلق الفاصلة موسيقياً بجو السورة . ٤- تعلق الفواصل موسيقياً بمجموع القرآن .

وآثرت ما هو أنسب لدراستي ، وهو النوع الأول " تعلق فاصلة آخر السورة بمضمون السورة أو بالغرض العام " ، ص٢٩٣ .

(٣) ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٧ .

(٤) الفاصلة ، للحسناوي ، ص١٩٤ .

ب/ تناسب الفاصلة مع المعنى العام للمقطع الذي هي فيه :

سبق في هذا البحث تقسيم أغراض السورة الكلية إلى ثلاثة أغراض ، وعلى هذا الأساس سنقوم بدراسة العلاقة التناسبية بين كل غرض وما احتواه من فواصل الآيات ، وبيان علاقة الفاصلة فيها بآيتها .

الغرض الأول : الابتلاء سنة قائمة منذ الأزل :

وتبدأ آياته من قوله تعالى : ﴿ **الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾

إلى قوله : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾[1] .

وعند النظر إلى هذا الجزء من الآيات نجد أنّ الفاصلة النونية المسبوقة بأحد حروف المد (الواو ، والياء) هي المسيطرة عليها ؛ فكانت فواصلها متماثلةً[2] - متجانسة - ، نحو : (يفتنون ، الكاذبين ، يحكمون ، العالمين ، يعملون ، الصالحين ، المنافقين ، يفترون) .. ما عدا الآية الخامسة فكانت فاصلتها متقاربة[3] (بالميم) مع ما قبلها ، قال تعالى : ﴿ **من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآتٍ وهو السميع العليم** ﴾[4] . وبهذا تكون أغلب فواصل هذا المقطع متماثلة .

تنتظم آيات هذا المقطع في إيقاع متماثل الفواصل ، إلا أنه يفاجئنا التغير في فاصلة قوله تعالى : ﴿ **من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآتٍ وهو السميع العليم** ﴾ ، وكانت هذه المخالفة متناسقة مع ما أخبرت عنه الآية من أمر الموت ولقاء الله .

فحتمية نزول الموت سائرة على كلّ فرد ، ومن ثَم لقاء الله الذي يرجوه كل مؤمن ، ويخافه كل كافر مكذّب ؛ فالله يسمع أقوالهم ، ويعلم أحوالهم وسرائرهم[5] ، فهو يسمع دعاء المؤمن ، ويعلم ما تصبو إليه نفسه ، ويعلم بحقيقة المسيء وباطل حمكه .

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (١-١٣) .

(٢) الفواصل المتماثلة : هي تكرار الفاصلة بنفس الحروف عند نهاية كل مقطع .

(٣) الفواصل المتقاربة : هي ما تشابهت فيها حروف فواصل نهاية كل مقطع .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٥) .

(٥) ينظر : الكشاف ، ج٣ ، ص٤٤٥ ، والرازي ، ج٢٥ ، ص٢٨ .

علاقة الفاصلة بآيتها في آيات هذا المقطع :

تبدأ الآيات بقول المولى : ﴿ الٓمٓ ۞ **أَحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ۞ أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون ۞ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ۞ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ۞ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون** ۞ ﴾[1] .

ففي قول المولى سبحانه وتعالى : ﴿ الٓمٓ ۞ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ انتهت الآية بقوله : ﴿ **لا يفتنون** ﴾ ، وهي جزء من جملة حالية[2]، وعلاقة الفاصلة بالسياق (التمكين)[3]، حيث لا يتم المعنى إلا بها ، فلو حذفت الفاصلة وقيل : ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا** ﴾ لم يفهم المراد من الآية ، ولكن تم المعنى حينما قال : ﴿ **وهم لا يفتنون** ﴾ .

واختيرت الفاصلة ﴿ **يفتنون** ﴾ دون غيرها ، نحو : (يمتحنون ، أو يبتلون) ؛ وذلك لمناسبة شديدة بين عمق معنى الفتنة وسياق الآية ، فالفتنة تقوم على بيان القلوب الخالصة من غيرها ، " كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به ، وهذا هو أصل الكلمة اللغوي ، وله دلالته وظلّه وإيحاؤه "[4].

ثم يقول العليم سبحانه وتعالى : ﴿ **ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ ، لقد ورد القسم الثاني من الآية غير مطابق للأول ، فلم يقل سبحانه في فاصلة

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (١-٧) .

(٢) ينظر : أبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٣٥ ، وابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٣ .

(٣) التمكين : هو أن تمهد قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله ؛ بحيث لو طرحت اختلّ المعنى واضطرب الفهم . ينظر : الزركشي ، ج١ ، ص٧٩ .

(٤) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٢٠ .

الآية : (الذين كذبوا) ، نحو : ﴿ **الذينَ صَدَقُوا** ﴾ [1]؛ أولاً : مراعاةً للفاصلة النونية في الآيات ، ثانياً : التعبير بصيغة الماضي في الصادقين ، وبصيغة اسم الفاعل مع الكاذبين ؛ لأنه يفهم من اسم الفاعل الرسوخ في الفعل ، ولا يعطي الفعل الماضي هذا المعنى[2] .

وقال البقاعي : " والآية من الاحتباك ، دل بالذين صدقوا على الذين كذبوا ، وبالكاذبين على الصادقين ؛ ذكر الفعل أولاً دليلاً على تقدير ضده ثانياً ، والاسم ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً "[3] .

إذاً عبر عن الصادق بالماضي المعرف بالصلة ، وأسنده إلى الله تشريفاً لهم ، ولإفادة اشتهارهم بصدق الإيمان وتحققه . أما الكاذبين فعرفهم بـ (أل) وصيغة اسم الفاعل ؛ لأنهم " عهدوا بهذا الوصف ، وتميزوا به مع ما في ذلك من التفنن ، والرعاية على الفاصلة "[4] .

وواضح أن علاقة الفاصلة بالآية (التوشيح)[5]؛ لأن أول الكلام ﴿ **فَلَيَعلَمَن اللهُ الذينَ صَدَقُوا** ﴾ يدلّ على آخره : ﴿ **وَلَيَعلَمَن الكَاذِبِينَ** ﴾ .

ولا يظن أهل السيئات أنهم سيفرون من عقاب الله . قال القادر القوي في حالهم : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئات أن يَسبِقُونَا سَاء مَا يَحكُمُونَ** ﴾ ، عبر بالمضارع ﴿ **يَحكُمُونَ** ﴾ " إشعاراً بأن حكمهم مذموم حالاً واستقبالاً ، وقيل : لأجل الفاصلة وقع المضارع موقع الماضي اتساعاً "[6] .

فعلاقة الفاصلة ﴿ **سَاء مَا يَحكُمُونَ** ﴾ بالآية (التوشيح) ، حيث إنها مقررة لمعنى الإنكار في الآية[7] ، فإن ظنهم الإفلات من عذاب الله حكم باطل ساقط .

فقد دلّ أول الآية على أنهم نصبوا أنفسهم منصب الذي يحكم ليقطع ، وهذا ما نفته الفاصلة

---

(١) ينظر : السيوطي في الإتقان ، ص٦٧٨ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٢٧ .

(٣) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٣٦ .

(٤) ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٦ .

(٥) ** معنى التوشيح : هو " أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تعرف منها قبل قراءتها " . والفرق بينها وبين التصدير : أن التوشيح دلالته معنوية ، أما التصدير فدلالته لفظية . ينظر : عبد الفتاح لاشين ، من أسرار التعبير في القرآن الفاصلة القرآنية ، الناشر : دار المريخ ، الطبعة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الرياض ، ص٤١ .

(٦) أبو حيان ، ج٧ ، ص١٣٧ .

(٧) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٧ .

عنهم .

ثم قال سبحانه : ﴿ **مَن كَانَ يَرجو لقَاء اللهِ فَإن أجَلَ اللهِ لآتٍ وَهوَ السميع العَليم** ﴾ ، وعلاقة الفاصلة : ﴿ **السميع العَليم** ﴾ بسياق الآية (الإيغال)[1]؛ لأنها أفادت معنى جديداً بعد تمام معنى ما قبلها .

" وقع التذييل بوصفي (السميع العليم) دون غيرهما من الصفات العلى للإيماء بوصف (السميع) إلى أنّ الله تعالى سمع مقالة بعضهم من الدعاء بتعجيل النصر ... والإيماء بوصف (العليم) إلى أنّ الله علم ما في نفوسهم من استعجال النصر "[2].

وبعلاقة (التوشيح) نكشف عن علاقة الفاصلة : ﴿ **إن اللهَ لَغَنِي عَن العَالَمينَ** ﴾ بأول الآية في قول الغني المجيد : ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإنمَا يجَاهد لنَفْسِه إن اللهَ لَغَنِي عَن العَالَمينَ** ﴾ .

لما كان كل ما يفعله المرء من مجاهدة النفس وردعها عن الشهوات ، واتباعه للأوامر والنواهي ؛ إنما تكون لفائدة تعود عليه ، دلّ على أنّ الله غني عن العالمين[3] ، فغناه غنى مطلق عن الجميع ، فهو رب كلّ شيء ومليكه . وبهذا كان أول الآية مناسباً لفاصلتها ، ولا يمكن وضع غيرها .

ولما كانت الآية السابعة تتحدث عن المؤمنين العاملين للصالحات ، ناسب مجيء فاصلتها بقوله : ﴿ **يَعمَلُونَ** ﴾ ، وهذا يسمى (التصدير)[4]. قال التواب الرؤوف في هذه الآية : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات لَنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم وَلَنجزَينهم أحسَنَ الذي كَانوا يَعمَلُونَ** ﴾ .

إنّ ما قدمه المؤمن من مجاهدة النفس ، وصدق الإيمان استحق عليه تكفير ما كان من السيئات ومجازاته بأحسن ما عمل ؛ فناسب ختم الآية بـ ﴿ **يَعمَلُونَ** ﴾ إشارةً إلى حسن أعمالهم التي غلبت سيئاتهم . وقد جاء لفظ العمل في أثناء الآية في قوله : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات** ﴾ .

---

(١) الإيغال هو : تجاوز المتكلم المعنى الذي هو أخذ فيه ؛ وبلغ إلى زيادة على الحد . ينظر : الفاصلة في القرآن ، لمحمد الحسناوي ، ص٢٩١ .

(٢) ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٩ ، بتصرف .

(٣) ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٣٨ ، تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥١ .

(٤) التصدير هو : أن تكون لفظة الفاصلة تقدمت بعينها في أول الآية ، وقد توافق الفاصلة لفظة في أثناء الآية ، أو في آخرها . ينظـر : فواصل الآيات القرآنية ، د. كمال الدين عبد الغني المرسي ، الناشر : المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص١٤١ ، وعبد الفتاح لاشين ، ص٤٠ .

وفي وصية الرحمن الرحيم بالوالدين إحساناً قال : ﴿ **وَوَصيَنا الإِنسَانَ بِوَالدَيه حسناً وَإن جَاهَدَاكَ لتشركَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلا تطعهمَا إِلَي مَرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تعمَلُونَ ۞ وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات لَندخلَنهم في الصالحينَ** ﴾[1] .

ففي الآية الأولى علاقة الفاصلة (التوشيح) ، حيث أشار قوله : ﴿ **وَوَصيَنا الإِنسَانَ بِوَالدَيه حسناً وَإن جَاهَدَاكَ لتشركَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلا تطعهمَا إِلَي مَرجِعكُم** ﴾ أنّ الثابت والمتردد مرجعه إلى الله ، فعرف أن الفاصلة قوله تعالى : ﴿ **فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تعمَلُونَ** ﴾ تهديد بما سيكون بعد الرجوع إلى الله ، بدليل أنه لم يذكر اسمه ﷻ حتى لا يظن العفو ، فهو حاضر يعلم ما يفعلون ، ولا ينسى ، فسينبئهم بما كانوا يعملون[2] .

وتأتي علاقة (التصدير) في فاصلة الآية الثانية عند قوله تعالى : ﴿ **لَندخلَنهم في الصالحينَ** ﴾ ؛ لأنه سبقها لفظ الصلاح في قوله : ﴿ **وَعَملُوا الصالحَات** ﴾ ، فناسب مجيء فاصلتها (الصالحين) .

ثم يرسم صورةً لنموذج من النفوس في استقبال فتنة الإيذاء ، صورة بارزة السمات ، فقال القهار العليم : ﴿ **وَمنَ الناس مَن يَقُولُ آمَنا بِاللهِ فَإِذَا أُوذيَ في اللهِ جَعَلَ فتنَةَ الناس كَعَذَابِ اللهِ وَلَئن جَاء نَصر من ربكَ لَيَقُولُن إِنا كُنا مَعَكُم أَوَلَيسَ اللهُ بِأَعلَمَ بِمَا في صدور العَالَمينَ ۞ وَلَيَعلَمَن اللهُ الذينَ آمَنوا وَلَيَعلَمَن المُنَافقينَ** ﴾[3].

وناسبت فاصلة الآية الأولى الربط بينهما بعلاقة (التوشيح) ، حيث إن ما جاء في أثناء الآية ينبئ عن فاصلتها : ﴿ **أَوَلَيسَ اللهُ بِأَعلَمَ بِمَا في صدور العَالَمينَ** ﴾ .

ولما كان الله أعلم ﴿ **بِمَا في صدور العَالَمينَ** ﴾ ، ناسب مجيء قول الحق سبحانه : ﴿ **وَلَيَعلَمَن اللهُ الذينَ آمَنوا وَلَيَعلَمَن المُنَافقينَ** ﴾ ، فعلمه شامل لقلب المؤمن والمنافق . ونقول في هذه الفاصلة ما قلناه في

---

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٨-٩) .
(٢) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٣٣ ، والبقاعي ، ج٥ ، ص٥٣٩ .
(٣) سورة العنكبوت : الآيتان (١٠-١١) .

مثيلتها في الآية الثالثة : ﴿ **فَلَيعلَمَن اللهُ الذينَ صَدَقُوا وَلَيعلَمَن الكَاذِبِينَ** ﴾[1]، أن علاقتها بما قبلها (التوشيح) فلما قال : ﴿ **وَلَيعلَمَن اللهُ الذينَ آمَنوا** ﴾ علم أن فاصلتها ﴿ **وَلَيعلَمَن المُنافقينَ** ﴾ .

ولما ظن الكافرون أنهم يستطيعون تغرير المؤمنين ، وذلك بحمل خطاياهم ، فضح الله كذبهم ، قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الذينَ كَفَروا للذينَ آمَنوا اتبِعوا سَبِيلَنا وَلْنحملْ خَطَاياكُم وَمَا هم بِحَاملينَ من خَطَايَاهم من شَيءٍ إنهم لكَاذبونَ ۞ وَلَيحملُن أثْقَالَهم وَأثْقَالاً معَ أثْقَالهم وَلَيسألُن يَومَ القِيَامَة عَما كَانوا يَفْتَرونَ** ﴾[2].

وبعلاقة (الإيغال) ترتبط فاصلة الآية الثانية عشر بما قبلها ، فمن قوله سبحانه : ﴿ **وَمَا هم بِحَاملينَ من خَطَايَاهم من شَيءٍ** ﴾ فُهِم أنهم كاذبون ؛ فجاءت الفاصلة ﴿ **إنهم لكَاذبونَ** ﴾ بدل اشتمال من الجملة السابقة زيادةً في تأكيد كذبهم في ادعائهم حمل أوزار غيرهم[3]، ثم تأتي فاصلة الآية التي بعدها بعلاقة (الإيغال) ، فلما أخبرت الفاصلة السابقة عن كذبهم جاءت هذه لتخبر أنهم سيسألون عما افتروه من الإفك والتكذيب .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٣) .

(٢) سورة العنكبوت : الآيتان (١٢-١٣) .

(٣) ينظر : ابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢١٩ .

<u>الغرض الثاني</u> : عرض نماذج من ابتلاءات الأنبياء :

وهذا الغرض يبدأ من قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَد أرسَلْنا نوحاً إلى قَومه فَلَبِثَ فيهم ألفَ سَنَةٍ إلا خَمسِينَ عَاماً فَأَخَذَهم الطوفَانُ وَهم ظَالمونَ** ﴾ ، إلى قول المولى ﷻ : ﴿ **اتلُ مَا أوحيَ إليكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأقم الصلاةَ إن الصلاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحشَاء وَالْمنكر وَلذكْر اللِهِ أكْبَر وَاللهُ يَعلم مَا تَصنَعونَ** ﴾ [1] .

وتستمر فواصل آيات سورة العنكبوت منتهيةً بحرف المد والنون ، إلا ثلاث آيات انتهت فاصلتها بحرف الراء ، وثلاث آيات أخرى انتهت فاصلتها بالميم ، وبهذا يغلب التماثل على فواصل هذا المقطع .

ولما كانت سنة الله في الابتلاء لا تقتصر على جيلٍ دون جيل ، بل هي سائرة على كلّ العالمين ، جاءت الآيات على ذكر نماذج من قصص الأنبياء ، وحسن تقبلهم للبلاء من أقوامهم المكذبة والمعادية لهم .

ناسب تنوع هذا الغرض في عرضه لابتلاءات الأنبياء تنوع الفاصلة فيه بين النون ، والراء ، والميم ؛ فكل جاء مناسباً لسياقه في هذا الغرض .

فكانت فواصله المتماثلة نحو : (ظالمون ، العالمين ، تعلمون ، ترجعون ، المبين) ، إلى أن يأتي مقطع من الفواصل المنتهية بالراء والميم ، وهما متقاربان مع حرف النون صوتاً ومعنى ، فإنّ قول الخالق :

﴿ **أولَم يَرَوا كَيفَ يبدئ اللهُ الْخَلْقَ ثُم يعيده إن ذَلكَ عَلَى اللِهِ يَسِير ۞ قُلْ سيروا في الأرضِ فَانظُروا كَيفَ بَدَأ الْخَلْقَ ثُم اللهُ ينشئُ النشأةَ الآخرَةَ إن اللهَ عَلَى كُل شَيءٍ قَدير ۞ يعَذب مَن يَشَاءُ وَيرحَم مَن يَشَاءُ وَإليه تقْلبون ۞ وَمَا أنتم بِمعجِزينَ في الأرضِ وَلا في السمَاء وَمَا لَكُم من دون اللِهِ من وَلي وَلا نَصيرٍ ۞ وَالذينَ كَفَروا بِآيَات اللِهِ وَلقَائه أولَئكَ يَئسوا من رحمَتي وَأولَئكَ لَهم عَذَاب أليم** ﴾ [2] .

فواضح في هذه المخالفة من حيث الإيقاع ما تحدثه من جمال من إحساس الدهشة والتنوع ، كما أنّ ذلك مظهر له دلالته الفنية من حيث إن تلوين الصوت - بوصفه تغيراً - هو واحد من قوانين علم الجمال حين تتوفر دواعيه ونتائجه المقصودة [3] .

وتأتي هذه الآيات ذات الفواصل المتقاربة كوقفة في ثنايا قصة إبراهيم عليه السلام ، يخاطب بها كلّ منكر لدعوة الإيمان ، ومكذّب بالبعث والحساب ، " فيردهم القرآن الكريم إلى تلك الروعة الغامرة ، وإلى تلك

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (١٤-٤٥) .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (١٩-٢٣) .

(٣) ينظر : محمد الحسناوي في الفاصلة القرآنية ، ص٢٢٢ .

الآيات الباهرة بتوجيهه الموحي ، المحيي للمشاهد والظواهر في القلوب والضمائر ، ويثير تطلعهم وانتباههم إلى أسرارها وآثارها ، ويجعل منها دلائله وبراهينه التي تراها الأبصار وتتأثر بها المشاعر "[1]. أما إذا غطى الكفر أبصار وبصائر أصحابه ﴿ **أولئكَ يَئسوا من رحمَتي وَأولئكَ لَهم عَذَاب أليم** ﴾ .

ولما كان هذا الغرض يحكي عن ابتلاءات الأنبياء ، ومواقف أقوامهم المعادية لهم ، ناسب مجيء الفواصل السابقة ، فمهما بلغت قوة هؤلاء الأقوام ، فإن هلاكهم (أيسر) ما يكون على الله ؛ لأن ﴿ **اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾ ، وما لهؤلاء الأقوام المكذبة من ﴿ **وَلي وَلا نَصيرٍ** ﴾ يدفع عنهم (العذاب الأليم) .

وعلى سبيل المثال في التنوع الصوتي من حيث المعنى في هذا المقطع قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَم يَرَوا كَيفَ يبدئ اللهُ الخَلقَ ثُم يعيده إن ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِير** ﴾ ، ذلك أن إبراهيم عليه السلام في دعوته قومه إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة بين لهم الأسباب التي تستوجب هذا التوحيد وتلك العبادة من حيث كونه سبحانه المتفضل بالرزق ، بينما معبوداتهم من دون الله لا تملك شيئاً من هذا الرزق ولا من أسبابه ، ثم لفت نظرهم إلى تلك القضية الكبرى خلق كل هذا الكون ابتداء من انعدام ، ثم إعادته مرة أخرى بعد إفنائه ، هذا مع توالي عمليات الخلق والإفناء ثم الإحياء المنتشرة في مخلوقات هذا الكون في كل لحظة . ولما كان الأمر كذلك نبههم إلى يسر الخلق والإحياء عليه - سبحانه - ، وكأنّ هذه الفاصلة بما فيها من هذه الحروف (يسير) إشارة إلى سريان وانتشار عمليات الخلق ، ثم العدم ، ثم الإحياء في هذا الكون الذي يشهد كل لحظة بقدرة خالقه .

وللرازي لفتة عميقة في وصف العلاقة بين الفاصلتين : ﴿ **إن اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾ و ﴿ **إن ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِير** ﴾ ، فيقول : " قال في هذه الآية : ﴿ **إن اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾ ، وقال في الآية الأولى : ﴿ **إن ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِير** ﴾ ، وفيه فائدتان ؛ إحداهما : أنّ الدليل الأول هو الدليل النفسي ، وإن كان موجبه العلم الحدسي التام ، ولكن عند انضمام دليل الآفاق إليه يحصل العلم العام ؛ لأنه بالنظر في نفسه علم نفسه ، وحاجته إلى الله ، ووجوده منه ، وبالنظر إلى الآفاق علم حاجة غيره إليه ، ووجوده منه ، فتم علمه بأنّ كل شيء من الله . فقال : " عند تمام الدليلين ﴿ **إن اللهَ عَلى**

---

(1) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٢٩ .

كُل شَيءٍ قَدير ﴾ ، وقال عند الدليل الواحد : ﴿ **إن ذَلكَ** ﴾ ، وهو إعادته ﴿ **عَلى اللهِ يَسِير** ﴾ ، الثانية : ... إن لم يحصل لكم العلم التام بأنّ هذه الأمور عند الله سهل يسير ، فسيروا في الأرض لتعلموا أنه مقدور ، ونفس كونه مقدوراً كاف في إمكان الإعادة "[1].

ثم نسير مع الفواصل المتماثلة في آيات الغرض الثاني حتى نصل إلى قول المولى : ﴿ **فَآمَنَ لَه لُوطٌ وَقَالَ إني مهَاجِر إلَى رَبي إنه هوَ الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ [2]، وقوله : ﴿ **إن اللهَ يَعلم مَا يَدعونَ من دونِه من شَيءٍ وَهوَ الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ [3]، فكانت فاصلة الآيتين ﴿ **الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ منتهية (بالميم) على خلاف ما كان قبلها وبعدها ؛ وذلك لمناسبة الفاصلة الميمية لسياق الآية التي جاءت فيها ؛ لأن حرفَي الميم والنون متقاربان صفةً ونطقاً .

وإيقاع الفاصلة ﴿ **الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ " تدلّ بوضعها اللغوي على الشدة والقوة "[4]، وهذا يتناسب مع سياق آيات المقطع ، والذي يتحدث عن ابتلاءات الأنبياء وهلاك الأقوام المكذبة المتخذة من دون الله أولياء .

وجاء سياق الآية ضمن قصة إبراهيم ﷺ ، ففراق الأرض والعشيرة أمر صعب ، إلا أنه يهون حينما يكون تركها للهجرة إلى الله ؛ لأنه هو وحده الجدير " بإعزاز من انقطع إليه ، الحكيم ، فهو إذا أعز أحداً منعته حكمته من التعرض له بإذلال ، بفعل أو مقال ، كما فعل بي حين أراد إذلالي من كان جديراً بإعزازي من عشيرتي وأهل قربي "[5].

ووجه آخر في مجيء ﴿ **الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ بأنه تعليل لمضمون ﴿ **إني مهَاجِر إلَى رَبي** ﴾ ؛ لأنه هو العزيز الذي يعتز به جاره ، وهو عزيز عزة محكمة واقعة موقعها من مثل نصرته للمظلوم ، كما أن في (الحكيم) زيادة تأكيد لمعنى (العزيز)[6].

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٤٣ ، بتصرف .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٢٦) .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤٢) .
(٤) عبد الفتاح لاشين في الفاصلة القرآنية ، ص١٥٦ .
(٥) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٥٢ .
(٦) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٨ .

إذاً اختلفت الفاصلة ﴿ **العَزِيزُ الحَكِيم** ﴾ لتناسب شديد الارتباط بين سياق الآية وفاصلتها ، فلما تخلى قوم إبراهيم عنه لم يضق صدره ؛ لأن له رباً عزيزاً ، لا يخيب ولا يذلّ من جاوره ، يقتضي بحكمته نصحي وإرشادي إلى حيث تكون نجاتي وعزتي ، فكان التلاؤم بين الفواصل المتماثلة والمتقاربة .

أما قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ ، فلما عرض هذا المقطع نماذج من ابتلاءات الأنبياء ، جاء على توضيح حال أقوامهم في اتخاذها أولياء من دون الله بالعنكبوت في اتخاذها من بيتها الواهن مسكناً تلجأ إليه ، فلا يعلم حقيقة هذه الأصنام إلاّ هو سبحانه ، وهو أعلم بحال عابديها ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ ، " فإن من فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئاً بمن هذا شأنه ، وأنّ الجماد بالإضافة إلى القاهر على كلّ شيء ، البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم ، وأن من هذا وصفه قادر على مجازاتهم "(١). فناسب بذلك مجيء الفاصلة (العليم) متناسقة مع فواصل المقطع .

(١) البيضاوي ، ج٤ ، ص٣١٧ .

علاقة الفاصلة بآيتها في آيات هذا المقطع :

نوح عليه السلام هو أول نموذج بدأت به الآيات في سورة العنكبوت ، قال مالك الملك : ﴿ **وَلَقَد أَرسَلنَا نوحاً إِلَى قَومِه فَلَبِثَ فِيهِم أَلفَ سَنَةٍ إِلا خَمسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُم الطُوفَانُ وَهُم ظَالِمونَ ۞ فَأَنجَينَاه وَأَصحَابَ السفِينَة وَجَعَلنَاهَا آيَةً لِلعَالَمينَ** ﴾[1] .

اختيرت الفاصلة في الآية الأولى : ﴿ **وَهُم ظَالِمونَ** ﴾ للطيفة ذكرها الرازي : " فقوله : ﴿ **وَهُم ظَالِمونَ** ﴾ يعني أهلكهم وهم على ظلمهم ، ولو كانوا تركوه لَما أهلكهم "[2]، فلو انتهت الآية عند قوله : ﴿ **فَأَخَذَهُم الطُوفَانُ** ﴾ لظن البعض أنّ الطوفان قد أهلك قوم نوح كلّهم ، إلا أنّ فاصلة الآية ﴿ **وَهُم ظَالِمونَ** ﴾ أوضحت أنّ الطوفان لم يبتلع إلا من استحق العذاب باستمراره في الظلم ، وهذا ما يسمى بـ (التمكين) ؛ لأنّ المعنى لا يتم بدون الفاصلة .

ومراعاةً للفاصلة في الآية الثانية ذكر بالجمع (العالمين) ، بينما كانت لفظة (آية) قبلها مفردة ، وذلك مناسبة لرؤوس الآيات[3] .

ويقول أبو حيان في ذلك : " أفرد آية ، وجاء بالفاصلة ﴿ **لِلعَالَمينَ** ﴾ ؛ لأن إنجاء السفن أمر معهود ، فالآية إنجاؤه تعالى أصحاب السفينة وقت الحاجة ؛ لأنها بقيت أعواماً حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل لهم العلم بها ، فناسب ذلك قوله للعالمين "[4] .

وعلاقة الفاصلة بما قبلها (الإيغال) ؛ لأن فاصلة الآية تدلّ على أنّ حادثة السفينة كانت عبرةً لهم ؛ لاشتهارها فيما بينهم ، وتناقل الخبر عنها وتواتر[5] .

وعلاقة هذه الفاصلة بما قبلها : أنّ أخذ الظالمين ، ونجاة المحسنين عبرة للعالمين . فناسب مجيئها بالنون المسبوقة بحرف المد .

ثم يأتي الحديث عن إبراهيم عليه السلام وما كان من أمر قومه ، قال في شأنه سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (١٤-١٥) .

(٢) التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٣٨ .

(٣) ينظر : الزركشي في البرهان في علوم القرآن ، ج١ ، ص٦٣ ، لقد ذكر أن من أحوال مراعاة الفاصلة الاستغناء بالجمع عن الإفراد .

(٤) البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤١ .

(٥) ينظر : الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٤٣ ، وابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٣ .

﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [1] .

اشتملت هذه الآيات على دعوة إبراهيم لقومه وترغيبه لهم بنفي الجهل عنهم ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ ، وترهيبهم بأنهم إلى الله يرجعون ، فقد ختمت الفواصل بالمد والنون .

أما القول في علاقة فاصلة الآية الأولى (الإيغال) : ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ " أي الخير والشر ، وتميزون أحدهما من الآخر "[2] ، فحذف مفعول العلم لدلالة ما قبله عليه[3] ، ولرعاية الفاصلة .

أما الآية الثانية فكانت فاصلتها ﴿ **إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ تعليلاً لما جاء في الآية من الأمر بعبادة الله وشكره[4] ، فناسب أن تكون علاقتها (التمكين) . وكذلك الآية التي بعدها كانت العلاقة بين الفاصلة ﴿ **إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ وآيتها (التمكين) .

وفي إثبات وحدانية الله بالدلائل الكونية يقول الواحد الأحد : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۞ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [5] .

فقول المبدئ المعيد : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ ،

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (١٦-١٨) .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٤ .

(٣) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٤ . والتقدير كما ذكره : إن كنتم تعلمون اختصاص الله بالإلهية . وينظر : السيوطي في الإتقان ، ص٦٧٩ ، فقد ذكر في أحوال مراعاة الفاصلة حذف المفعول .

(٤) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٦ .

(٥) سورة العنكبوت : الآيات (١٩-٢٣) .

ختمت فاصلة الآية بحرف الراء (يسير) ؛ لاقتضاء سياقها ذلك .

فلما كانت الآية تتحدث عن قدرة الله في بدء الخلق وإعادته ، ودعوة المنكرين إلى الرؤية المفضية إلى العلم بقدرة الله الدالة على وحدانيته ، جاءت فاصلة الآية " مبينةً لما تضمنه الاستفهام "[1] في أول الآية ، وبهذا تكون علاقة الفاصلة بالآية (التمكين) .

وإذا كانوا لم يتنبهوا إلى تلك القدرة الإلهية من عند أنفسهم ، فهو يأمرهم بالطريقة التي يستدلون بها على وحدانيته ، فقال مبدع الخلق : ﴿ **قُلْ سيروا في الأرض فانظُروا كيفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُم اللهُ ينشئُ النشأةَ الآخرَةَ إن اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾ .

﴿ **إن اللهَ عَلى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾ توشيح دلّت عليه الآية ، فالبدء والإعادة والنشأة وغيرها كلها لا يقدر عليها إلا الله ، فهو وحده القادر على كل شيء .

وقد ختمت فاصلة هذه الآية بالراء كسابقتها ؛ لأن كلتيهما تتحدثان عن وحدانية الله وقدرته في بدء الخلق وإعادته .

ثم يقول سبحانه : ﴿ **يعَذب مَن يَشَاءُ وَيرحَم مَن يَشَاءُ وَإليه تقْلبونَ** ﴾ ، ولما كانت الفاصلة تابعة للمعنى قدم المجرور (إليه) على عامله (تقلبون) للاهتمام والتأكيد ، وإثبات وقوع البعث وتعريض بالوعيد[2] .

وعلاقة الفاصلة ﴿ **تقْلبونَ** ﴾ بما قبلها (الإيغال) ، فلما " ذكر الله التعذيب والرحمة - وهما قد يكونان عاجلين - ، فقال : فإن تأخر عنكم ذلك فلا تظنوا أنه فات ؛ إليه إيابكم ، وعليه حسابكم "[3] ، كما أنها موطئة لما بعدها ، فالتعبير عن المآب فيه عنف يناسب المعنى بعده : ﴿ **وَمَا أنتم بِمعجِزينَ في الأرض** ﴾[4] .

وقال الولي الناصر : ﴿ **وَمَا أنتم بِمعجِزينَ في الأرض وَلاَ في السمَاء وَمَا لَكُم من دون اللهِ من**

---

(١) ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢٩ .

(٢) ينظر : المرجع السابق . ومن أسباب رعاية الفاصلة تقديم المعمول على عامله . ينظر : السيوطي في الإتقان ، ص٦٧٦ .

(٣) الرازي ، ج٢٥ ، ص٤٤ .

(٤) ينظر : سيد قطب في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٧٣١ .

وَلي وَلا نَصيرٍ ﴾ .

جاءت الفاصلة في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا لَكُم من دون اللهِ من وَلي وَلا نَصيرٍ** ﴾ بتقديم (ولي) على (نصير) ؛ " لأنّ ما من أحد في الشاهد إلا ويكون له شفيع يتكلّم في حقه عند ملك ، ولا يكون كل أحد له ناصر يعادي الملك لأجله "[1]، فتدرج في ذكر أقواهم فعل الولي الشافع ، ثم النصير المدافع . كما استغنى هنا بالمفرد عن الجمع[2] .

وعلاقة الفاصلة بما قبلها (التمكين) ، فبعد أن آيسهم من الانفلات من قبضته بأنفسهم ، آيسهم من الانفلات منه ولو كان لهم ولي يدافع عنهم ، أو نصير يحاول دفع العذاب عنهم بالقوة[3] .

وبعد أن ذكر إنكار المشركين وكفرهم ، أخبر عما استحقوه مقابل ذلك ، فقال شديد العقاب :

﴿ **وَالذينَ كَفَروا بِآيات اللهِ وَلقائه أُولئكَ يَئسوا من رحمَتي وَأُولئكَ لَهم عَذَاب أَليم** ﴾ .

وصف عذابه للكافرين بأنه (أليم) ؛ لما لهذه الصفة من " الدلالة على فظاعة حالهم ما لا يخفى "[4]، فاليأس من رحمة الله بالنسبة للكافرين يعني حتمية نزول العذاب بهم . وبهذا كان في ذكر اليأس إشارة إلى نزول العذاب ، فتكون العلاقة بينهما (التوشيح) .

ثم يقول القاهر إكمالاً لقصة إبراهيم : ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أَن قَالُوا اقْتُلوه أَو حَرقُوه فَأَنجَاه اللهُ منَ النار إن في ذَلكَ لآياتٍ لقَومٍ يؤمنونَ ۞ وَقَالَ إنمَا اتخَذْتم من دون اللهِ أَوثَاناً مَودةَ بَينكُم في الْحَياة الدنيَا ثُم يَومَ الْقيامَة يَكْفُر بَعضكُم بِبعضٍ وَيَلْعن بَعضكُم بَعضاً وَمأْواكُم النار وَمَا لَكُم من ناصرينَ ۞ فَآمَنَ لَه لُوطٌ وَقَالَ إني مهَاجِر إلَى رَبي إنه هوَ الْعَزيز الْحَكيم ۞ وَوَهَبنَا لَه إسحَاقَ وَيعقُوبَ وَجَعلْنا في ذُريته النبوةَ وَالْكتَابَ وَآتَينَاه أَجرَه في الدنيَا وَإنه في الآخرَة لَمنَ الصالحينَ** ﴾[5] .

فقوله سبحانه في رد قوم إبراهيم ونجاته من النار : ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أَن قَالُوا اقْتُلوه أَو حَرقُوه فَأَنجَاه اللهُ منَ النار إن في ذَلكَ لآياتٍ لقَومٍ يؤمنونَ** ﴾ .

---

(١) الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٤٤ .
(٢) ينظر : السيوطي في الإتقان ، ص٦٧٨ .
(٣) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٣ .
(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٦ .
(٥) سورة العنكبوت : الآيات (٢٤-٢٧) .

قال الرازي في اختصاص نهاية هذه الآية بقوله : ﴿ **لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ أنّ تبريد النار لم يظهر لمن جاء بعد انتهاء الحادثة إلا بطريق الإيمان به والتصديق[1] ، وهذا لا يكون إلا من القوم المؤمنين .

أما الألوسي فإنه يقول : جاء تخصيصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بالفحص عن تلك الآيات والتأمل فيها[2] .

أما ابن عاشور فيقول : إن في مجيء ﴿ **لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ دلالة على أنّ إيمانهم متمكّن منهم ، وتعريضاً بأن تلك الآيات لم يصدق بها قوم إبراهيم ؛ لشدة مكابرتهم وعدم مخالطة الإيمان لعقولهم[3] .

إذن علاقة الفاصلة هنا بآيتها (التمكين) ؛ لأن في إنجاء إبراهيم من النار عبراً تمهد للمؤمنين الاعتبار بهذه المعجزة وتزيدهم إيماناً .

وقال الوالي المتعال إكمالاً لما دار بين إبراهيم وقومه : ﴿ **وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾ .

وتنتهي فاصلة الآية بالجمع ﴿ **وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾ ، بخلاف الإفراد الذي جاء سابقاً في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ . إنهم في هذه الآية حينما " أرادوا إحراق إبراهيم عليه السلام قالوا : نحن ننصر آلهتنا ، كما حكى الله تعالى عنهم : ﴿ **حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾[4] . فقال : أنتم ادعيتم أنّ لهؤلاء ناصرين ، فما لكم ولهم ، أي للأوثان وعبدتها من ناصرين . وأما هناك ما سبق منهم دعوى الناصرين ، فنفى الجنس بقوله : ﴿ **وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ "[5] .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٤٧ . وذكر تأويل آخر يمكن العودة إليه .
(٢) ينظر : روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٥٠ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٥٣ .
(٤) سورة الأنبياء : الآية (٦٨) .
(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٤٨ .

وأما أبو السعود فيقول : لن تجدوا من يخلّصكم من نار الله كما خلّصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها ، " وجمع الناصر لوقوعه في مقابل الجمع ، أي : ما لأحد منكم من ناصر أصلاً "(١) .

أما ابن عاشور فيقول : عبر بالجمع هنا وبالإفراد هناك ؛ " لأنهم لما تألبوا على إبراهيم وتجمعوا لنصرة أصنامهم كان جزاؤهم حرمانهم من النصراء ، مطابقة بين الجزاء والحالة التي جوزوا عليها ، على أن المفرد والجمع في حيز النفي سواء "(٢) .

إذاً حينما قرر قوم إبراهيم عليه السلام إحراقه كانوا يريدون في ذلك نصرة أصنامهم التي هدمها ، ولكنهم خابوا ؛ لأن معه ناصر لا يغلب ، فكان جزاؤهم مقابل جرأة فعلهم أن كان مأواهم النار وما لهم (من ناصرين) ينصرونهم كما ادعوا النصرة لأوثانهم سابقاً . أما في الآية السابقة فلم يسبق لهم ادعاء النصرة ، فنفى جنس النصرة عنهم .

و بـ (التوشيح) ناسب قدوم الفاصلة ، فهي تتمثل في تقطع العلاقات بينهم ، وكفر بعضهم ببعض ، ولعن بعضهم بعضاً ، إشارة إلى انعدام التناصر بينهم ، فختمت الآية بقوله : ﴿ **وَمَا لَكُم من ناصرينَ** ﴾ ، وهي الأنسب ولا غيرها .

ولما كان ما كان من موقف قومه ، اختار عليه السلام الهجرة إلى العزيز الحكيم ، فقال سبحانه : ﴿ **فَآمَنَ له لُوطٌ وَقَالَ إني مهَاجِر إلى رَبي إنه هوَ الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ ، فهاجر إلى حيث أمره الله ابتغاءً لعزته وما اقتضته حكمته سبحانه وتعالى ، فختمت الآية بقوله : ﴿ **الْعَزيز الْحَكيم** ﴾ ، أي : (العزيز) " الذي يمنعني من أعدائي ، (الحكيم) الذي لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي "(٣) .

وبعلاقة (التمكين) جاءت الفاصلة على ما مهدته الآية ، حيث لم تكن هجرته للفكاك من شر قومه وظلمهم ، وإنما هي هجرة لمن لا يذلّ من لجأ إليه ؛ فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة المبتغين لرضاه . فسبحان الله المحكم لفواصل آياته .

ثم يقول سبحانه في جزاء صبر إبراهيم عليه السلام : ﴿ **وَوَهَبنَا له إسحَاقَ وَيعقُوبَ وَجَعَلْنَا في ذُرِيته النبوةَ وَالْكتَابَ وَآتَينَاه أجرَه في الدنيَا وَإنه في الآخرَة لَمنَ الصالحينَ** ﴾ .

---

(١) إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص٢٥٧ .
(٢) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٧ .
(٣) الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٥ .

تختم الآية ﴿ **وَإنه في الآخرَة لَمنَ الصالحينَ** ﴾ ، أي : " لفي عداد الكاملين في الصلاح ، من التعميم بعد التخصيص ، أنه لما عدد ما أنعم به عليه من النعم الدينية والدنيوية ، قال سبحانه : وجمعنا له مع ما ذُكر خير الدارين "[(١)] .

فناسب مجيء الفاصلة (الصالحين) لبيان الأجر المعد له في الآخرة بعد أن ذُكر أجره في الدنيا ؛ ليكون ذكر أجره في الدنيا تمهيداً لذكر أجره في الآخرة ، فتكون علاقة الفاصلة بآيتها (التمكين) ؛ ليكتمل ذكر الأجرين الدنيوي والأخروي المقدر له من الواحد المنعم .

ثم يذكر سبحانه ما كان من أمر لوط وقومه : ﴿ **وَلُوطاً إذْ قَالَ لقَومه إنكُم لَتأتونَ الفَاحشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا من أحَدٍ منَ العَالَمينَ ۞ أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم المنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنتَ منَ الصادقينَ ۞ قَالَ رَب انصرنِي عَلَى القَومِ المفْسِدينَ** ﴾[(٢)] .

ولكمال قبح ما أقبل عليه قوم لوط ، استأنف سبحانه القول في الآية الأولى : ﴿ **مَا سَبَقَكُم بِهَا من أحَدٍ** ﴾ ، وزاد في تأكيد شناعتها أنه لم يقدم عليها أحد ﴿ **منَ العَالَمينَ** ﴾ ؛ لكونها مما تشمئز الطباع منها[(٣)] .

وعلاقة الفاصلة هنا (الإيغال) ، حيث إن المعنى تم وفُهم عند قوله : ﴿ **مَا سَبَقَكُم بِهَا من أحَدٍ** ﴾ ، ولكن زاد في تأكيد تفردهم وابتداعهم لهذه الفعلة الشنيعة ، فقال : ﴿ **منَ العَالَمينَ** ﴾ .

ويستمر قوم لوط في طغيانهم ، فيقول سبحانه حكايةً لاستنكار لوط لجريمتهم : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم المنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنتَ منَ الصادقينَ** ﴾ .

عبر في الفاصلة بالجمع ، فقال : ﴿ **منَ الصادقينَ** ﴾ ، فاستغنى بها عن المفرد ، وقد ذكر

---

(١) الألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٥٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٢٨-٣٠) .

(٣) ينظر : الزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٥ ، وينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٧ .

الزركشي ، وتبعه السيوطي مثل هذا الموضع عند حالات مراعاة الفاصلة[1] ، فلما أنكر لوط عليه السلام قبح أفعالهم ، وشدد في ذلك ، كان إنكاره ملزوماً بالوعيد بأمر ضار ، فكان قولهم : ﴿ **إن كُنتَ منَ الصادقينَ** ﴾ ، أي " في وعيدك وإرسالك إلهاباً وتهييجاً "[2] . وجاءت الفاصلة إيغالاً منهم في الجواب ، فقد علم عنادهم وتماديهم بقولهم ﴿ **ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ** ﴾ ، ثم زادوا : ﴿ **إن كُنتَ منَ الصادقينَ** ﴾ ، إعلاناً لاعتقادهم كذبه .

ولما كان كلّ هذا القبح منهم لم يجد سيدنا لوط حلاً إلا الإعراض عنهم واللجوء إلى ربه لطلب النصرة : ﴿ **قَالَ رَب انصرنِي عَلَى الْقَومِ الْمفْسِدينَ** ﴾ .

وتختم الآية بصفة المفسدين دون غيرها :

أولاً : قال الزمخشري : ليشتد غضب الله عليهم[3] .

ثانياً : حتى ينجز الله وعده ، فإنه لا يحب المفسدين ، وهذا ما يراه الرازي[4] .

ثالثاً : أما أبو السعود فيجد في اختيارها مبالغة في استنزال العذاب بهم[5] ، ثم جمع ابن عاشور بين أقوالهم جميعاً[6] .

إذن ، اختار النظم الرصين لفظ (المفسدين) ؛ لمناسبته مع ما ذكر في الآيتين السابقتين من إتيانهم الذكور ، وقطع السبيل ، فلم يقتصر فسادهم على أنفسهم ، وإلا لناسب القول وصفهم بـ (الفاسدين) ، وإنما تعداه إلى إفساد غيرهم بغصبهم على هذه الفاحشة وتعليمها ، بالإضافة إلى إيذاء المارة ، فناسب وصفهم بالمفسدين .

وحينما قال لوط في دعائه : ﴿ **رَب انصرنِي** ﴾ تم المعنى من دعائه عليهم بالهلاك ، ولكن زاد في ذلك بوصفهم بـ (المفسدين) ، تأكيداً لرغبته في إنزال العذاب بهم واستعجاله لذلك ، وهذا يجعل علاقة الفاصلة بما قبلها (الإيغال) .

---

(١) ينظر : البرهان ، للزركشي ، ج١ ، ص٦٤ ، والسيوطي في الإتقان ، ص٦٧٨ .

(٢) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٥٤ .

(٣) ينظر : الكشاف ، ج٣ ، ص٤٥٦ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٢ .

(٥) ينظر : تفسير إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص٢٥٨ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤١ .

واستجابةً لدعاء لوط عليه السلام تأتي الملائكة إلى أبينا إبراهيم تبشره وتخبره بهلاك القوم الظالمين ، فقال سبحانه : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنا إبرَاهيمَ بِالْبشرَى قَالُوا إنا مهلكُو أهلِ هَذه الْقَرَية إن أهلَهَا كَانوا ظَالمينَ ۞ قَالَ إن فيهَا لُوطاً قَالُوا نَحن أعلَم بِمَن فيهَا لَنُنجيَنه وَأهلَه إلا امرَأَته كَانَت منَ الْغَابِرِينَ ۞ وَلَما أن جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهِم وَضَاقَ بِهِم ذَرعاً وَقَالُوا لا تَخَف وَلا تَحزَنْ إنا مَنجوكَ وَأهلَكَ إلا امرَأَتكَ كَانَت منَ الْغَابِرِينَ ۞ إنا منزِلُونَ عَلَى أهلِ هَذه الْقَرَية رجزاً منَ السمَاءِ بِمَا كَانوا يَفْسقُونَ ۞ وَلَقَد تَركْنَا منهَا آيَةً بَينَةً لقَومٍ يَعقلُونَ** ﴾[1] .

فقوله : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنا إبرَاهيمَ بِالْبشرَى قَالُوا إنا مهلكُو أهلِ هَذه الْقَرَية إن أهلَهَا كَانوا ظَالمينَ** ﴾ .

ختم بـ ﴿ **كَانوا ظَالمينَ** ﴾ تعليلاً " للإهلاك بإصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وأنواع المعاصي "[2] ، فهم عريقون في ظلمهم ، ولا أمل في رجوعهم عنه .

فكان في ذلك تمهيدٌ لذكر سبب هلاكهم ، فكانت علاقة الفاصلة بآياتها (التمكين) .

وقد ختمت الفاصلة هنا بقوله : ﴿ **كَانوا ظَالمينَ** ﴾ ، بينما ختمت الآية التي جاءت في عذاب قوم نوح : ﴿ **وَلَقَد أرسَلْنَا نوحاً إلَى قَومه فَلَبِثَ فيهِم ألْفَ سَنَةٍ إلا خَمسِينَ عَاماً فَأَخَذَهم الطوفَانُ وَهم ظَالمونَ** ﴾ ، فاتفقت الفاصلتان في وصف قوم لوط ونوح بالظلم ، إلا أنه عبر عن قوم نوح بقوله : ﴿ **وَهم ظَالمونَ** ﴾ ، أما قوم لوط فعبر بقوله : ﴿ **إنهم كَانوا ظَالمينَ** ﴾ :

أولاً : كلتا الآيتين تخبر عن استحقاق هلاك القوم باستمرارهم في الظلم .

ثانياً : عبر سبحانه بقوله : ﴿ **وَهم ظَالمونَ** ﴾ ؛ لأن الإخبار فيها كان من الله عما وقع في الماضي .

أما قوله : ﴿ **إنهم كَانوا ظَالمينَ** ﴾ فكان إخباراً من الملائكة عما سيقع في المستقبل ؛ فعلّلوا أمر الله

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (٣١-٣٥) .

(٢) أبو السعود ، ج٤ ، ص٢٥٨ .

لهم بإهلاك قوم لوط بأنهم ﴿ **كانوا ظالمينَ** ﴾ [1]. وبهذا يلتحم نظم آيات السورة بما يتفق مع سياقاتها ومعانيها .

وقال سبحانه حكايةً لما قاله إبراهيم خوفاً وقلقاً لما أخبرته الملائكة بما سيصيب قوم لوط من العذاب :

﴿ **قالَ إن فيهَا لُوطاً قَالُوا نَحن أعلَم بِمَن فيهَا لَنَنجِّينه وَأهلَه إلا امرَأته كَانَت منَ الغَابِرينَ** ﴾ ،

معنى غبر : الغابر : الماكث بعد مضي ما هو معه . وفي الآية قال : ﴿ **إلا امرَأته كَانَت منَ الغَابِرينَ** ﴾ ، أي : فيمن بقي ولم يسر مع لوط ، وقيل : فيمن بقي في العذاب[2].

حينما ختمت الآية السابقة بقوله : ﴿ **إن أهلَهَا كانوا ظالمينَ** ﴾ بعد قول المولى ﴿ **إنا مهلكُو** ﴾ ، فأخبرت عن إهلاكهم وظلمهم بالماضي ، كذلك عبر بالماضي في هذه الآية ؛ لأن المُهلَك يفنى ويمضي زمانه ، وقد يقصد بالغابرين : الباقين في العذاب[3].

﴿ **إلا امرَأته كَانَت منَ الغَابِرينَ** ﴾ كان المتوقع أن يقول : (من الغابرات) ، ولكن عبر بـ (الغابرين) للتغليب[4]، وبهذا يكون لفظ (الغابرين) من الأضداد يطلق على الماضي والباقي . كما أنه لفظ مشترك في التعبير عن الإناث والذكور إذا اجتمع ذكرهما .

والفاصلة جاءت ضمن جملة ﴿ **إلا امرَأته كَانَت منَ الغَابِرينَ** ﴾ ، فمهد الاستثناء ﴿ **إلا امرَأته** ﴾ بعد قوله سبحانه ﴿ **لَنَنجِّينه وَأهلَه** ﴾ ؛ لكون امرأته من الهالكين ، فجاءت الفاصلة مرتبطة بعلاقة (التمكين) ، وبهذا يظهر تمهيد الآية للفاصلة ، حيث علم بها أنّ النجاة ليست عامة لأهل لوط .

وتليها آية يختلف فيها المخاطب وتتفق معها الفاصلة ، وهي ما جاء في قوله سبحانه : ﴿ **وَلَما أن جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهم وَضَاقَ بِهم ذَرعاً وَقَالُوا لا تَخَف وَلا تَحزَنْ إنا مَنجوكَ وَأهلَكَ إلا**

---

(١) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٥٣ .

(٢) ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن ، شهاب الدين محمد بن أحمد المصري ، تحقيق : فتحي أنور ، دار الصحابة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ط١ ، ج١ ، ص٣٥٧ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٥٤ .

(٤) ينظر : مفتاح العلوم ، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي ، تحقيق : نعيم زرزور ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص٢٤٢ ، والبرهان ، للزركشي ، ج٣ ، ص٣٠٢ .

امرَأتكَ كَانَت منَ الغَابِرينَ ﴾[(١)] .

لقد أكدت الآية على ما أخبرت به الآية السابقة من إنجاء لوط وأهله ، وهلاك قومه وامرأته ، وختمت كلتاهما بنفس الفاصلة : ﴿ **كَانَت منَ الغَابِرينَ** ﴾ ، إلا أنها اختلفت في الضمير ؛ ففي الآية الأولى عبر بضمير الغائب ﴿ **امرَأته** ﴾ ؛ لأن الخطاب فيها كان مع سيدنا إبراهيم ؛ فبعد أن بشروه ، أنذروه بهلاك قوم لوط وامرأته ، أما في الثانية فقد كان الخطاب فيها مباشراً مع لوط ، وأخبروه بهلاك قومه ونجاته هو وأهله؛ ﴿ **إلا امرَأتكَ كَانَت منَ الغَابِرينَ** ﴾ ، فناسب بذلك مجيء كلّ ضمير للسياق الذي وضع فيه .

وتكرر في فاصلة الآيتين ﴿ **منَ الغَابِرينَ** ﴾ على الرغم من أنها لم ترتكب تلك الفاحشة التي عذب القوم بسببها ، ولكن لما كان الدالّ على الشيء كفاعله ، وكانت امرأة لوط قد دلّت القوم على ضيوف لوط ، أصابها ما أصاب القوم[(٢)]، وبعلاقة (التمكين) جاء الربط بين الآية وفاصلتها .

ولما كانت الآيات من قوله تعالى : ﴿ **وَلُوطاً إذْ قَالَ لقَومه إنكُم لَتأتونَ الفَاحشَةَ مَا سَبَقكُم بِهَا من أحَدٍ منَ العَالَمينَ ۞ أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في َناديكُم الْمنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنتَ منَ الصادقينَ ۞ قَالَ رَب انصرنِي عَلَى القَومِ المفْسِدينَ ۞ وَلَما جَاءت رسلُنا إبرَاهيمَ بِالْبشرَى قَالُوا إنا مهلكُو أهلِ هَذه القَريَة إن أهلَهَا كَانوا ظَالمينَ ۞ قَالَ إن فيهَا لُوطاً قَالُوا َنحن أعلَم بِمَن فيهَا لَنُنجِيَنه وَأهله إلا امرَأته كَانَت منَ الغَابِرينَ ۞ وَلَما أن جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهِم وَضَاقَ بِهِم ذَرعاً وَقَالُوا لا َتخَف وَلا َتحزَنْ إنا مَنجوكَ وَأهلَكَ إلا امرَأتكَ كَانَت منَ الغَابِرينَ** ﴾[(٣)]، تدرجت في سرد قصة لوط ، ناسب مجيء فواصلها متماثلة ، حيث ختمت بالنون المسبوقة بالياء : (العالمين ، الصادقين ، المفسدين ، ظالمين ، الغابرين) ، ثم جاءت الآيتان بعدها بتمام القصة ، إلا أنهما مختومتان بالنون المسبوقة بالواو : ﴿ **إنا منزلُونَ عَلَى أهلِ هَذه القَريَة رجزاً منَ السمَاءِ بِمَا كَانوا َيفْسقُونَ ۞ وَلَقَد تَركْنَا منهَا آيَةً َبيِّنَةً لقَومٍ َيعقلُونَ** ﴾[(٤)]،

(١) سورة العنكبوت : الآية (٣٣) .
(٢) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٥٥ .
(٣) سورة العنكبوت : الآيات (٢٨-٣٣) .
(٤) سورة العنكبوت : الآيتان (٣٤-٣٥) .

فاختلف الحرف الذي يسبق النون للفت الانتباه إلى ما كان من مصير القوم الكافرين ، وأخذ العظة والعبرة مما حصل لهم .

لقد ختمت فاصلة الآية الأولى بقول المولى ﷻ : ﴿ **بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾ ، تعليلاً بسبب هلاكهم ، وأفاد الفعل المضارع استمرارهم في الفسق حتى استحقّوا العذاب .

وأشار الرازي إلى أنّ النظم الحكيم علّل سبب الهلاك هنا بـ(يفسقون) ، وسابقاً في قوله : ﴿ **إنا مهلكُو أهلِ هَذه القَرَية إن أهلَها كَانوا ظَالمينَ** ﴾ ، بينما لم يعلّل سبب النجاة فقال : ﴿ **لَنَنجّينه** ﴾ ، ﴿ **إنا مَنجوكَ** ﴾ ، إلا أنّ إمامنا فخر الدين لم يذكر سبب ذلك[(١)] ، وأجد أن في تعليل نزول العذاب بالقوم بأن الله لا يعذّب أحداً إلا لكونه مستحقاً لما نزل به ؛ فهو الحكم العدل سبحانه . أما النجاة فهي رحمة من الله باصطفاء المحسنين من العذاب ، وفي هذا وذاك عبرة وعظة بهلاك الطغاة ونجاة المؤمنين ؛ وإن تفاوتت درجاتهم ، وأما العلاقة التي تصل بين الفاصلة وآيتها فهي (التمكين) .

ثم تأتي فاصلة الآية الثانية في قوله : ﴿ **لِقَومٍ يَعقِلُونَ** ﴾ فإنّ في هلاك القوم وما بقي من آثارهم آيات لا يستدلّ إليها ويهتدي بعبرها إلا من أعمل عقله وأجال فكره[(٢)] .

ولقد عبر القرآن في قصة نوح بقوله : ﴿ **فَأَنجَيناه وَأَصحَابَ السفينَة وَجَعَلْنَاهَا آيَةً للْعَالَمينَ** ﴾[(٣)] ، أما هنا فقال : ﴿ **لِقَومٍ يَعقِلُونَ** ﴾ ؛ وذلك لأن السفينة موجودة في أقطار العالم فيعرفها العالمون ؛ فمنهم من ركبها ، ومنهم من رآها ، فيتعظون ويتذكّرون ما كان من أمر قوم نوح . وأما ما نزل بقوم لوط فكان في مكان مخصص ومعين لا يراه إلا من مر عليه أو وصل إليه فيتدبرون ما حصل لهم . كما يتعظ به من سمع بما وقع عليهم فيستبصرون بما نزل بهم[(٤)] .

ونموذج آخر يقفنا عليه القرآن الكريم ، وهو قصة ابتلاء سيدنا شعيب ومصير قومه . قال سبحانه :

---

(١) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٦ .

(٢) ينظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٥٩ ، وابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٦ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (١٥) .

(٤) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٥٦ .

﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾[1]، انتهت فاصلة الآية الأولى بقوله تعالى : ﴿ **مُفْسِدِينَ** ﴾ ، وهي حال مؤكدة لعاملها ؛ لأن العثو هو أشد الفساد ؛ فجاء بالعثو والفساد ، وهما بمعنى واحد ، كأن نقول : اجلس قعوداً[2]، وتتصل الفاصلة بما قبلها بعلاقة (الإيغال) ، حيث أتى نهيه عن الفساد بقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ ، وجاءت الفاصلة ﴿ **مُفْسِدِينَ** ﴾ لتزيد معنى الإفساد المنهي عنه ، وتبالغ فيه من حيث هي حال مؤكدة ، مع ثبوت معنى الفساد من التعبير بالاسم .

إلا أنّ قومه عليه السلام لم ينصتوا إلى ما أمرهم به ونهاهم عنه ، ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾[3]، فلما كذبوا ما جاء به أهلكهم الله بالزلزال الشديد ، ﴿ **فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ ، وهو وصف لحالهم بعد انتهاء العذاب ؛ فقد كانوا باركين على ركبهم ميتين لا حراك لهم[4]. واختير لفظ (جاثمين) دون غيره ؛ لأنه أبلغ في تصوير حالهم الذي كان أشد سكوناً وانقطاعاً عن اضطراب الأعضاء[5]، وبعلاقة (الإيغال) ترتبط الفاصلة بالآية قبلها ، حيث فهم هلاكهم من أخذهم بالرجفة ، وجاءت الجملة المعطوفة مؤكدة لمعنى الهلاك الذي انعدمت معه كل حركة .

ثم أجمل الحديث عن الأقوام الأخرى ؛ فقال سبحانه : ﴿ **وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۞ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۞ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ**

---

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٣٦-٣٧) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٣٧) .

(٤) ينظر : الزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٧ .

(٥) ينظر : ابن عاشور ، م٥ ، ج٨ ، ص٢٢٧ ، سورة الأعراف .

أغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُم وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ ﴾ [1]، وأجمل القول هنا لأنه قد سبق تفصيل أحوال هذه الأقوام مع أنبيائها ، فاكتفى هنا بالإشارة إليهم في سياق الاختبار والابتلاء .

تختتم الآية الأولى من قوله سبحانه : ﴿ **وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ ، أي عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ، ويستطيعون التمييز بين الحق والباطل ، ولكنهم أغفلوا ذلك ولم يفعلوا ؛ إذاً كان ضلالهم نابعاً من أنفسهم[2] .

وقال : ﴿ **مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ دون (مبصرين) ؛ لأن في السين والتاء تأكيداً على أنهم يعلمون أنّ ما جاءهم حق ، ولكنهم كفروا به .

والعلاقة بين الفاصلة ﴿ **مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ وما قبلها (التمكين) ، حيث إن هلاكهم لم يكن إلا بعد إصرارهم على الضلال ، مع علمهم بالحق الذي جاءت به الرسل .

ولم تتوقف الآيات إلى هنا ، بل أشارت إلى قارون ، وفرعون ، وهامان ؛ فقال سبحانه : ﴿ **وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ** ﴾ [3].

ولقد جاء ذكر هؤلاء الثلاثة لأنهم كانوا ذوي مالٍ ، وجاه ، وقوة ، إلا أنّ هذا لم يدفع عنهم غضب المولى سبحانه ، وعذابه للظالمين المستكبرين ، فلم يستطيعوا أن يدفعوا ما حل بهم من العذاب ، ولا أن يفلتوا منه ﴿ **وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ** ﴾ .

وتأتي فاصلة الآية مناسبةً لها ﴿ **وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ** ﴾ ، أي غير فائتين من قبضتنا مهما بلغت عظمتهم واستكبارهم في الأرض[4] . وبهذا جمعت علاقة التمكين بين الفاصلة وسياق الآية .

ثم أجمل سبحانه أنواع العذاب التي حلّت بالمكذبين ، فقال : ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا**

---

(1) سورة العنكبوت : الآيات (٣٨-٤٠) .
(2) ينظر : الكشاف ، للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٨ ، والألوسي في روح المعاني ، ج٢٠ ، ص١٥٨ .
(3) سورة العنكبوت : الآية (٣٩) .
(4) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٥٩ .

كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1] .

وما كان عذابهم ظلماً ، وإنما ﴿ **كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ بما اقترفوه من المعاصي والمنكرات .

وتميزت الفاصلة هنا بتقديم مفعولها ، ثم عبر عنها بالمضارع المسبوق بالفعل الماضي ، فحصل الجمع بينهما ؛ ففي التقديم دلالة " على القصر الذي يقتضيه النفي السابق ، وفيه ضرب تهكّم بهم . والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر "[2] . كما أنّ في التقديم مناسبة لرؤوس الآيات[3] .

ولما تقدم في الآية لفظ الظلم عند قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ** ﴾ ناسب مجيء الفاصلة ﴿ **يَظْلِمُونَ** ﴾ ، وهذا ما يسمى (التصدير) ، ويسميه علماء البلاغة : (الإرصاد) أو (التسهيم) ، وهو أحد فروع علم البديع[4] .

ونلاحظ أنّ الآيات الثلاثة السابقة كانت جميعها مسبوقة بفعل الكون (كان) ، سواءً كان منفياً أو مثبتاً ، فقال في الأولى : ﴿ **وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ **مَا كَانُوا سَابِقِينَ** ﴾ ، وفي الثالثة : ﴿ **كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ ؛ فإنّ ما قيل عنهم كان متمكناً منهم ؛ فقد كانوا عقلاء ، ولكن لا يعملون فكرهم ، كما أنهم لا يستطيعون الإفلات منه سبحانه كما ظنوا ، إذاً كلّ ما صدر منهم كان من ظلمهم لأنفسهم حتى جلبوا لها العذاب .

وأما عن فواصلها فقد كانت متماثلة انتهت بالنون المسبوقة بالمد .

وينتهي المقطع الأخير من الغرض الثاني مع الآيات في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ۞ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ**

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤٠) .

(٢) أبو السعود ، ج١ ، ص١٢٧ ، سورة البقرة : الآية (٥٧) .

(٣) ينظر : الألوسي ، ج٢٠ ، ص١٦٠ ، وينظر : الزركشي في البرهان ، ج١ ، ص٦٢ ، ضمن ذكره لأحوال رعاية الفاصلة .

(٤) ينظر : بغية الإيضاح ، للصعيدي ، ج٤ ، ص١٨ .

تعريف الإرصاد هو : أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدلّ على العجز إذا عرف الروي .

﴿ **اتلُ مَا أُوحيَ إليكَ منَ الكتابِ وَأقم الصلاةَ إن الصلاةَ تنهى عَن الفَحشَاء وَالمنكر وَلذكْر اللهِ أكْبر وَاللهُ يَعلم مَا تَصنَعون** ﴾[١]، وأنّ تلك الأقوام التي سبق ذكرها كانت تتخذ من دون الله أولياء ليس لهم من الأمر شيء ، فهم كبيت العنكبوت ضعفاً ووهناً ؛ وفي ذلك يقول ذو القوة المتين : ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتخَذُوا من دون اللهِ أوليَاءَ كَمَثَلِ العَنكَبوت اتخَذَت بَيتاً وَإن أوهَنَ البيوت لَبيت العَنكَبوت لَو كَانوا يَعلمونَ** ﴾ .

ولما ضرب الله هذا المثل لهم ، ناسب أن تختم الآية بفاصلة قوله تعالى : ﴿ **لَو كَانوا يَعلمونَ** ﴾ ، ومعناها : " لو كانوا يعلمون أنّ هذا مثلهم ، وأنّ أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن "[٢] لتركوها وما اتخذوا الأوثان آلهة .

وبعلاقة (التمكين) يشتد ارتباط الفاصلة بآيتها ، حيث مهد هذا المثل لضعف معبوداتهم وعجزها عن حمايتهم ؛ لوصفهم بالجهل لهذه الدرجة من الضعف التي عليها معبوداتهم .

ولا يعلم وهن هذه المعبودات وعجزها إلا المولى سبحانه : ﴿ **إن اللهَ يَعلم مَا يَدعونَ من دونه من شَيءٍ وَهوَ العَزيز الحَكيم** ﴾ .

والفاصلة : ﴿ **العَزيز الحَكيم** ﴾ ترتبط بالآية قبلها بعلاقة (التمكين) ، حيث مهد وصف معبوداتهم بضعفها من المثل المضروب لها ، ودلالته على جهلهم بحالها ، ثُم علم الله تعالى ما هي عليه من ضعف ، وعجزها عن الشفاعة عنده ، أو النصرة منه ، مهد ذلك كلّه لوصفه سبحانه بـ (العزيز الحكيم)[٣] .

وإنّ في ضرب الأمثال آيات وعبراً لا يدركها إلا ذَوو العقول السليمة ، وفي ذلك يقول الخبير جلّ شأنه : ﴿ **وَتلكَ الأمثَالُ نَضربهَا للناسِ وَمَا يَعقلهَا إلا العَالمونَ** ﴾ ، وما تلك التشبيهات إلا طرق لمعرفة المعاني المحتجبة ، فلا يدرك فائدتها وأسرارها إلا العالمون أصحاب العقول المتدبرة ، العالمة بعمق فائدة تلك الأمثال[٤] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (٤١-٤٥) .
(٢) الزمخشري في الكشاف ، ج٣ ، ص٤٥٨ .
(٣) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٦٢ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٦٢ ، البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٩ .

وفي قوله سبحانه : ﴿ **وَمَا يَعقلُهَا إلا الْعَالمونَ** ﴾ تعريض " بأنّ الذين لم ينتفعوا بها جهلاء العقول "[1].

وعلاقة الفاصلة ﴿ **إلا الْعَالمونَ** ﴾ بما قبلها (التمكين) ، ولقد مهد قوله تعالى : ﴿ **وَتلْكَ الأمثَالُ نَضربهَا للناسِ** ﴾ إلى فاصلتها ، فلا يفهم مغزاها إلا من كملت عقولهم فأصبحوا علماء بأسرار البيان القرآني .

---

(١) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٥٦ .

الغرض الثالث : هو التقاء الحق الذي جاء في هذا الكتاب مع الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض :

ونبدأ مع هذا الغرض من قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ اللهُ السمَاوَات وَالأرضَ بِالْحَق إن في ذَلكَ لآيَةً للْمؤمنِينَ** ﴾ إلى آخر آية في سورة العنكبوت ، وهي قول الهادي تعالى : ﴿ **وَالذينَ جَاهَدوا فيَنا لَنهدَينهم سبلَنا وَإن اللهَ لَمَعَ الْمحسِنِينَ** ﴾ [(١)].

وتتماثل فواصل آيات هذا الغرض بحيث ختمت بالنون المسبوقة بحرف المد ، نحو : (تصنعون ، مسلمون ، الكافرون ، المبطلون ، الظالمون ، .....) ، ما عدا آيتين تقاربت الفاصلة فيهما مع بقية فواصل الآيات ؛ حيث انتهت بحرف الميم ، وهي في قول الباسط القابض : ﴿ **وَكَأين من دَابةٍ لا َتحملُ رزقَهَا اللهُ َيرزقُهَا وَإياكُم وَهوَ السميع الْعَليم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **اللهُ َيبسطُ الرزقَ لمَن َيشَاءُ من عَبَاده وَيقْدر لَه إن اللهَ بِكُل شَيءٍ عَليم** ﴾ ، وكما نلاحظ أنّ كلتا الآيتين تتحدثان عن تسخير الرزق ، فناسب بهذا اتفاقهما في الفواصل ، فكلتاهما ختمت بصفة (العليم) سبحانه وتعالى ، ويتفق هذا المقطع من الآيات مع المقطعين السابقين في كون الغالب على فواصله التماثل .

وبعد سلسلة من إيقاع الفواصل المتماثلة يختلف إيقاع الفاصلة في الآيتين السابقتين ؛ تفنناً في أسلوب النظم القرآني ، ولفتاً للأنظار والأذهان إلى أهمية ما جاءت به الفاصلتين المتقاربتين مع فواصل آيات هذا المقطع - وهو أمر الرزق - ، فالرزق كله بيد الله ، وهو وحده سبحانه يعلم أحوال العباد .

فالآية الأولى تطمين للمهاجرين على تسخير رزقهم ، فالله تعالى يعلم شكواهم وأسباب خوفهم من الهجرة ، حتى وإن سكتوا لا تخفى عليه حاجتهم ومقدار حاجتهم[(٢)]، ولما كان حديث الآية عن الرزق وتيسيره ، كان المتوقع أن تأتي فاصلة الآية بصفة الرزاق أو المعطي ، إلا أنها ختمت بـ (السميع العليم) ؛ لحكمة النظم القرآني في التناسب العميق بين الفاصلة والسياق ؛ فهو وحده سبحانه الذي يسمع دعاءَهم وطلبهم ، ويعلم إخلاصهم في العبادة والعمل ، وحسن الصبر والتوكل عليه ، وبهذا تلتقي الفاصلة المتقاربة في ختامها بحرف الميم مع فواصل الآيات السابقة لها : (فاعبدون ، والعاملين ، ويتوكلون) ، فناسب مجيء الفاصلة الميمية (العليم) مختلفة عن فواصل هذا المقطع .

أما الآية الثانية فقد جاءت في سياق إقرار المشركين بوحدانية الله ، والكشف عن تناقضات أفعالهم

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات (٤٤-٦٩) .

(٢) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٧٧ .

المترددة بين الإقرار والإنكار ، قال تعالى : ﴿ **اللهُ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عبَاده وَيقْدر له إن اللهَ بِكُل شَيءٍ عَليم** ﴾ ، فالرزق بيد الله ، فهو " يعلم أنّ كُلا من البسط والقدر في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة ، فيفعل كلا منهما في وقته ، أو فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ، ومن يليق بقدره له فيقدر له "[١]، فناسب مجيء الفاصلة المختلفة (عليم) .

---

(١) الألوسي في روح المعاني ، ج٢١ ، ص١٢ .

العلاقة بين الفاصلة وآيتها في آيات هذا المقطع :

" ولما قدم أنه لا معجز له سبحانه ، ولا ناصر لمن أخذه ، وصحح ذلك بالمشاهدة في القرون البائدة ، وقربه إلى الأذهان بالمثل المستولي على غاية البيان ، وختم ذلك أنه حجب فهمه عن أكثر خلقه ، دلّ على ذلك كلّه بقوله ، مظهراً لقوته وسائر صفات كماله "[١]، فقال : ﴿ **خَلَقَ اللهُ السمَاوَات وَالأرضَ بِالْحَق إن في ذَلكَ لآيَةً للْمؤمنِينَ** ﴾ .

إذا جال الإنسان العاقل بفكره في خلق السماوات والأرض يجد دلائل وشواهد على وحدانية الله وعظمته ، وهذه الآيات لا يصل إليها إلا من اطمأنّ قلبه بالإيمان . ولهذا ناسب في الفاصلة " تخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والإرشاد في خلقهما - للكل - ؛ لأنهم المنتفعون بذلك "[٢] .

ولما سلّى الرحمن الرحيم المؤمنين بعلمهم الذي لا يعقله إلا العالمون أمثالهم ، أقبل على نبيه بتسليته مما يلاقيه من مشركي مكة ، وخاطبه بما يزيده تثبيتاً ودعماً في نشر الدعوة ، فقال سبحانه : ﴿ **اتلُ مَا أوحيَ إليْكَ منَ الْكتَابِ وَأقم الصلاةَ إن الصلاةَ تَنهَى عَن الْفَحشَاء وَالْمنكر وَلَذكْر اللهِ أكْبر وَاللهُ يَعلَم مَا تَصنَعونَ** ﴾ .

وما يكون من عمل المرء ، وأدائه للصلاة ، وتلاوته للقرآن ، فإن الله يعلمه ؛ لقوله : ﴿ **وَاللهُ يَعلَم مَا تَصنَعونَ** ﴾ من الخير والشر .

قال البقاعي : وعبر " بلفظ الصنعة الدالّ على ملازمة العمل ؛ تنبيهاً على أنّ إقامة ما ذكر تحتاج إلى تمرن عليه وتدرب ، حتى يصير طبعاً صحيحاً ، ومقصوداً صريحاً "[٣] وفيها وعد ووعيد ، لمن يتبع أوامره أو يحيد عنها ، كما أن فيها حثّاً على المراقبة[٤] .

﴿ **وَاللهُ يَعلَم مَا تَصنَعونَ** ﴾ تذييل لما قبله ، وعلاقة الفاصلة بما تقدمها في الآية (الإيغال) .

ولما كان في خلق السماوات والأرض حق لا يدركه إلا المؤمنون ، كان أيضاً في إنزال الكتاب حق ، فلهذا القرآن علاقة تربطه بالكتب السماوية الأخرى ؛ فناسب ذلك دعوة المؤمنين إلى حسن التعامل مع

---

(١) البقاعي ، ج٥ ، ص٥٦٢ .

(٢) أبو السعود ، ج٤ ، ص٢٦١ .

(٣) البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٦٤ .

(٤) ينظر : أبو حيان ، ج٧ ، ص١٥٠ .

أهل تلك الكتب ، وقال الله : ﴿ **وَلاَ تجَادلُوا أَهلَ الْكِتَابِ إلا بِالتي هيَ أحسَن إلا الذينَ ظَلَموا منهم وَقُولُوا آمَنا بِالذي أُنزلَ إلَيْنَا وَأُنزلَ إِلَيكُم وَإِلَهنَا وَإِلَهكُم وَاحد وَنَحن لَه مسلمونَ** ﴾ .

يؤمن أهل الكتاب بأنه لا إله إلا الله ؛ لذلك جاء الأمر لدعوتهم بالحسنى ، فهم مهيؤون لقبول الدعوة ، وبهذا الاتفاق الذي يجمع بين أهل الكتاب والمؤمنين ختمت الآية بفاصلة مناسبة لما جاء فيها ، وهي ﴿ **وَنَحن لَه مسلمونَ** ﴾ ، قدم المجرور (له) على عامله لإفادة الاختصاص ، أي : مطيعون خاصة[1]. أيضاً لرعاية الفاصلة . وعلاقتها بما قبلها (التوشيح) ، حيث أشارت الآية في قوله : ﴿ **وَإِلَهنَا وَإِلَهكُم وَاحد** ﴾ إلى فاصلتها .

ثم أكدت الآيات أنّ القرآن منزل من الله ، ودحضت من قال إنه من قول محمد ﷺ ، قال المولى في ذلك : ﴿ **وَكَذَلكَ أَنزَلْنا إِلَيكَ الْكتَابَ فَالذينَ آتَينَاهم الْكتَابَ يؤمنونَ بِه وَمن هَؤلاَء مَن يؤمن بِه وَمَا يَجحَد بِآيَاتنَا إلا الْكَافرونَ ۞ وَمَا كُنتَ تَتلُو من قَبله من كتَابٍ وَلاَ تَخطه بِيَمينِكَ إِذاً لارتَابَ الْمبطلُونَ ۞ بَلْ هوَ آيَات بَينَات في صدور الذينَ أُوتوا الْعلْمَ وَمَا يَجحَد بِآيَاتنَا إلا الظالمونَ ۞ وَقَالُوا لَولا أُنزلَ عَلَيه آيَات من ربه قُلْ إِنمَا الآيَات عندَ اللهِ وَإِنمَا أَنَا نَذير مبِين ۞ أَوَلَم يَكْفهم أَنا أَنزَلْنَا عَلَيكَ الْكتَابَ يتلَى عَلَيهم إِن في ذَلكَ لَرَحمَةً وَذكْرَى لقَومٍ يؤمنونَ ۞ قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيني وَبَينَكُم شَهيداً يَعلَم مَا في السمَاوَات وَالأَرضِ وَالذينَ آمَنوا بِالْبَاطلِ وَكَفَروا بِاللهِ أُولَئكَ هم الْخَاسرونَ** ﴾[2].

وكما نلاحظ فإنّ كل فواصل هذا المقطع كانت متماثلة متجانسة ؛ حيث اتفقت في حرفها الأخير ، وهو النون المسبوق بحرف المد .

ومن أهل الكتاب من يؤمن بالله ، ومنهم من يكفر : ﴿ **وَكَذَلكَ أَنزَلْنا إِلَيكَ الْكتَابَ فَالذينَ آتَينَاهم الْكتَابَ يؤمنونَ بِه وَمن هَؤلاَءِ مَن يؤمن بِه وَمَا يَجحَد بِآيَاتنَا إلا الْكَافرونَ** ﴾ .

إنّ من عرف آيات الله ثم كذب بها وجحدها استحق أن يطلق عليه صفة الكفر ، لذلك ناسب مجيء فاصلة الآية بقوله : ﴿ **وَمَا يَجحَد بِآيَاتنَا إلا الْكَافرونَ** ﴾ ، أي : المتوغّلون في الكفر الذي

---

(١) ينظر : روح المعاني ، للألوسي ، ج٢١ ، ص٣ ، وابن عاشور في التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٤٧-٥٢) .

يصدهم عن معرفة حقيقة تلك الآيات[(١)] .

وفي وصفهم بالكافرين تنفير لهم عما هم عليه من جحود الآيات ؛ فلم يقل : (وما يجحد بآياتنا إلا الجاحدون) ؛ لأن في (الكافرون) دلالة بالتعريف على كمال الصفة فيهم[(٢)] .

ولما قال في الآية : ﴿ **من هَؤلاء مَن يؤمن به** ﴾ أي من أهل مكة ، دلّ على أنّ هناك من يكفر به ، فتكون علاقة الفاصلة بما تقدمها (لتوشيح) .

ولم يتوقف الكافرون عند جحود القرآن ، بل نسبوه إلى محمد ﷺ ، فنفى الله عنه ذلك بالحجة الواضحة ، فقال ﷻ : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتلُو من قَبله من كِتَابٍ وَلاَ تَخطه بِيَمينِكَ إذاً لارْتَابَ الْمبطلُونَ** ﴾ .

إذن فالحكمة من جعل النبي الكريم أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، يستدلّ به على أنّ القرآن موحى إليه .

" و (إذاً) جواب وجزاء لشرط مقدر بـ (لو) ؛ لأنه مفروض دلّ عليه قوله : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتلُو** ﴾ ، و ﴿ **وَلاَ تَخطه** ﴾ ، والتقدير : لو كنت تتلو قبله كتاباً أو تخطّه لارتاب المبطلون ، ومجيء جواب (إذاً) مقترن باللام التي يغلب اقتران جواب (لو) بها دليل على أنّ المقدر شرط بـ (لو) "[(٣)]، وبهذا كانت الآية بحاجة إلى ما ختمت به ﴿ **إلا المُبطلُونَ** ﴾ ؛ لعلاقة (التمكين) بينهما .

ثم يأتي بالإضراب عن ارتيابهم للقول بوضوح آياته وحفظها في صدور العلماء . قال ﷻ : ﴿ **بَلْ هوَ آيات بَيِّنَات في صدور الذينَ أُوتوا الْعلْمَ وَمَا يَجحَد بِآيَاتنَا إلا الظالمونَ** ﴾ .

وبالرغم من وضوح الدلالة على هذه الآيات ، إلا أنّ هناك من ينكرها ، وهم الظالمون ، وهذه صفة ثالثة تأتي بها فاصلة الآية للجاحدين لآيات الله ، فقد سبقتها فاصلتان في وصفهم بـ (الكافرين ، والمبطلين) ، فلما غطى الكفر أنوار عقولهم ، ظهر فسادهم وبطلان ارتيابهم ، وكلّ هذا لأنهم متوغلون وراسخون في الظلم ، فلا " يعدلون في تقدير الحقائق وتقويم الأمور "[(٤)] .

﴿ **إلا الظالمونَ** ﴾ تذييل " يؤذن بأنّ المشركين جحدوا آيات القرآن على ما هي عليه من وضوح

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص٢٦٢ .

(٢) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٩ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٥ ، ص٢٧٤٦ .

الدلالة "[1]، وبهذا تتصل الفاصلة بما قبلها بعلاقة (التوشيح) ؛ لأن كونه آيات بينات يشير إلى أنه لا يجحده إلا ظالم لا إنصاف له ، وشأن الظالم جحد الحق .

ويعرض القرآن مقترحاتهم الباطلة ، قال المولى في ذلك : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ .

فإن ما يطلبونه ليس بيد الرسول ، إنما هو ﴿ **نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

﴿ **إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ قصر على صفة النذارة عليه ، فليس له خلق شيء أو إنزاله ، فهو نذير لهم من وقوع الشر بمن جحد بالآيات ، ومبين موضح للإنذار بالدلائل العقلية الدالة على صدقه[2] .

ولقد مهد سياق الآية لفاصلتها ﴿ **إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ ، فكانت علاقة الفاصلة بما سبقها (التمكين) .

ثم يأتي الاستفهام الإنكاري لجحودهم وعنادهم ، فيقول الملك القدوس : ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ .

وإن في الإيمان بهذه الآيات لرحمة لمن انتفع بما فيها ، ولا يكون هذا الانتفاع إلاّ ﴿ **لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ يجدون مس هذه الرحمة في نفوسهم[3] .

وعبر في الفاصلة بالفعل المضارع (يؤمنون) لتجدد إيمانهم بالتفكّر والتدبر في آيات الله ، " واستحضار المؤمنين بعنوان (قوم يؤمنون) ، دون أن يقال : للمؤمنين ، لما في لفظ (قوم) من الإيماء إلى أنّ الإيمان من مقومات قوميتهم ، أي لقوم شعارهم أن يؤمنوا "[4] .

وأما الغرض من التعبير بالفعل المضارع في الفاصلة (يؤمنون) فـ " للحثّ على تحصيل الإيمان عند من لم يؤمنوا ، والتثبيت لمن آمن "[5] . وقد اتصلت الفاصلة بما قبلها بعلاقة (التمكين) .

---

(١) ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٣ .

(٢) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٦٨ ، وابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٤ .

(٣) ينظر : سيد قطب في الظلال ، ج٥ ، ص٢٧٤٧ .

(٤) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٦ .

(٥) الاستفهام البلاغي ، للمطعني ، ج٣ ، ص٢٣٣ .

ولما استمر تكذيبهم بالرغم من تقديم الحجة الدامغة لهم ، أمره المولى أن يرد عليهم بأنّ الحكم بينهم هو الله فقال سبحانه : ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ .

لما كان الإيمان بالله مكسباً في حد ذاته ؛ لأنه طمأنينة في القلب واستقامة على الطريق ، كان المتصف بما يقابله - وهو الكفر - محكوماً عليه بالخسران لكل شيء في دنياهم وآخرتهم ؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان ، فما ربحت تجارتهم .

فبعد أن أنصفهم في قوله ﴿ **كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ﴾ ، ذكر لهم ما لا يقدرون على إنكاره ، وهو إيمانهم بالباطل وكفرهم بالله ، وهذا هو سبب خسرانهم ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ ، وبهذا تكون العلاقة بين الفاصلة وآيتها (التمكين) .

وأفاد القصر في الفاصلة ﴿ **هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ المبالغة في اتصافهم بالخسران العظيم(١) .

ولما كان في خسرانهم تهديد ووعيد بالعذاب ، عجلوا في طلبه مستبعدين ومنكرين لوقوعه ، فقال شديد العقاب : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۞ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾(٢) .

قال ذو الجلال والإكرام في حال المنكرين للعذاب : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ .

انتهت الآية بقوله سبحانه : ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ ، والقول فيها على وجهين :

الأول : أن تكون ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ تأكيداً لمعنى ﴿ **وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً** ﴾ ، أي : وهم في غاية الغفلة والانشغال(٣) ، وعلى هذا تكون العلاقة بين الفاصلة والآية (الإيغال) .

---

(١) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٧ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٥٣-٥٥) .

(٣) ينظر : الرازي ، ج٢٥ ، ص٧٢ .

الثاني : أن يكون لقوله تعالى : ﴿ **وَهم لاَ يَشعرون** ﴾ معنى آخر ، وهو عدم توقعهم غلبة المسلمين ؛ لغرورهم ، فلا يخطر لهم ببال[1]، ويكون (التوشيح) هو الرابط بين الفاصلة وما قبلها ، فقوله : ﴿ **وَلَيأتيَنهم بَغتَةً** ﴾ دلّ على أنّ الفاصلة ﴿ **لاَ يَشعرون** ﴾ .

وفي المعنيين تشتد حاجة الآية إلى فاصلتها ﴿ **وَهم لاَ يَشعرون** ﴾ ، ولا يمكن وضع غيرها أو الاستغناء عنها .

وهذا عذابهم في الدنيا هزيمتهم يوم بدر ، أما عذابهم في الآخرة ، فكما قال ربنا ﷻ : ﴿ **يَستَعجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِن جَهَنمَ لَمحيطَةٌ بِالْكَافرينَ** ﴾ .

عبر النظم الحكيم في فاصلة الآية بالجملة الاسمية : ﴿ **إِن جَهَنمَ لَمحيطَةٌ بِالْكَافرينَ** ﴾ ؛ للدلالة " على تحقق الإحاطة واستمرارها ، أو تنزيلاً لحال السبب منزلة المسبب ، فإن الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم "[2]، ولذلك أيضاً استحضروا بوصف الكافرين .

ومن أحوال رعاية الفاصلة التي ذكرها السيوطي عن ابن الصائغ : إيقاع المظهر موضع المضمر[3] ، وفي الآية جاء وضع الظاهر (الكافرون) موضع المضمر (بهم) ؛ وذلك لسببين :

١- تنبيهاً على ما استحقّوا به عذابهم ، وتعميماً لكلّ من اتصف به .

٢- " للإشعار بعلة الحكم ، أو للجنس - أي جنس الكفرة - ، وهم داخلون فيه دخولاً أولياً "[4] .

الاستعجال بالعذاب مع كون المراد به عذاب الآخرة هو تمهيد لاستحقاقهم جهنم لكفرهم ، فتكون علاقة الفاصلة بآيتها (التمكين) .

وبياناً لوصف إحاطة جهنم بهم يقول الجبار المتكبر : ﴿ **يَومَ يَغشَاهم الْعَذَاب من فَوقهم وَمن تَحت أَرجلهم وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ .

---

(١) ينظر : المرجع السابق ، والألوسي ، ج٢١ ، ص٩ .
(٢) إرشاد العقل السليم ، ج٤ ، ص٢٦٤ .
(٣) ينظر : الإتقان ، ص٦٧٩ .
(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص٢٦٤ .

فلا يتوقف العذاب عند إحاطة جهنم بهم ، وهو عذاب جسدي ، بل ويلحقه العذاب النفسي بما يقال لهم ﴿ **ذُوقُوا مَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾ في الدنيا من استعجال العذاب ، وتكذيب النذر .

وأطلق السبب - وهو (عملهم) - على المسبب - وهو (عذابهم) - للمبالغة(١)، وعلى هذا تكون العلاقة بين الفاصلة وما قبلها (التمكين) .

ويلتفت الأسلوب القرآني من مشهد عذاب الكافرين إلى دعوة المؤمنين للفرار بدينهم في نداء حبيب يمس أوتار القلوب فيقول الرب الرحيم ﴿ **يَا عِبَادِيَ الذينَ آمنوا إن أرضي وَاسِعَةٌ فَإِيايَ فَاعبدون ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَائقَةُ الْموت ثُم إِلَيْنَا ترجَعونَ ۞ وَالذينَ آمنوا وَعَمِلُوا الصالحَات لَنبوئَنهم منَ الْجَنة غُرَفاً تَجري من تَحتهَا الأنهَار خَالدينَ فيهَا نِعمَ أجر الْعَاملينَ ۞ الذينَ صَبَروا وَعَلَى رَبهم يَتَوَكلُونَ ۞ وَكَأَين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإِياكُم وَهوَ السميع الْعَليم** ﴾(٢) .

إذاً جاء النداء الرباني للمؤمنين بالهجرة إلى المدينة للفرار بدينهم ، حيث الأمان والاطمئنان في العبادة : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الذينَ آمنوا إن أرضي وَاسِعَةٌ فَإِيايَ فَاعبدون** ﴾ .

وبعد أن شرف المولى عباده بإضافتهم إليه ، ثم وصفهم بالذين آمنوا ، أوضح في نهاية الآية الغرض الذي من أجله جاء الأمر بالهجرة : ﴿ **فَإِيايَ فَاعبدون** ﴾ ، قدم المفعول (إياي) على (فاعبدون) ، فأفاد معنى الاختصاص والإخلاص(٣) .

وكان المتوقع أن تكون الفاصلة (فاعبدوني) ، ولكن حذفت ياء المتكلم تخفيفاً ، ولرعاية الفاصلة(٤) ، ولأنه عوض الحذف بتقديم المفعول .

ولما تقدم لفظ العباد - وهو دالّ على العبادة - ناسب مجيء فاصلتها (فاعبدون) ، فكانت العلاقة (التصدير) .

ويذكر الرازي فائدتين لذكر (عبادي) في أول الآية ، وذكر (فاعبدون) في خاتمتها :

١- المداومة على عبادته حاضراً ومستقبلاً .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٧٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٥٦-٦٠) .

(٣) ينظر : الزمخشري ، ج٣ ، ص٤٦٥ .

(٤) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٢ .

٢- الإخلاص في العبادة ، وإفرادها له وحده سبحانه[١] .

ولما كان أمر الهجرة يقلقهم ، قال الملك القدوس : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ .

وتهويناً لما يلاقيه المؤمنون من أهل الكفر ، والخوف من طريق الهجرة ، أخبرهم بأنّ الموت مدرك كلّ نفس ، ولا ينتهي عملهم عند الموت ، وإنما يعقبه رجوع إلى الله : ﴿ **ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ ، فيجازي الأخيار بالجنان ، والأشرار بالنيران .

وناسب التعبير في فاصلة الآية بقوله : ﴿ **إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ للاستعداد بالأعمال الصالحات ، والثبات على الإيمان ، وقدم الجار والمجرور (إلينا) على عامله (ترجعون) للاختصاص .

ولما كان معنى الآية : " إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ، ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده "[٢]، فبهذا تكون علاقة الفاصلة (التمكين) .

وبشارةً للمهاجرين ، وترغيباً لهم في الإيمان ، قال الكريم المنان : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ .

ولما ذكر سبحانه ما أعده من النعيم للذين ﴿ **آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ جاء بفاصلة الآية ﴿ **نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ ، فلم يعطفها على ما قبلها ؛ لأن الجملة إنشاء غير طلبي فيه ثناء وتعجيب على الأجر الذي أعطوه[٣]، فحذف فيها المخصوص بالمدح " ثقةً بدلالة ما قبله عليه "[٤]، والتقدير : نِعم أجر العاملين الجنة ، ختمت الآية بلفظ (العاملين) وهي تتصل بأولها بعلاقة (التصدير) ، حيث صدرت بلفظ (عملوا) .

وهذا الأجر يستحقّه الصابرون المتوكلون ، حيث قال ﷻ : ﴿ **الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٧٤ .

(٢) الزمخشري ، ج٣ ، ص٤٦٦ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٣ .

(٤) أبو السعود ، ج٤ ، ص٢٦٥ .

فالصابرون على اضطهاد أهل الشرك ، وعلى الهجرة من أرض المنشأ ، يجب أن يتوكّلوا على القوي العزيز في تسخير أرزاقهم وحمايتهم . وعبر بالفعل المضارع (يتوكلون) للدلالة على الاستمرار والتجدد في التوكل على الله في كلّ ما يعرض لهم من صروف الدنيا[1] ، ويقدم الأسلوب القرآني البليغ المجرور على متعلقه في قوله : ﴿ **وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ للاختصاص .

والصبر وتفويض الأمور إلى الله كلاهما جماع للخير كله ، فتكون علاقة الفاصلة بما قبلها (التمكين) ؛ لكون الصبر مهد لذكر التوكل .

وإذا صدق هؤلاء المهاجرون في توكلهم على الله ، ضمن لهم الرزاق المعين أمر رزقهم ، فقال سبحانه : ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ .

﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ ، أي : يسمع دعاءَكم ، ويعلم ما في نفوسكم . وعلاقة الفاصلة هنا بما قبلها (الإيغال) ؛ لأنها أفادت معنى جديداً .

وبعد هذه الجولة مع المؤمنين يعود السياق مرة أخرى إلى الحديث عن المشركين ، فيقول العالم بأحوالهم سبحانه : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾[2] .

ولما كانت الآيات في هذا المقطع تتحدث عن المشركين ، جاءت فواصلها متماثلة مختومة بالمد والنون ، فقد عددت صفاتهم ، فهم : (لا يعقلون ، ويشركون ، ويكفرون) ، كذلك التناسب الصوتي مع رؤوس الآيات ، ما عدا فاصلة الآية الثانية والستون ، فجاءت متقاربة مع ما قبلها وما بعدها ؛ لأنها اختصت بالحديث عن باسط الرزق ، فختمت بما هو من صفاته سبحانه (عليم) ، أما مناسبتها لما قبلها

---

(١) ينظر : البقاعي ، ج٥ ، ص٥٧٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات (٦١-٦٨) .

وما بعدها ؛ فلأنه ﷻ عليم بأحوال هؤلاء الكافرين ، وما تخفيه نفوسهم من الإقرار بوحدانيته ، إلا أنهم يصدون عن ذلك عناداً وتكبراً ، ينتهي بتهديد من الله ووعيده : ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ .

ويذكر القرآن اعترافهم بربوبية الخالق سبحانه وخلقه لهذا الكون ، فيقول سبحانه : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ .

وتحتوي الآية على استفهامين ؛ الأول : ﴿ **مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ** ﴾ ، والثاني - وهو خاتمة الآية - : ﴿ **فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ ، أي : فكيف يصرفون عن توحيد الله[1] ؟ ومجيء الفاصلة بالفعل المضارع " لاستحضار صورة الحدث بالمضارع المسند إلى نائب الفاعل ، وهو واو الجماعة ، وبناء الفعل على صورة ما لم يسمع فاعله إيذاناً بأنّ هذا الفعل ينبغي ألا يكون فاعله معروفاً "[2] . وترتبط فاصلة الآية بما تقدمها بعلاقة (التمكين) .

والفاء في (فأنى) واقعة في جواب شرط مقدم ، " إذا كان الأمر كذلك فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده ؟ "[3] .

وفي شأن الرزق قال سبحانه : ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ .

وتختم آية الرزق هنا بصفة العليم سبحانه وتعالى متفقةً مع آية الرزق السابقة عند قوله : ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ ، يعلم أنّ كلاً من البسط أو التقدير يوافق الحكمة والمصلحة ، فيفعل كلا منهما في وقته ، وهو يعلم ما يصلح العباد ويفسدهم .

وعلاقة الفاصلة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ بما قبلها (الإيغال) ، فلما " كان سبحانه يرزق الناس ، ويمكّن لهم بحسب ما يعلم من ضمائرهم أنه لا صلاح إلا فيه ، قال معللاً لذلك ومؤكداً رداً

---

(١) ينظر : الكشاف ، ج٣ ، ص٤٦٧ .
(٢) المطعني ، التفسير البلاغي ، ج٣ ، ص٢٣٥ .
(٣) الألوسي في روح المعاني ، ج٢١ ، ص١١ .

على من يعتقد أنّ ذلك إنما هو من تقصير بعض العباد وتشمير بعضهم ، معلماً بأنه محيط العلم ، فهو محيط القدرة ، فهو الذي سبب عجز بعضهم وطاقة الآخرين ؛ لملازمة القدرة العلم "[(١)] .

واستمراراً في إثبات وحدانيته واعتراف المشركين بذلك ، يقول الحي القيوم سبحانه : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهم من نزلَ منَ السمَاءِ مَاءً فَأَحَيا بِهِ الأَرضَ من بَعد مَوتِهَا لَيقُولُن اللهُ قُلِ الْحَمد لله بَلْ أَكْثَرهم لا يَعقلُونَ** ﴾ .

ولما كانت محاجة القرآن لهم بالأمور البديهية - وهي الخلق وإنزال المطر - ، وكلّها أمور لا يقدر عليها إلا الله ، ويدركها الإنسان بالعقل ، ناسب مجيء فاصلتها قوله سبحانه : ﴿ **بَلْ أَكْثَرهم لا يَعقلُونَ** ﴾ ، (بل) تفيد (الإضراب الانتقالي) ، وهو " إضراب انتقال من حمد الله على وضوح الحجج إلى ذم المشركين بأنّ أكثرهم لا يتفطنون لنهوض تلك الحجج الواضحة ، فكأنهم لا عقل لهم ؛ لأن وضوح الحجج يقتضي أن يفطن لنتائجها كل ذي مسكة من عقل ، فنزلوا منزلة من لا عقول لهم "[(٢)] .

وأسند ﴿ **لا يَعقلُونَ** ﴾ إلى ﴿ **أَكْثَرهم** ﴾ ، ولم يقل : (جميعهم) ؛ لأن عقلاءَهم منهم من فطن إلى الحق فآمن بالله ، ومنهم من بقي على كفره[(٣)] .

وترتبط الفاصلة بآياتها بعلاقة (التمكين) ، حيث إنّ أمامهم من الدلائل ما يتفطّن إليه العاقل ويصل به إلى معرفة الخالق ، لكنهم لم يعملوا عقولهم ، فكان في السؤال المطروح وإجابته ما يمهد للفاصلة .

ثم يقول سبحانه بعد ذلك : ﴿ **وَمَا هَذه الْحَيَاةُ الدنيَا إلا لَهو وَلَعب وَإِن الدارَ الآخرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾ .

وبتفضيلهم للحياة الدنيا يكونوا قد جهلوا الآخرة من أصلها ، فناسب أن يقال لهم : ﴿ **لَو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾ ، فحذف جواب الشرط (لو) ، والتقدير : (لو كانوا يعلمون لما آثروا دار الفناء على دار البقاء)[(٤)] .

---

(١) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٧٥ .
(٢) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٠ .
(٣) ينظر : المرجع السابق .
(٤) ينظر : أبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٥٤ ، وروح المعاني ، للألوسي ، ج٢١ ، ص١٣ .

وتتصل الفاصلة بما قبلها بعلاقة (التمكين) ؛ لأنه لا يدرك أنه لا حياة إلا حياة الآخرة إلا بالعلم النافع[1] .

ولما ذكر إقرارهم إذا سئلوا عن الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، والمنزل للمطر بأنه الله ، ذكر إقرارهم أيضاً في حالة أخرى ، وهي حلول الضراء بهم في البحر ، فقال سبحانه : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ .

وبهذه الفاصلة ﴿ **إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ صح " أنهم (لا يعلمون) ؛ لأنهم (لا يعقلون) ، حيث يقرون بعجز آلهتهم ويشركون معه ؛ ففي ذلك أعظم التهكّم بهم "[2] .

ولأنّ معرفة الرب في فطرة كل إنسان ، عادوا إليه في وقت الضراء ؛ لإيقانهم ألاّ كاشف له إلا هو ، حتى إذا ما انشغلوا في ملذّات الدنيا وشهوات النفس ، عادوا لضلالهم ، ففاجأوا بإشراكهم سجيتهم المعترفة بالإله ، فكان جواب (لّما) : ﴿ **إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[3] .

وترتبط الفاصلة مع آيتها بعلاقة (التوشيح) ، حيث إن ذكر النجاة بأسلوب شرطي عقب دعائهم لله حال الضراء يشير إلى تغير حالهم إلى الشرك .

ولما كان هذا فعلهم - نكران نعمة الإنجاء - قال العزيز سبحانه : ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ ، وختم هذا التهديد والوعيد بقوله : ﴿ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ بوبال عملهم حين زوال أملهم ، بوعيد لا يخلف الله فيه ما سيحلّ عليهم من العذاب .

واتصلت الفاصلة ﴿ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ بما قبلها بعلاقة (التمكين) ؛ لما في الكفر والتمتع من تمهيد للوعيد .

وتستمر آيات سورة العنكبوت في سرد جحود المشركين للنعم ، فيذكر بعد كفرهم لنعمة الأمن في البحر ، كفرهم لنعمة الأمن في البر . قال المالك سبحانه في حال مشركي أهل مكة : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ .

---

(١) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٨١ .
(٢) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٧٨ .
(٣) ينظر : أبو حيان ، ج٧ ، ص١٥٥ .

ولما تبين أنه لا وجه لشركهم ، ولا لكفرانهم بنعمة الأمن الظاهرة المكشوفة ، قال سبحانه : ﴿ **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ ، فقابل بين الجملتين لاقتضاء المقام ذلك . وأما تقديمه للإيمان بالباطل على الكفران بالنعمة فللترقي في التشنيع ، والتنبيه من أول الأمر على أنهم من حزب الشيطان[(١)] .

وعلاقة الفاصلة بالآية (التمكين) ، حيث مهد قوله سبحانه : ﴿ **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ** ﴾ ؛ لقوله بعد ذلك : ﴿ **وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ .

وينتهي ذلك كله بوصفهم بالظلم البالغ لافترائهم الكذب على الله وتكذيبهم بالحق لما جاءهم . ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ** ﴾ .

وقد كان مقتضى الظاهر أن يقال (مثواهم) بالضمير ، ولكنه عدل عنه إلى الاسم الظاهر (الكافرين) ؛ لاستحضارهم بهذا الوصف[(٢)] ، ولبيان استحقاقهم لذلك الجزاء .

ولفظ (الكافرين) عام ، " والمراد خاص ، وهم كفار مكة ، وسره البلاغي شمول جميع الكافرين "[(٣)] .

ودلّت الآية على ما ختمت به ، فكانت علاقة الفاصلة بآيتها (التوشيح) ، حيث إن قوله : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً** ﴾ " إيذان إجمالي بجزاء فظيع يترقّبهم ، فكان بيانه بمضمون جملة : ﴿ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى** ﴾ "[(٤)] .

وتختم السورة بالحديث عمن كانوا أهلاً للإيمان ، فاستحقوا رضا الرحمن ودخول الجنان ، فقد قال فيهم العزيز المنان : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ ، بشارة للمجاهدين لأنفسهم وشهواتهم ، وللصابرين على مبتلاهم ؛ بأنّ الله سيزيدهم ثباتاً بهدايتهم إلى طريق الحق والاهتمام بهم ، ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ ، فوضع الظاهر (المحسنين) موضع المضمر ، وهو

---

(١) ينظر : المطعني في التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ، ج٣ ، ص٢٣٩ .
(٢) ينظر : أبو حيان ، ج٧ ، ص١٥٥ ، وابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٦ .
(٣) التفسير البلاغي ، ج٣ ، ص٢٤٠ .
(٤) ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣٥ .

الضمير في (معهم)[1]؛ وذلك لمزيد الاهتمام ، ولاستحقاقهم هذا الوصف .

وجاءت فاصلة الآية (المحسنين) مناسبة لما ذكر في أولها ، وهم المجاهدون ، حيث أحسنوا في حسن ثباتهم على دينهم وصبرهم على مخالفة أهل الكفر من أقربائهم ، وتكبدوا عناء الهجرة ، ابتغاء رضا الله ، فارتبطت الفاصلة بآيتها بعلاقة (التمكين) ، حيث مهد أول الآية لخاتمتها ، وقد عد البقاعي الآية من الاحتباك ، فقال : " والآية من الاحتباك : أثبت أولاً الجهاد دليلاً على حذفه ثانياً ، وثانياً أنه مع المحسنين دليلاً على حذف المعية والإحسان أولاً "[2].

---

(١) ينظر : الألوسي ، ج٢١ ، ص١٤ .

(٢) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٨١ .

الفصل السادس

في المتشابه بين آيات العنكبوت وآيات سور أخرى

الفصل السادس

في المتشابه بين آيات العنكبوت وآيات سور أخرى

المتشابه : هو اسم فاعل مشتق من التشابه . وتعريفه في اللغة : " تشابه الشيئان واشتبها ، وشبهته ، وشبهته إياه ، واشتبهت الأمور وتشابهت : التبست ؛ لاشتباه بعضها بعضاً "[1] .

أما في الاصطلاح فهو : " إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة "[2] .

ومن خلال دراستي لهذا الفصل وجدت للتناسب بين آيات القرآن الكريم دوراً في إبراز المتشابه من الألفاظ ، فإن الارتباط الوثيق بين معاني ومباني السورة الواحدة يكشف كثيراً من أسرار المتشابه ؛ ليدرك القارئ العادي أنّ صياغات القرآن ذات علاقات قوية تربطها بالسياق في السورة وبغرضها العام .

ونعرض الآن لمواضع المتشابه في السورة :

الموضع الأول :

قال المحسن سبحانه في حق الوالدين : ﴿ **وَوَصينَا الإِنسَانَ بِوَالدَيه حسناً وَإِن جَاهَدَاكَ لتشركَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلا تطعهمَا إِلَيَّ مَرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾[3] .

وقال في سورة لقمان : ﴿ **وَوَصينَا الإِنسَانَ بِوَالدَيه حَمَلَته أمه وَهناً عَلَى وَهنٍ وَفصَالُه في عَامَين أَن اشكُر لي وَلوَالدَيكَ إِلَيَّ المَصير ۝ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تشركَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِه علْم فَلاَ تطعهمَا وَصَاحبهمَا في الدنيَا مَعروفاً وَاتبِع سَبِيلَ مَن أَنَابَ إِلَيَّ ثُم إِلَيَّ مَرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِمَا كُنتم تَعمَلُونَ** ﴾[4] .

وقال في سورة الأحقاف : ﴿ **وَوَصينَا الإِنسَانَ بِوَالدَيه إِحسَاناً حَمَلَته أمه كُرهاً وَوَضَعَته كُرهاً وَحَملُه وَفصَالُه ثَلاثُونَ شَهراً حَتى إِذَا بَلَغَ أَشده وَبَلَغَ أَربَعينَ سَنَةً قَالَ رَب أَوزعنِي أَنْ أَشكُرَ نِعمَتَكَ**

ج

(١) أساس البلاغة ، للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، الناشر : دار المعرفة ، لبنـان ، د.ط ، ص٢٢٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ج١ ، ص١١٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٨) .

(٤) سورة لقمان : الآيتان (١٤-١٥) .

التي أنعمتَ عَلي وَعَلى وَالدَي وَأنْ أعمَلَ صَالحاً ترضَاه وَأصلح لي في ذُريتي إني تبت إليكَ وَإني مِنَ المسلمينَ ﴾[1][2] .

وفيها ثلاث مسائل :

المسألة الأولى :

موضع المتشابه فيها : ذكر ﴿ **حسناً** ﴾ في العنكبوت ، و ﴿ **إحسَاناً** ﴾ في الأحقاف ، ولم يأت على ذكر أحد اللفظين في لقمان .

علّل الإسكافي (ت ٤٣١هـ)[3] ذلك بأنّ الآية من سورة العنكبوت ترتبط بما سبقها وما يأتي بعدها ، حيث كثر ذكر الإحسان ، ولذلك أجمل الإحسان فيها ؛ لقوله : ﴿ **وَالذينَ آمنوا وَعَملُوا الصالحَات لنكفّرَن عَنهم سَيئاتهم وَلنجزيَنهم أحسَنَ الذي كانوا يَعمَلُونَ** ﴾[4]، ثم الوصية بالوالدين بالحسنى - بالإضافة إلى الدعوة لمعاملة أهل الكتاب بالحسنى في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تجَادلُوا أهلَ الكتَابِ إلا بِالتي هيَ أحسَن ...** ﴾[5] -[6] .

وأما الآية من سورة لقمان فقد جاءت بعد وصية لقمان لابنه بعدم الإشراك بالله : ﴿ **وَإذْ قَالَ لقْمَانُ لابنِه وَهوَ يَعظُه يَا بنَي لا تشرك بِاللهِ إن الشركَ لظُلْم عَظيم** ﴾[7]، فأعقبها سبحانه وصية الإنسان بوالديه ، ثم نبه على الوصية بهما وعظم حقهما في قوله : ﴿ **حَمَلته أمه وَهناً عَلى وَهنٍ** ﴾ ، كما نبه على برهما معاً ، ويستمر بر الوالدين ولا يتوقف إلا إذا أمرا بمعصية الخالق والإشراك به ، فهنا تسقط عن الأبناء طاعتهما . ثُم ذكر أنّ هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص - ثم سرد القصة التي سبق ذكرها في هذا البحث - ، ونوه على أنّ هذه الآية من سورة لقمان تضمنت

---

(١) سورة الأحقاف : الآية (١٥) .

(٢) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ص٩٥٤ .

(٣) ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل ، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ، المحقق : الشيخ خليل مـأمون شـيحا ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان ، ط١ ، ص٢٣٩-٢٤١ ، بتصرف .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٧) .

(٥) سورة العنكبوت : الآية (٤٦) .

(٦) لم يذكر المؤلف هذه الآية ، ولكن لمناسبتها ذكرتها .

(٧) سورة لقمان : الآية (١٣) .

بياناً وتفصيلاً ، معللاً ذلك بأنها مذكورة لقصة مشروحة فيما بين آيات تضمنت الواجبات والمستحسنات فيما ذكره الله من وصايا لقمان لابنه .

أما الآية الثالثة الموجودة في سورة الأحقاف ، فقد وردت ضمن الحديث عن الابن المؤمن لوالدين مؤمنين يحثانه ويدعمانه في إيمانه ، فقد طاب أصلاً ورغب إلى الله أن يطيب فرعاً ؛ لأنه قال سبحانه حكايةً عنه : ﴿ **رَب أوزعِني أنْ أشكُرَ نِعمَتكَ التي أنعَمتَ عَلي وَعَلى وَالدَي وَأنْ أعمَلَ صَالحاً تَرضَاه وَأصلح لي في ذُريتي** ﴾ [(١)] ، ثم ذكر ولداً كافراً استغاث والداه بالله ؛ لإصراره على الكفر .

ثم يتوصل في خاتمة كلامه إلى خلاصة ، وهي : أن الوصية في سورة العنكبوت وصية مجملة عامة للناس ، أما الوصية في سورة لقمان فهي لمن منعه أحد والديه عن الإيمان ، وفي سورة الأحقاف فيمن آمن وآمن أبواه وسأل الله أن يصلح أولاده .

وأقف إجلالاً واحتراماً لرأي شيخنا الإسكافي ، إلا أنّ تعليله للآية الثانية الواردة في سورة لقمان وارتباطها بسبب النزول ، فأقول في ذلك ما قاله الطاهر بأنه " لا يحسن ما ذهب إليه جمع المفسرين أن هذه الآية في قضية إسلام سعد بن أبي وقاص وامتعاض أمه ؛ لعدم مناسبته السياق ؛ ولأنه قد تقدم أن نظير هذه الآية في سورة العنكبوت نزلت في ذلك ، وأنها المناسبة لسبب النزول ، فإنها أُخليت عن الأوصاف التي فيها ترقيق على الأم بخلاف هذه ، ولا وجه لنزول آيتين في غرض واحد ووقت مختلف "[(٢)] .

أما الكرماني (ت ٥٠٥هـ) فقد اختصر القول في ذلك بأنّ الآيات الثلاث نزلت في سعد بن أبي وقاص ، أما في سورة لقمان فهي اعتراض بين كلام لقمان عليه السلام لابنه ، فكان قوله : ﴿ **أنْ اشكُر لي وَلوَالدَيكَ** ﴾ قام مقام ﴿ **حسناً** ﴾ التي لم تذكر في الآية[(٣)] .

أما الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) فرأى أنّ آية سورة العنكبوت ارتبطت بقصة سعد بن أبي وقاص ، فاكتفى بالتنبيه على الإحسان بهما مالم يدعواه إلى الشرك ، فلم يحتج إلى التنصيص على أحدهما .

أما عن ورود الإحسان في سورة الأحقاف فلقصد البسط والإطالة ؛ لأنها مبنية على حال الموصى

---

(١) سورة الأحقاف : الآية (١٥) .

(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٥٧ ، سورة لقمان .

(٣) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، المحقق : عبد القادر أحمد عطا ، الناشر : دار الكتـب العربية ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص١٤٧ .

بوالديه ، وهو ما يلزم المؤمن تجاه أبويه المؤمنين[1] .

ويستفيد بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) من رأي الإسكافي والكرماني ، حيث يقول : إنه ذكر في سورة العنكبوت قوله : ﴿ **وَلَنجزيَنهم أحسَنَ الذي كانوا يَعمَلُونَ** ﴾ ، فناسب ذكر الإحسان إلى الوالدين ؛ لأنه من أحسن الأعمال . وأما الأحقاف فنزلت فيمن كان أبواه مؤمنين . وأما لقمان فلما نبه فيها على حمله ووضعه وما تقاسيه الأم من أعباء ذلك ، دعا إلى برها . كما أن قوله : ﴿ **أنْ اشكُر لي وَلوَالدَيكَ** ﴾ أغنى عن ذكر الإحسان[2] .

المسألة الثانية :

موضع المتشابه فيها : ذكر تفاصيل ﴿ **حَملُه وَفصَالُه** ﴾ في سورتي لقمان والأحقاف دون العنكبوت .

وقف الكرماني (ت ٥٠٥هـ) على ذلك بقوله بأنها " موافقة لما قبله من الاختصار ، وهو قوله : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات لنكَفرَن عَنهم سَيئَاتهم وَلَنجزيَنهم أحسَنَ الذي كانوا يَعمَلُونَ** ﴾[3] ، فإنه ذكر فيها جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام ، وأحسن نظام "[4] ، وأضيف إلى ما قاله الكرماني أنّ الآية من سورة العنكبوت لم تكن في سياق الترقيق على جانب الوالدين ؛ لكون الأم تدعو ابنها إلى نبذ الإسلام والعودة إلى الشرك ، فاكتفى بالإيصاء بهما خيراً مع الالتزام بطاعة الله والابتعاد عن الشرك .

أما في سورتي لقمان والأحقاف فقد أورد الحمل والفصال ؛ لتعليل الإيصاء والإحسان إليهما لما لقياه من مشقّة في تربيته . ففي آية لقمان أتت جملة ﴿ **حَمَلته أمه ..** ﴾ اعتراضاً بين (وصينا) وبين الموصى به " ، وفائدة ذلك إذكار الولد بما كابدته أمه من المشقة في حمله وفصاله ، فذكر الحمل والفصال يفيد زيادة التوصية بالأم ؛ لتحملها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلّفه الوالد ؛

---

(١) ينظر : ملاك التأويل ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي ، تحقيق : محمود كامل أحمد ، الناشر : دار النهضة العربية ، لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، د.ط ، ج٢ ، ص٧٦٤ .

(٢) ينظر : كشف المعاني في متشابه المثاني ، لبدر الدين بن جماعة ، تحقيق الدكتور : محمد محمد داود ، الناشـر : دار المنـار ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ص١٦٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٧) .

(٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن ، الكرماني ، ص١٤٧ . لم يذكر الغرناطي هذا الموضع ، فاقتصر على ذكر الاختلاف بين الصياغتين الحمل والفصال في كلّ من سورتي لقمان والأحقاف ، ج٢ ، ص٧٦٥-٧٦٦ .

ولهذا جاء في الحديث التوصية بالأم ثلاثاً ، وبالأب مرة "[١] .

المسألة الثالثة :

موضع المتشابه فيها : عبر بـ (اللام) في العنكبوت في قوله : ﴿ **وَإن جَاهَدَاكَ لتشركَ بِي** ﴾

و بـ (على) في لقمان فقال : ﴿ **وَإن جَاهَدَاكَ عَلى أن تشركَ بِي** ﴾ .

قال الكرماني (ت ٥٠٥هـ) : أنها جاءت في العنكبوت موافقة ما قبلها لفظاً ، وهو قوله : ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإنمَا يجَاهد لنفْسِه إن اللهَ لغَني عَن العَالمينَ** ﴾ [٢]، أما في لقمان فمحمول على المعنى ؛ لأن التقدير : وإن حملاك على أن تشرك[٣] .

أما ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ) فيقول : إن الفرق بين الآيتين " من حيث بناء آية العنكبوت على الإيجاز ؛ فناسب ذلك الاكتفاء باللام ، وبناء آية لقمان على الإطالة ؛ فناسب ذلك التعدية بعلى "[٤] .

ثم يأتي الطاهر ليلفتنا إلى وجه آخر فيقول : " أما آية العنكبوت فجيء فيها بلام العلّة ؛ لظهور أن سعداً كان غنياً عن تأكيد النهي عن طاعة أمه ؛ لقوة إيمانه "[٥] .

" أما حرف (على) فهو أدلّ على تمكن المجاهدة ، أي مجاهدة قوية للإشراك ... وهذا تأكيد للنهي عن الإصغاء إليهما إذا دعوا إلى الإشراك "[٦] .

ويظهر لي أنّ ما قاله ابن الزبير وابن عاشور غني عن التعقيب ، ولكن أحب أن أضيف إلى ذلك أنه لم يذكر هذا الجزء من الآية في سورة الأحقاف ؛ لأن الآية ذُكرت في قصة رجل مؤمن لأبوين مؤمنين ، فلم يكن بحاجة إلى ذكر مثل هذا ، فسبحان الله أحكم القائلين .

الموضع الثاني :

قال الله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ **وَلقَد أرسَلنَا نوحاً إلى قَومه فَلبِثَ فيهم ألفَ سَنَةٍ إلا**

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ج٣ ، ص٥٨ . ينظر في القسم الثاني والعشرين من أقسام التوكيد .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦) .

(٣) ينظر : البرهان ، للكرماني ، ص١٤٨ .

(٤) ملاك التأويل ، لأبي جعفر ، ج٢ ، ص٧٦٤ .

(٥) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٦٠ .

(٦) المرجع السابق ، بتصرف .

خَمسِينَ عَاماً فَأَخَذَهم الطوفَانُ وَهم ظَالمونَ ﴾[1].

وقال في الأعراف : ﴿ **لَقَد أَرسَلْنَا نوحاً إِلَى قَومه فَقَالَ يَا قَومِ اعبدواْ اللّهَ مَا لَكُم من إِلَـهٍ غَيره إِنيَ أَخَاف عَلَيكُم عَذَابَ يَومٍ عَظيمٍ** ﴾[2][3].

موضع المتشابه : ذكر الواو (ولَقَد)[4] في العنكبوت ، وفي الأعراف بتركها ، وهي الوحيدة في القرآن وردت بهذا اللفظ[5].

وأعرض ما قاله العلماء في المتشابه هنا في الآيتين من سورتي هود والمؤمنون وآية الأعراف ، ثم ما جاء في سورة العنكبوت .

يقول الإسكافي (ت ٤٣١هـ) في تعليقه على هذا الموضع من المتشابه : إن الواو لم تذكر في سورة الأعراف ؛ لعدم ارتباط الآية بما سبقها ، وأنها في حكم المنقطع عن الأول . فقال بعد أن ذكر الآيات السابقة لهذه الآية : " ولم يكن فيها بعثة نبي ومخالفة من كان له من عدو ، فصار كالأجنبي من الأول ، فلم يعطف عليه ، واستؤنف ابتداء كلام ليدلّ على أنه في حكم المنقطع من الأول "[6].

أما مجيء الواو في آية هود فلأنها عطف لهذه القصة على ما سبقها ؛ إذ كانت مثلها . يقول الإسكافي في ذلك : " وليس كذلك الآية في سورة هود ؛ لأن أولها افتتح إلى قصة نوح بما هو احتجاج على الكفار بآيات الله التي أظهرها على أيدي أنبيائه وألسنتهم - صلوات الله على جماعتهم - وتوعد لهم على كفرهم ، وذكر قصة من قصص من تقدمهم من الأنبياء الذين جحد آياتهم أُممهم ؛ فعطف هذه الآية على ما قبلها ؛ إذ كانت مثلها "[7]. أما آية سورة المؤمنون فقال فيها ما قاله في الأعراف بانقطاع الآيات عنها ، ومن ثم انتقل الحديث عن الفلك في قوله : ﴿ **وَعَلَيهَا وَعَلَى الْفُلْك تحمَلُونَ** ﴾[8]،

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٤) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٥٩) .

(٣) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ص٩٣٩ .

(٤) في العنكبوت : الآية (١٤) ، وفي هود : الآية (٢٥) ، وفي المؤمنون : الآية (٢٣) .

(٥) ينظر : البرهان ، للزركشي ، ج١ ، ص١١٦ ، عند ذكره للمتشابه باعتبار الإفراد في النوع الثاني منه ، وهـو المتشـابه بالزيـادة والنقصان ، ص١١٥ .

(٦) الإسكافي في درة التنزيل ، ص١٠٨ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) سورة المؤمنون : الآية (٢٢) .

فعطف عليها بواو العطف[1] .

ولا يختلف الكرماني (ت ٥٠٥هـ) عن سابقه ، فجاء معللاً لحذف الواو من آية سورة الأعراف بأنه لم يتقدم ذكر رسول ، فكان استئناف كلام . أما في سورة هود فقد تقدم ذكر الرسول مرات . وفي المؤمنون تقدم قوله : ﴿ **وَعَلَى الفُلْك ..** ﴾ ، فأتى ذكر نوحٍ ضمناً ، ولأنه أول من وضع الفلك[2] .

ويتبع الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) في تعليله لحذف الواو من آية الأعراف وذكرها في آية سورة هود ما قاله سابقوه في أنها في الأولى ابتداء ، وفي الثانية عطف على القصة التي سبقتها . أما آية سورة المؤمنون فيقول فيها : إنه سبقها ما يناسب العطف عليه ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَد خَلَقْنَا الإِنسَانَ من سلالَةٍ من طينٍ ۞ ثُم جَعَلْنَاه نطْفَةً في قَرَارٍ مكينٍ ۞ ثُم خَلَقْنَا النطْفَةَ عَلَقَةً ...** ﴾[3] ، كما قال : ﴿ **وَلَقَد خَلَقْنَا فَوقَكُم سَبعَ طَرَائقَ وَمَا كُنا عَنِ الْخَلْقِ غَافلينَ** ﴾[4] ، فذكر سبحانه ما أنعم به على خلقه من مراحل تطور نموه ، وكانت مفتتحة بـ(ولقد) ، فعطف عليها ما أنعم به من إرسال الرسل ، والذين كان أولهم نوحاً ، وهذا يناسب ما ذكره من النعم الأولية للإنسان[5] .

ويجمع ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) بين آراء الذين سبقوه ، فلا يضيف شيئاً[6] .

وقياساً على ما ذكره علماؤنا الأفاضل من مجيء لفظ الواو في قوله : ﴿ **وَلَقَد** ﴾ في سورتي هود والمؤمنون ، نجد أنها ذكرت في سورة العنكبوت باعتبارها واو عطف ، حيث عطف على قوله سبحانه : ﴿ **وَلَقَد فَتنا الذينَ من قَبلهم** ﴾ ، فذكر قصة نوح وما كان معه من ابتلاء[7] .

وكذلك الأمر في هود ، كانت الواو لعطف قصة على قصة . أما في آية سورة المؤمنون فقد بدأ الله السورة بأوصاف المؤمنين وما استحقّوه من الثواب الأعظم ، ثم ذكر في المقابل دلائل وحدانيته للمنكرين والمكذبين بدءاً بمراحل خلق الإنسان إلى أن يكبر ثم يموت ويبعث ، وكذلك ما سخره

---

(١) ينظر : الإسكافي في درة التنزيل ، ص١٠٨ .

(٢) ينظر : البرهان ، للكرماني ، ص٧٥ .

(٣) سورة المؤمنون : الآيات (١٢-١٤) .

(٤) سورة المؤمنون : الآية (١٧) .

(٥) ينظر : الملاك ، ج١ ، ص٣٨٦ .

(٦) ينظر : كشف المعاني ، لبدر الدين ، ص١٠٤ .

(٧) ينظر : البقاعي في نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٤٢ .

للإنسان من خيرات ، سواءً نباتات تؤكل ، أوحيوانات تحملهم للتنقّل على الأرض ، أما على البحر فتحملهم السفن التي عرفها قبلهم قوم نوح ، فناسب ذلك عطف قوله : ﴿ **وَلَقَد أَرسَلْنا نوحاً إلَى قَومه** ﴾ على : ﴿ **وَعَلَيهَا وَعَلَى الفُلْكِ تحمَلُونَ** ﴾ " إدماجاً وتهيئة للتخلص إلى قصة نوح "[(١)]. كذلك يمكن القول : إنه بعد أن ذكر دلائل الإيمان في النفس والآفاق ، عطف عليها حقيقة الإيمان الواحدة التي اتفق عليها الرسل جميعاً[(٢)]. فإذا كان ما سبق ذكره من الآيات هي من نعم الله على الإنسان ، فإنّ من هذه النعم أن أرسل الرسل لتنبيه الناس وإعلامهم إلى أنّ هناك إلهاً واحداً مستحقاً للعبادة وحده دون سواه .

الموضع الثالث :

قال الخالق في محكم التنزيل : ﴿ **أَوَلَم يَروا كَيفَ يبدئ اللهُ الخَلْقَ ثُم يعيده إن ذَلكَ عَلَى اللهِ يَسِير** ﴾[(٣)].

وقال في سورة الأنعام : ﴿ **أَلَم يَرَواْ كَم أَهلَكْنَا من قَبلهم من قَرنٍ مكناهم في الأَرضِ مَا لَم نمَكن لكُم وَأَرسَلْنا السمَاء عَلَيهم مدرَاراً وَجَعَلْنا الأَنهَارَ تَجري من تَحتهم فَأَهلَكْنَاهم بِذُنوبِهم وَأَنشَأْنا من بَعدهم قَرناً آخَرينَ** ﴾[(٤)].

موضع المتشابه : لفظ الواو في : ﴿ **أَوَلَم يَروا** ﴾ في العنكبوت ، وحذفها من الأنعام : ﴿ **أَلَم يَرَوا** ﴾[(٥)].

يذكر الإسكافي (ت ٤٣١هـ) رأياً عاماً فيقول : إن " كلّ ما فيه واو مثل : ﴿ **أَوَلَم يَرَوا** ﴾ فهو تنبيه على ما تقدمه في التقدير أمثال له منبهة لكثرتها ، فالتبكيت فيه أعظم ، فهذا كله في المشاهد وما

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، م٩ ، ج١٨ ، ص٤٠ .
(٢) ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص٢٤٦٣ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (١٩) .
(٤) سورة الأنعام : الآية (٦) .
(٥) كما جاء لفظ الواو في سورة الرعد : آية (١١) ، والنحل : آية (٤٨) ، والإسراء : آية (٩٩) ، والروم : آية (٣٧) ، والسجدة : آية (٢٧) ، ويس : آية (٧١) ، وفصلت : آية (١٥) ، والملك : آية (١٩) ، والأحقاف : آية (٣٣) . وبدونها في سورة الأعراف : آية (١٤٨) ، والنحل : آية (٧٩) ، والنمل : آية (٨٩) ، ويس : آية (٣١) . ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ص٩٩٣ .

في حكمه ، وما ليس فيه واو ﴿ **أَلَمْ يَرَوا** ﴾ فهو ما لم يقدر قبله ما يعطف عليه ما بعده ؛ لأنه من باب ما لا يكثر مثله ، وذلك مما يؤدي إلى علمه الاستدلالات "[1].

ثم يأتي الكرماني (ت ٥٠٥هـ) ليؤكد على ما ذكره الإسكافي ، فيقول فيما ذكر فيه الواو بعد الألف : أنه متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة ، فالألف للاستفهام ، والواو لعطف الجملة على ما قبلها . أما ما اقتصر اللفظ فيه على الألف فيكون متصلاً بما كان الاعتبار فيه بالاستدلال ؛ لتجري مجرى الاستفهام[2].

ويفصل الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) القول فيما يخص الآيتين من سورتي الأنعام والشعراء ، فيقول : " فلما لم يكن وضوح التنبيه فيما قبل آية الأنعام كوضوحه في السورة الأخرى بما انجر معه من التخويف المتمكن ، وإنما المتقدم قبل قوله : ﴿ **أَلَمْ يَرَوا** ﴾ إيماء إلى الاعتبار بأحوال القرون السالفة ، وليس كالواقع قبل آية الشعراء "[3]، حيث كان " أوضح وأنص من حيث التخويف ؛ لعدم الاعتبار بالدلائل المنصوبة مشاهدة للمعتبرين "[4].

فما فيه واو العطف بعد الهمزة فيه معطوف عليه محذوف يقدر قبل الواو ، وتقدير الكلام : (أغَفلُوا ولم يروا) ؟ ووجود الواو الدالة على هذا العطف المقدر إشارة إلى إهمالهم لأدلة مشاهدة ينبغي الاعتبار بها .

الموضع الرابع :

قال المبدئ المعيد في سورة العنكبوت : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[5].

وقال في سورة الأنعام : ﴿ **قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[6].

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ، ص٧٨ .

(٢) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص٦٠ ، ويتبعه بدر الدين ، ص٩٢ .

(٣) ملاك التأويل ، ج١ ، ص٢٨٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) سورة العنكبوت : الآية (٢٠) .

(٦) سورة الأنعام : الآية (١١) .

علّق الإسكافي (ت ٤٣١هـ) على آية سورة الأنعام ، والتي خصها بـ(ثُـم) التي تفيد تراخي المهلة بين الفعلين ؛ إذ " لم يجعل النظر فيه واقعاً عقيب السير متعلقاً وجوده بوجوده ؛ لأنه يبعث على سير بعد سير ؛ لما تقدم من الآية التي تدلّ على أنه تعالى حداهم على استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد .... فجعل السير في الأرض في هذا الموضع مأموراً به على حدة ، والنظر بعده مأموراً به على حدة "[١] .

أما عن المواضع التي دخلتها (الفاء) فلأنه علّق فيها وقوع النظر بوقوع السير ، فلم يسبقها ما يحدو على السير[٢] .

يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في الفرق بين التعبيرين : إنه " جعل النظر مسبباً عن السير في قوله : ﴿ **فانظُروا** ﴾ ، فكأنه قيل : سيروا لأجل النظر ، ولا تسيروا سير الغافلين .

وأما قوله : ﴿ **سيروا في الأرض ثُم انظُروا** ﴾ فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر في الهالكين ، ونبه على ذلك بـ(ثُم) ؛ لتباعد ما بين الواجب والمباح "[٣] .

ويأتي الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) ليقول : إن الآيات التي عطف المأمور فيها بـ(الفاء) أنهم " أمروا أن يعقبوا سيرهم بالتدبر والاعتبار وحصر نظرهم ، واعتبارهم في المعقب المذكور بعد الفاء ، ولم تقع إشارة إلى اعتبارهم بغير ذلك "[٤] .

أما آية سورة الأنعام فقد افتتحت بذكر خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، فكأنه أمرهم أن يعتبروا بخلقها وعجائب آياتها ، فعطف بـ(ثُم) المقتضية مهلة الزمان ، وتفخيم الأمر ، وتفاوت المنظور فيه ، وتجريد الأمر بالنظر لكل من الضربين مما كان قبلها وما كان بعدها[٥] ، وبذلك عطف كلّ أمر بما يناسـبه .

---

(١) درة التنزيل ، ص٨٠ ، بتصرف .

(٢) المرجع السابق ، ص٨٠ . ويكرر الكرماني ما قاله الإسكافي في رأيه مختصراً ، ينظر : كتابه البرهان ، ص٦٠ .

(٣) الكشاف ، ج٢ ، ص٢ ، سورة الأنعام . معنى قوله : (الواجب والمباح) ، أي : الواجب من إيجاب النظر ، والمباح من التجارة وغيرهـا . ويتبعه في ذلك الرازي في التفسير الكبير ، ج١٢ ، ص١٣٥ ، وأبو السعود في تفسيره ، ج٢ ، ص١٢٨ ، والألوسي في روح المعـاني ، ج٧ ، ص١٠٣-١٠٤ ، مع اختلاف في العبارات .

(٤) ملاك التأويل ، ج١ ، ص٢٩٣ .

(٥) ينظر : المرجع السابق .

ويرى ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) أنّ آية الأنعام ظاهرٌ فيها الأمر بالسير في بلاد المهلَكين ، فناسب (ثُم) ، وهي مرتبة على السير المأمور به سابقاً . أما في مواضع التعبير بِـ(الفاء) الأمر بالنظر يكون بعد السير المتقدم ، فكأنه قيل : (قد ساروا فلينظروا)[١] .

إذن (الفاء) حرف عطف يفيد التعقيب ، فلا يكون هنالك مدة بين المتعاطفين . و (ثُم) أيضاً حرف عطف ، إلا أنه يفيد الترتيب والتراخي والمهلة[٢] .

ويتبين مما سبق أنّ العطف بـ(ثُم) في ﴿ **سيروا في الأرض ثُم انظُروا** ﴾ لاستقلال الأمر بالنظر ، فهو أمر مستقلّ عن السير للاعتبار ، وذلك لسبق الإخبار بهلاك الأقوام السابقة في قوله : ﴿ **ألَم يَرَوا كَم أهلَكْنا من قَبلهم من قَرنٍ ...** ﴾[٣] ، ولأهمية النظر ناسب العطف بـ(ثم) ؛ لإعطاء مهلة بين الفعلين .

أما ما كان الربط فيها بـ(الفاء) فلكون الأمر بالنظر لم يكن مستقلاً منفصلاً عن السير ، فناسب التعبير بالفاء .

الموضع الخامس :

قال عز من قائل : ﴿ **يعَذب مَن يَشَاءُ وَيرحَم مَن يَشَاءُ وَإلَيه تقْلَبونَ** ﴾[٤] .

جاء هذا السياق في سورة العنكبوت ، فقدم العذاب على الرحمة ، وما جاء في موضع آخر هو ذكر المغفرة ثم العذاب ، نحو قوله تعالى : ﴿ **لله ما في السمَاوات وَمَا في الأرض وَإن تبدوا مَا في أنفُسكُم أو تخفُوه يحَاسبكُم بِه اللهُ فَيغفر لمَن يَشَاءُ وَيعَذب مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُل شَيءٍ قَدير** ﴾[٥] .

ولم يذكر هذا الموضع من المتشابه سوى شيخنا الكرماني ، حيث يقول : " جاء تقديم العذاب

---

(١) ينظر : كشف المعاني ، لبدر الدين ، ص٩٣ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ، لابن هشام ، ج١ ، ص١١٧ ، ج١ ، ص١٦١ .

(٣) سورة الأنعام : الآية (٦) .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٢١) .

(٥) سورة البقرة : الآية (٢٨٤) .

على الرحمة في هذه السورة فحسب ؛ لأن إبراهيم خاطب به نمروذاً وأصحابه ، وأنّ العذاب وقع بهم في الدنيا "[1] .

وقال صاحب التحرير والتنوير : " وابتدئ بذكر العقاب لأنّ الخطاب جارٍ مع منكري البعث الذين حظهم فيه هو التعذيب "[2] .

---

(١) البرهان في متشابه القرآن ، ص١٤٨ .

(٢) ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٢ .

الموضع السادس :

قال ذو القوة المتين في سورة العنكبوت : ﴿ **وَمَا أنتم بِمعجِزِينَ في الأرضِ وَلاَ في السمَاء وَمَا لَكُم من دون اللهِ من وَلي وَلاَ نَصيرٍ** ﴾ [(١)] .

وفي الشورى قال سبحانه : ﴿ **وَمَا أنتم بِمعجِزِينَ في الأرضِ وَمَا لَكُم من دون اللهِ من وَلي وَلاَ نَصيرٍ** ﴾ [(٢)] .

موضع المتشابه : ذكر في العنكبوت : ﴿ **وَلاَ في السمَاءِ** ﴾ ، ولم يأت ذكرها في الشورى .

وفي هذا يورد الإسكافي ثلاثة أقوال وردت في آية سورة العنكبوت ، وإن كان يرجح أولها ويرى فيه كفاية للجواب .

القول الأول : أن سورة العنكبوت كانت تحكي قول إبراهيم لكفار قومه وما كان من موقف نمروذ الذي حاجه ، حتى كان يوهم أنه يستطيع الصعود إلى السماء ، فرد عليهم إبراهيم بأنهم لا يفوتون الله في الأرض ولا في السماء .

القول الثاني : أن يكون المقصود من آية سورة العنكبوت : لا تفوتون من في الأرض من الجن والإنس ، ولا من في السماء من الملائكة ، وهم خلق الله ، فكيف تعجزون الخالق تعالى عن ذلك ؟.

القول الثالث : لا تفوتون أنفسكم من عقاب الله عليكم إن هربتم في الأرض كلّ مهرب ، وإن صعدتم في السماء كلّ مصعد لو استطعتم .

أما آية سورة الشورى فقال إنها جاءت بعد قوله : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم من مصيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَت أيديكُم وَيعفُو عَن كَثيرٍ** ﴾ [(٣)]، وهو عام في المصائب إذا كان المراد المشركين والمؤمنين ، وقد يراد به الخصوص ، وهو المسلمون ؛ لدلالة قوله : ﴿ **وَيعفُو عَن كَثيرٍ** ﴾ ، ثم تبعه : ﴿ **وَمَا أنتم بِمعجِزِينَ في الأرضِ** ﴾ ، وفي هذا وعيد لهم ، أي : لا تسلكوا مسلكاً تظنون أنكم تلجؤون إليه من عقاب الله إذا

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢٢) .

(٢) سورة الشورى : الآية (٣١) .

(٣) سورة الشورى : الآية (٣٠) .

وجب عليكم ، فالمخاطَبون لا يناسبهم القول : ﴿ **وَلا في السَمَاءِ** ﴾ [١].

أما الغرناطي فيتفرد برأي يقول فيه : لَما تقدم آية سورة العنكبوت قوله : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئاتِ أن يَسبِقُونَا سَاءَ مَا يَحكُمونَ** ﴾ [٢]، وفيه أشد الوعيد ، ومفاده أنه لا يفوته أحد ، فلا مهرب منه سبحانه إلا إليه ، فناسب قوله : ﴿ **وَمَا أنتم بِمعجِزينَ في الأرضِ وَلا في السَمَاءِ ...** ﴾ [٣].
أما سورة الشورى فخلت من مثل هذا الوعيد الشديد ولا ما يستدعيه ، فورد ما يناسبه ، فقال : ﴿ **وَمَا أنتم بِمعجِزينَ في الأرضِ ...** ﴾ [٤].

وعلّق البقاعي على آية سورة العنكبوت بأنها سيقت في أثناء ذكر قصة سيدنا إبراهيم ، فيمكن أن يكون في الآية نظر إلى قصة نمروذ أراد بناء صرح يصل به إلى السماء[٥].

وأما ما يخص آية الشورى فقال فيها : " لما كان الكلام في العقوبة في الدنيا قبل الموت ، ولم يكن أحد يدعي فيها التوصل إلى السماء ، ولم يدعِ داعٍ إلى ذكرها بخلاف ما مضى في العنكبوت "[٦].

ويشير ابن عاشور إلى أن الزيادة التي جاءت في آية سورة العنكبوت لم تقع في آية سورة الشورى ؛ لأن آية سورة الشورى جمعت خطاباً للمسلمين والمشركين في قوله : ﴿ **وَمَا أصَابَكُم من مصيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَت أيديكُم وَيَعفُو عَن كَثير** ﴾ [٧]، وأما ما كان في آية سورة العنكبوت فهو من المبالغة المفروضة المقبولة لإبطال اغترارهم بتأخير الوعيد الذي توعده في الدنيا[٨].

وأنتهي مما سبق إلى القول بأن آية العنكبوت بزيادة ﴿ **وَلا في السَمَاءِ** ﴾ جاءت في سياق الآيات المتضمنة لقصة إبراهيم قبلها وبعدها ، وقد كان حجاج إبراهيم مع نمروذ بن كنعان الذي ادعى إمكانية

---

(١) ينظر : الإسكافي في درة التنزيل ، ص٢٤٢ ، ويأتي الكرماني مختصراً لما قاله الخطيب ومكرراً له ، ص٤٨ ، وكذلك ابن جماعة ، ص١٦٢ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤) .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٢٢) .
(٤) ينظر : ملاك التأويل ، ج٢ ، ص٧٦٦-٧٦٧ .
(٥) ينظر : نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٤٩ .
(٦) نفسه : ج٦ ، ص٦٣٢ .
(٧) سورة الشورى : الآية (٣٠) .
(٨) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٣٣ .

الوصول إلى السماء ، وذلك ببناء صرح ، فجاءت الآية لترد زعمه ، فلا يفلت من قبضة الله أحد ، سواء غار في الأرض أو صعد في السماء .

أما آية سورة الشورى فقد كان الخطاب فيها عاماً للمسلمين وللمشركين ، ولم يكن مناسباً أن يقال للمسلمين : ﴿ **وَلا في السَمَاءِ** ﴾ ، فجاء تذكيرهم بأنه لا مفر من عقاب الله إذا وجب على من يستحقّه - والله أعلم - .

الموضع السابع :

قال العلي الكبير في سورة العنكبوت : ﴿ **وَلُوطاً إذْ قَالَ لقَومه إنكُم لَتأتونَ الْفَاحشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا من أحَدٍ منَ الْعَالَمينَ ۞ أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ ...** ﴾ [1].

وقال قبلها في سورة الأعراف : ﴿ **وَلُوطاً إذْ قَالَ لقَومه أتأتونَ الْفَاحشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا من أحَدٍ من الْعَالَمينَ** ﴾ [2].

وقال في النمل : ﴿ **وَلُوطاً إذْ قَالَ لقَومه أتأتونَ الْفَاحشَةَ وَأنتم تبصرونَ** ﴾ [3].

في الآية مسألتان :

<u>المسألة الأولى :</u>

موضع المتشابه فيها - كما جاء عند الكرماني - أنّ قوله في سورتي الأعراف والنمل : ﴿ **لتأتون الرجال** ﴾ بالاستفهام ، ثم زاد في الأعراف التأكيد بـ (إن) في : ﴿ **إنكُم لَتأتونَ الرجَالَ** ﴾ ، وتركه دون تعليل لمجيء الاستفهام . أما آية العنكبوت فيتوالى فيها التوكيدان دون السورتين السابقتين ، حيث جاء التأكيد بـ (إن) في : ﴿ **إنكُم لَتأتونَ** ﴾ ، ثم بـ (أإن) في : ﴿ **أَإنكُم لَتأتونَ الرجَالَ** ﴾ ؛ وذلك لموافقة آخر القصة ، حيث جاء قوله : ﴿ **إنا مَنجوكَ** ﴾ و ﴿ **إنا منزلُونَ** ﴾ ، فاقتضى التأكيد بالاستفهام

---

(1) سورة العنكبوت : الآيتان (٢٨-٢٩) .
(2) سورة الأعراف : الآية (٨٠) .
(3) سورة النمل : الآية (٥٤) .

ليتناسب مع ما جاء قبلها من جمل مؤكدة[1] .

ويأتي الغرناطي بتعليقٍ جميل أكثر وضوحاً ، فيقول بعد أن يفصل القول في سورتي الأعراف والنمل : " ولّما تقدم في سورتي الأعراف والنمل : تقريرهم تقريعاً وتوبيخاً ، وعرفوا بذلك مرة بعد مرة ، وردت قصتهم في العنكبوت مؤكدة بـ (إن واللام) ؛ لثبوتها ، فوردت مورد ما يجيء به القسم ملتقياً به القسم ؛ إذ قد تقدم تقريرهم بالتوبيخ مرتين . فجاء الإخبار بعد بما به يخبر عن المتقرر الثابت ، ولم يكن ليناسب العكس "[2] .

ومن هذا يثبت أن لتناسب ترتيب السور سرا في الوقوف على سر المتشابه ، فلما جاء الاستفهام التقريري في الأعراف بقوله : ﴿ **أَتأتونَ الفَاحشَةَ** ﴾ ، ثم تكرر في النمل بنفس الصيغة ، ناسب مجيء التأكيد في سورة العنكبوت بـ (إن) في : ﴿ **إنكُم** ﴾ ، واللام في : ﴿ **لَتأتونَ** ﴾ على ما قررهم عليه من سوء فعلتهم السابقين إليها .

كما أنّ تكرار التوكيد في سورة العنكبوت كان مناسباً لما جاء بعدها من آيات مؤكدة .

<u>المسألة الثانية</u> :

موضع المتشابه : قال في سورتي العنكبوت والأعراف : ﴿ **مَا سَبَقَكُم بِهَا من أحَدٍ من العَالَمينَ** ﴾ ، بينما قال في النمل : ﴿ **وَأَنتم تبصرونَ** ﴾ .

تكلّم الإسكافي في هذا الموضع ، إلا أنه لم يذكر آية سورة العنكبوت ، ولعله اكتفى في ذلك بما قاله في سورة الأعراف ، حيث يرى أنّ قصة سورة النمل قبل سورة الأعراف - أي من حيث النزول لا من حيث التلاوة - ، وعلى هذا اقتضى أن يصف الفاحشة في نفسها بقوله : ﴿ **وَأَنتم تبصرونَ** ﴾ ، ثم ذكر أسبقيتهم إليه بقوله : (ما سبقكم إليها من أحد من العالمين)[3] .

ثم يأتي أبو جعفر مجملاً القول في الأعراف والعنكبوت بأنّ الآيات التي سبقت قصة لوط ذكرت - بالتفصيل - أحوال الأمم المكذبة وما كان منهم ، وكيف كان أخذهم . ومع هذا لم يسبق أحد إلى مثل هذه الفعلة بالرغم من سوء ما اقترفته تلك الأمم المكذبة ، فناسب ذكر تلك الأمم قبلهم تقريعاً

---

(١) ينظر : الكرماني في البرهان ، ص٧٨ .

(٢) ملاك التأويل ، ج١ ، ص٤٢٠ .

(٣) ينظر : درة التنزيل ، ص١٢٠ .

لهؤلاء ؛ لكونهم أول من فعلَ تلك الشناعة[1] .

أما سورة النمل فينظر إليها من وجهين :

- الوجه الأول : أنه لم يتقدم فيها " تفصيل أحوال الأمم المكذبين وأخذهم ، ولم يذكر ذلك ، كان ذكرهم كأن لم يتعرفوا حال من تقدمهم ، فعدل عن توبيخهم بما وبخوا ، حيث ذكر من كان قبلهم إلى ضرب آخر من التوبيخ لم يكن ينص عليه في الأعراف من بيان شنيع المرتكب "[2]، فعلى المرء أن يكتفي بعقله وإبصاره في تمييز ما يشنع من القول .

- الوجه الثاني : في مجيء ﴿ **وَأنتم تبصرونَ** ﴾ أنه تقدم في سورة النمل في قصة موسى عليه السلام قوله : ﴿ **فَلَما جَاءَتهم آياتَنا مبصرَةً** ﴾ ، فناسب ما قيل في قصة لوط ، كما أنه أعقبها بقوله : (وأنتم قوم تجهلون)[3] .

وننتهي إلى ابن عاشور الذي يعلّل اختلاف الصياغات في قصص الأنبياء عموماً بأنه يكون لأحد سببين :

أحدهما : أن اختلاف المقام يقتضي اختلاف المقولة ، فكلّ مقولة ذكرت مناسبة للمقام الذي قيلت فيه .

والآخر : أنّ اختلاف الحكاية تفنناً مع اتحاد المعنى ؛ هو من أسلوب القرآن لتجديد نشاط السامع[4] .

الموضع الثامن :

وإكمالاً لما جاء من قصة لوط قال المولى عز وجل في سورة العنكبوت : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم المنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا ائْتَنا بِعَذَابِ اللهِ إن كُنتَ منَ الصادقينَ** ﴾[5] .

---

(1) ينظر : الملاك ، ج1 ، ص420 .

(2) المرجع السابق .

(3) ينظر : المرجع السابق .

(4) ينظر : التحرير والتنوير ، م9 ، ج19 ، ص288 .

(5) سورة العنكبوت : الآية (29) .

وفي سورة الأعراف قال تبارك وتعالى : ﴿ **إنكُم لَتأتونَ الرجَالَ شَهوَةً من دون النسَاء بَلْ أنتم قَوم مسرفُون ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا أخرجوهم من قَرَيتكُم إنهم أُنَاس يَتَطَهرونَ** ﴾[1] .

وقال سبحانه في سورة النمل : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ شَهوَةً من دون النسَاء بَلْ أنتم قَوم تَجهَلُونَ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه إلا أن قَالُوا أخرجوا آلَ لُوطٍ من قَرَيتكُم إنهم أُنَاس يَتَطَهرونَ** ﴾[2] .

وفيها ثلاث مسائل :

المسألة الأولى :

موضع المتشابه فيها : قوله : ﴿ **لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ** ﴾ في سورة العنكبوت ، بينما قال في سورتي الأعراف والنمل : ﴿ **لَتأتونَ الرجَالَ شَهوَةً من دون النسَاء** ﴾ .

لم يتناول الإسكافي هذه المسألة ولا الكرماني ، بينما قال فيها الرازي عند تعليقه على آية سورة العنكبوت : " ﴿ **أإنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقْطَعونَ السبِيلَ** ﴾ بياناً لما ذكرنا ، يعنى : تقضون الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء المشتمل على المصلحة التي هي بقاء النوع حتى يظهر أنه قبيح لم يستر قبحه مصلحة ، وحينئذ يصير هذا كقوله تعالى : ﴿ **لَتأتونَ الرجَالَ شَهوَةً من دون النسَاء** ﴾ "[3] ، إذن يرى الرازي أنّ ما ذكر في سورة العنكبوت يعطي المعنى نفسه لما ذكر في الأعراف والنمل ، وهذا يؤكد ما ذكرته آنفاً من قول الطاهر : إن من أسلوب القرآن اختلاف الحكاية تفنناً مع اتحاد المعنى .

ويرجع الغرناطي المتشابه إلى تناسب السياق والتدرج في سرد القصة القرآنية ، والذي يعود إلى التناسب في ترتيب السور . لَما أشار في سورة الأعراف إلى قبح مرتكبهم ، ونص على أفحشها ، وكان قد أومأ إلى ما وراء ذلك بقوله : ﴿ **بَلْ أنتم قَوم مسرفُونَ** ﴾ .

أما في سورة النمل فنفى عنهم فائدة الإبصار : ﴿ **أَتأتونَ الفَاحشَةَ وَأنتم تبصرونَ** ﴾ ؛ إذ لم تغنِ

---

(١) سورة الأعراف : الآيتان (٨١-٨٢) .

(٢) سورة النمل : الآيتان (٥٥-٥٦) .

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، ج٢٥ ، ص٥٢ . سبق أن ذكرت في مبحث البيان ، ص١٣٠ ثلاثة معان لهذه العبارة ، والتي كان من بينها المعنى الذي أشار إليه الرازي .

عن ارتكابكم لأردأ الأعمال ، وما هذا إلا لكونكم ﴿ **قَوماً تَجهَلُونَ** ﴾ شنيع فعلتكم .

وسورة العنكبوت أتت في ترتيبها بعد سورة الأعراف ثم النمل . فلما أجمل في الأعراف القول في سائر جرائمهم ، أتبع في السورة الثانية - النمل - ذكر شنيع حالهم في تلك الفعلة وإعلان فحشها للأبصار والبصائر ، ثم فصل قبائح أفعالهم في سورة العنكبوت والتنصيص عليها ، وكل جاء على ما يجب ، ولا يجوز العكس[1] .

وأعود للقول بأنّ عرض القصة ارتبط بترتيب السور ، فإذا بدأت الأعراف بذكر أعظم فاحشة ارتكبوها ، فإن النمل زادت إلى ذكر الفاحشة وصف بشاعة صنيعهم ؛ حيث يرتكبونها على مرأى من الناس ، لتأتي سورة العنكبوت مفصلةً القول : ﴿ **أئنكُم لَتأتونَ الرجَالَ وَتَقطَعونَ السبِيلَ وَتَأتونَ في نَاديكُم المُنكَر** ﴾ ؛ لتكتمل بذلك صورة مساوئهم .

<u>المسألة الثانية :</u>

موضع المتشابه : عطف بالفاء في قوله : ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِه** ﴾ في سورتي العنكبوت والنمل ، وفي سورة الأعراف عطف بالواو فقال : ﴿ **وَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِه** ﴾[2] .

قال الإسكافي : " الواو والفاء جائزتان في الموضعين ، إلا أنه يختار حيث جاء الأصل الذي وضعت الفاء فيه ؛ لتوجب ما بعدها لوجود ما قبلها ، وهو الفعل ، واختيرت الواو حيث كان الملفوظ به الاسم لتفرق بين الموضعين ، فتختار لكل ما هو به أليق ؛ إذ ليس الاسم أصلاً فيما جعلت الفاء الجواب فيه "[3] . ومفاد قوله أنّ الواو يسبقها الاسم ، والفاء يسبقها الفعل ، وهذا ما جاءت عليه السور .

ولا يختلف الكرماني عن الإسكافي ، حيث يقول : عبر بالواو لأنّ ما جاء قبله اسم ، أما الفاء فللتعقيب ، ويكون هذا مع الأفعال[4] .

ويضيف أبو جعفر الغرناطي إلى ما قالاه : " أنه يراد مع (ما) سببية معنى المجازاة ، وكان الكلام

---

(1) ينظر : ملاك التأويل ، ج١ ، ص٤٢٣ .

(2) أشار الزركشي إلى هذا الموضع في كتابه البرهان في علوم القرآن ، في فصل المتشابه باعتبار الإفراد ، ج١ ، ص١٢٩ .

(3) درة التأويل وغرة التنزيل ، ص١١٩ .

(4) ينظر : البرهان في توجيه القرآن ، ص٧٩ .

المجاوب بصريح الفعل ؛ إذ هو أوضح إحرازاً لهذا المعنى ، فحيث جيء هذا فالوجه والأولى الفاء "[(١)] .

أما الطاهر فيرى أنّ اختلاف حرف العطف يعود إلى :

١- تفنن في الحكاية .

٢- ومراعاة للنظير في النسج[(٢)] .

وتبين مما سبق أنه ناسب التعبير بحرف العطف (الفاء) ؛ لتقدم الفعل قبلها ، ففي سورة النمل قال تعالى : ﴿ **بَلْ أنتم قَوم تَجهَلُونَ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه ..** ﴾ ، وفي سورة العنكبوت قال : ﴿ **وَتَأتونَ في نَاديكُم المنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه** ﴾ ، فيلاحظ أنه في كلتي السورتين سبقت الفاء بالفعل ، ومن جهة أخرى التناسب في المبنى ، فسبق الحديث في سورة النمل عن قصة صالح بقوله سبحانه : ﴿ **فَإِذَا هم فَرِيقَان يَختَصمونَ** ﴾ ، فناسب أن يأتي التعبير بالفاء على نفس النسج في قصة لوط .

أما سورة الأعراف فقد عبر بالواو ؛ لأنها سيقت باسم ، فقال سبحانه : ﴿ **بَلْ أنتم قَوم مسرفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَومه** ﴾ ، بالإضافة إلى أنّ الواو مع (ما) أفادت أنّ جوابهم كان بعد أن تناقشوا بينهم ، فاتفقوا على ما سيقولونه ، ثم جاء ردهم[(٣)] .

المسألة الثالثة :

موضع المتشابه فيها : اختلاف جوابهم ، ففي سورة العنكبوت قالوا : ﴿ **ائْتنَا بِعَذَابِ اللهِ** ﴾ ، أما في سورتي الأعراف والنمل فكان جوابهم بالإخراج من القرية .

قال صاحب الدرة : إن جوابهم في سورتي الأعراف والنمل جاء بعد أن تكرر الإنذار والأعذار من لوط لقومه ، أما اختلاف جوابهم في سورة العنكبوت فهو لا ينفي أن يكون من جهتهم ، على أنه لو كان كلّ ذلك في موقف واحد لكان جائزاً أن يكون جواب طائفة منهم ما ذكر أولاً ، وجواب طائفة أخرى ما ذكر ثانياً ، وكل من الطائفتين قومه[(٤)] .

---

(١) الملاك ، ج١ ، ص٤٢٧ .

(٢) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٤ .

(٣) ينظر : المبنى والمعنى ، للدكتور : عبد المجيد ياسين ، ص٩٨ .

(٤) ينظر : الإسكافي ، ص١٢٠ ، أما الكرماني فلم يذكر هذا الموضع .

وينظر الرازي للجمع بين الجوابين من زاوية أخرى ، فيقول : " لوط كان ثابتاً على الإرشاد ، مكرراً عليهم التغير والنهي والوعيد ، فقالوا أولاً : (ائتنا) ، ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا : (أخرجوا) "[١]. فهي كلها أجوبتهم ، لكنها اختلفت بتعدد مواقف النصح من لوط ، ونكران لهذا النصح .

أما صاحب الملاك فيرى عكس ما ذكر الرازي ، حيث يقول : " وكأن قد قالوا : ﴿ **أخرجوهم** ﴾ فإن كان عذاب فليأت به ، فلما اشتد حنقُهم هنا ، طلبوا العذاب ، وعدلوا عن ذلك السبب ، استعجالاً للمسبب ، فجاء كلّ من هذا على ما يجب "[٢]. وعلل جوابهم في سورة العنكبوت أنه كان مترتباً على تعداد قبائح مرتكباتهم ، فكان أشد توبيخاً وأكثر إشعالاً لسوء أخلاقهم ، فصدر عنهم ذلك الجواب : ﴿ **ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ** ﴾ [٣].

ثم يأتي صاحب كشف المعاني ليجمع بين ما قاله الإسكافي والغرناطي ، فيعلل اختلاف الجوابين :

١- باختلاف المجالس ، فجوابهم في الأعراف كان مناسباً لاختصاره في ذكر إتيانهم الفاحشة وإظهارها ، وفي مجلس آخر عدد ذنوبهم ، فناسب مطالبتهم بإتيان العذاب إليهم .

٢- أو أنّ كل جواب صدر من طائفة ، فحكي كما ذكر عنهم[٤].

ويذكر صاحب روح المعاني ما ذكره الرازي ومن تبعه ، ويفصل القول في ذلك ويضيف عليه أقوالاً أخرى ، وهي : " أنّ (ما) هنا - أي في سورة العنكبوت - جواب قومه ﷺ لهم ؛ إذ نصحهم ، وما هناك - أي في سورتي الأعراف والنمل - جواب بعضهم لبعض ؛ إذ تشاوروا في أمره ، وقيل : إن أحد الجوابين صدر عن كبار قومه وأمرائهم ، والآخر صدر عن غيرهم "[٥].

وعلى ضوءِ ما سبق ذكره أجد أنّ للسياق القرآني دوراً في إدراك ما عليه مشتبه النظم ، ففي سورة الأعراف والنمل أشار مختصراً إلى أفظع قبائحهم ، وهي : ﴿ **لَتأتونَ الرجَالَ شَهوَةً من دون النسَاءِ** ﴾ ، فناسب ذلك اختصار ردهم في إخراجه من القرية ، بينما في سورة العنكبوت عدد مساوئ

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٢ ، وقال برأيه أبو حيان في البحر المحيط ، ج٧ ، ص١٤٦ ، وكذلك أبو السعود ، ج٢ ، ص٢٦٩ ، و ج٤ ، ص٢٥٨ ، والشوكاني في فتح القدير ، ج٤ ، ص٢٠١ .

(٢) الملاك ، لأبي جعفر الغرناطي ، ج١ ، ص٤٢٥ .

(٣) ينظر : المرجع نفسه .

(٤) ينظر : بدر الدين بن جماعة ، ص١٠٦ .

(٥) الألوسي ، ج٢٠ ، ص١٥٤ .

أفعالهم ؛ مما زاد من غيظهم ، فدفعهم إلى التحدي وأمره بإنزال العذاب بهم .

ومن جهة أخرى تناسب ترتيب السور في عرض تطور الأحداث ، ففي الأعراف جاء جوابهم : ﴿ **أخرجوهم** ﴾ ، فكأن الأمر كان من بعض القوم لبعض ، وقد يكون من الأمراء إلى الآخرين بإخراجه ، ولكن لما زاد في توبيخهم في النمل بقوله : ﴿ **وَأنتم تبصرونَ** ﴾ جاء جوابهم بالتنصيص وتخصيص آل لوط بالخروج ، فقالوا : ﴿ **أخرجوا آلَ لُوطٍ** ﴾ . ولَما استمر سيدنا لوط في التحاور معهم فعدد لهم قبائح مرتكباتهم ، وكان ذلك أشد توبيخاً وتقريعاً ؛ مما زاد في الكشف عن سوء طباعهم ورداءة خلقهم ، قالوا : ﴿ **ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ** ﴾ تصميماً على عنادهم وتكذيبهم .

الموضع التاسع :

قال تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ **قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ [1] .

وفي الأعراف قال : ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ [2] .

أما في النمل فجاء قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ [3] .

موضع المتشابه : في الأعراف والعنكبوت قال : ﴿ **إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ ، أما في النمل فقال : ﴿ **إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ .

وكلّ من الإسكافي والكرماني والغرناطي تحدثوا عن هذا الموضع ، ولكن كما جاء في سورتي الأعراف والنمل دون الإشارة إلى سورة العنكبوت ، وأضاف أبو جعفر آية سورة الحجر ، وسأذكر أقوالهم لنستضيء بها في دراسة آية العنكبوت .

يقول الخطيب : يمكن أن تكون القصة في سورة النمل نازلة قبل القصة في سورة الأعراف ، بدلالة الإضمار والإظهار ، وعلى هذا تكون آية النمل المتقدمة في النزول تعني أنّ الله كتب عليها - أي امرأة لوط - أن تكون من الباقين في القرية الهالكين مع أهلها ، ثم تأتي آية الأعراف المتأخرة في النزول ؛ لتبين أنّ ما حلّ بها من تقدير الله الذي قدره لها وأخبر عنه فيما قبل[4] .

ثم يأتي الكرماني كعادته مختصراً الإجابة ومستشهداً بقول الخطيب الإسكافي فيقول : " قوله : ﴿ **كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ في هذه السورة - أي الأعراف - ، وفي النمل : ﴿ **قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ ، (أي : كانت في علم الله من الغابرين) ، فقدرناها من الغابرين "[5]، ثم يذكر رأي الخطيب .

أما أبو جعفر فيرجع الاختلاف إلى التناسب بين الآية وما قبلها ، فيقول أولاً : إنّ جميع الصياغات

---

(1) سورة العنكبوت : الآية (٣٢) .

(2) سورة الأعراف : الآية (٨٣) .

(3) سورة النمل : الآية (٥٧) .

(٤) ينظر : درة التنزيل ، ص١٢٠ .

(5) البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص٧٩ .

تعطي نفس المعنى ، وهو إلحاقها بالهالكين ، أما اختصاص آية الأعراف بـ (كانت) فهذا يناسب الإيجاز في ﴿ **أخرجوهم** ﴾ ، وأما آية النمل ﴿ **قَدرَنَاهَا** ﴾ فتناسب ﴿ **أخرجوا آلَ لُوطٍ** ﴾ ، والتأكيد في آية الحجر : ﴿ **قَدرَنا إنهَا** ﴾ يناسب التأكيد في : ﴿ **إنا أُرسلْنا إلى قَومٍ مجرمينَ** ﴾ ، وقوله : ﴿ **إنا لَمنَجوهم أجمَعينَ** ﴾ (1) .

ويحيلنا الطاهر عند وصوله إلى هذا الجزء من الآية في سورة العنكبوت إلى ما قاله في سورة النمل من أنّ الاختلاف بين الآية والآية إنما هو تفنن في الحكاية ، ومراعاة للنظير في النسج ، وهذا من أساليب القرآن عند تناول القصص(2) .

ومما سبق يمكن القول : إن قوله سبحانه في سورة العنكبوت : ﴿ **إلا امرَأته كَانت منَ الغَابِرِينَ** ﴾ هو إخبار جاء على لسان الملائكة عند تحاورهم مع إبراهيم - وذلك قبل نزول العذاب - بما صدر من أمر الله على امرأة لوط أنها قُدر لها أن تكون من الغابرين ؛ فناسب التعبير بالفعل الماضي (كانت) .

أما في سورة النمل فجاء الإخبار من الله بدلالة (نا) العظمة بما قدره من هلاك امرأة لوط ، فتناسب نسج كل آية مع ما جاءت معه - والله أعلم - .

الموضع العاشر :

قال الودود المجيد في سورة العنكبوت : ﴿ **وَلَما أن جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهم وَضَاقَ بِهم ذَرعاً وَقَالُوا لا تَخَف وَلا تَحزَنْ إنا مَنجوكَ وَأَهلَكَ إلا امرَأَتكَ كَانَت منَ الغَابِرِينَ** ﴾ (3) .

أما في سورة هود فقال سبحانه : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهم وَضَاقَ بِهم ذَرعاً وَقَالَ هَذَا يَوم عَصيب** ﴾ (4) .

موضع المتشابه : زيادة (أن) بعد (لما) في سورة العنكبوت ، وبدونها في سورة هود .

قال الإسكافي : اقترنت (أن) بـ (لما) في آية سورة العنكبوت " تكملةً لمعناها في نفسها ؛ ليدلّ

---

(1) ينظر : ملاك التأويل ، ج1 ، ص425 . كما أن البقاعي في نظم الدرر أشار فقط إلى هذه المواضع ، وألحق اختلاف الآيات إلى اختلاف السياق ، فقال : " فإن سياقها عارٍ عن ذلك " ، ج4 ، ص228 .

(2) ينظر : التحرير والتنوير ، م10 ، ج20 ، ص244 ، و م10 ، ج20 ، ص5 .

(3) سورة العنكبوت : الآية (33) .

(4) سورة هود : الآية (77) .

بذلك على أنه قد قارن جوابها متصلاً به ما يكمله ، ويخلصه لتحقيق أو بطلان ، فالتي في سورة العنكبوت قد اتصل بجوابها ﴿ **سيءَ بِهِم وَضَاقَ بِهِم ذَرعاً** ﴾ "[1]، أما في سورة هود فلم " يتصل بجوابها ما يخلصه لتحقيق أو بطلان إلا في الآية الخامسة عند قوله : ﴿ **قَالُواْ يَا لُوطُ إنا رسلُ رَبكَ لَن يَصلُواْ إِلَيكَ** ﴾ ، فبعد هذا عن الجواب ولم يتصل به ما يكون من تمامه "[2].

ويستفيد الكرماني مما قاله الإسكافي في تعليقه على هذا الموضع أن " (لما) يقتضي جواباً ، وإذا اتصل به (أن) دل على أن الجواب وقع في الحال من غير تراخٍ كما في هذه السورة - أي العنكبوت - ، وهو قوله : ﴿ **سيءَ بِهِم وَضَاقَ بِهِم ذَرعاً** ﴾ "[3].

ويذهب الرازي إلى أن وجه الاختلاف يعود إلى اختلاف الصياغة في الآية التي تحكي لقاء الملائكة بإبراهيم عليه السلام ، ففي سورة العنكبوت قال : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنَا إبرَاهِيمَ بِالْبشرَى ...** ﴾ [4]، وهو قول الملائكة ، ولم يكن متصلاً بمجيئهم ؛ لأنهم بشروا ولبثوا ثم قالوا : ﴿ **إنا مهلكُو** ﴾ ، ثم عبر بعدها بقوله : ﴿ **وَلَما أَن جَاءت رسلُنَا لُوطاً** ﴾ ، وهذا يفيد الاتصال ، حيث خاف حين المجيء .

أما سورة العنكبوت فكانت صياغة الآية التي ذكر فيها إبراهيم كالتالي : ﴿ **وَلَقَد جَاءت رسلُنَا إِبرَاهِيمَ بِالبـشرَى ..** ﴾ [5]، ثم جرت أمور من الكلام وتقديم الطعام ، ثم ﴿ **قَالُواْ لاَ تَخَف إنا أرسلْنَا إِلَى قَومِ لُوطٍ** ﴾ [6]، فحصل تأخر الإنذار ، ثم قال : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنَا لُوطاً** ﴾ ، فحصل بيان تعجيل الحزن ، فكان حزنه وقت المجيء[7].

أما الغرناطي فوجه المتشابه بين الآيتين لرفع تثاقل اللفظ المتكرر من جهة ، ومن جهة أخرى أنه لا

---

(١) درة التنزيل ، ص٢٤٩ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص١٤٩ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٣١) .
(٥) سورة هود : الآية (٦٩) .
(٦) سورة هود : الآية (٧٠) .
(٧) ينظر : الرازي في التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص٥٥ .

فرق بين الصياغتين ، فكلاهما هين فصيح ، لذا جيء بالجائزين معاً ، سوى أنه عبر بالأصل في الأول - أي بدون (أن) - وبغير الأصل في الثاني - وهي زيادة (أن) بعد (لما) -[(١)]. ولم يكن تعليق شيخنا أبي جعفر كما عودنا مبيناً الوقوف على تناسب الصياغة وسياقها .

وأشار البقاعي في آية سورة هود أنه لم يذكر الحرف المصدري (أن) ؛ لمناسبة السياق ومقصود السورة ، ثم أحالنا إلى ما قاله في سورة العنكبوت من زيادة (أن) ، فقال : " إنّ (أن) في مثل هذه صلة وإن كان أصلها المصدر لتؤكد وجود الفعلين مرتباً وجود أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما ، فإنهما وجدا في جزء واحد من الزمان "[(٢)]. ثم ذكر تعليق ابن هشام بأن " الزائد يؤكد معنى ما جيء به لتأكيده ، و (لما) تفيد وقوع الفعل الثاني عقب الأول وترتبه عليه ، فالحرف الزائد يؤكد ذلك "[(٣)].

ويرى الطاهر أنّ (أن) لم تقع في آية سورة هود لأنه جيء فيها تفصيلاً بسبب إساءته وضيق ذرعه ، فكان مغنياً عن التنبيه ، أما في آية العنكبوت فكان التأكيد ضرباً من الإطناب ، وكان قد أوضح قبل قوله هذا أنّ مجيء (أن) بعد (لما) يفيد تحقيق الربط بين مضمون الجملتين ، وهي مجيء الرسل واستياء لوط بهم ، ويقصد بالتحقيق سرعة الاقتران والتوقيت بين الجملتين ، وبهذا نبه على أنّ استياءه كان قبل أن يعلم بأنهم ملائكة جاءوا لإهلاك القوم الظالمين[(٤)].

وللدكتور عبد المجيد ياسين إضافة إلى هذا الموضع من المتشابه ، حيث يقول : إن الآيات التي وردت في سورة هود عبارة عن إجمال واختصار ، فناسب الاختصار في قوله : ﴿ **لما جَاءت رسلُنا** ﴾ بحذف (أن) .

أما الآيات الواردة في سورة العنكبوت فاشتملت على توسيع وتفسير وزيادة ، فناسب زيادة (أن) ﴿ **وَلما أنْ جَاءَت** ﴾ ، فكان كل منسجماً مع السياق العام للآيات التي وردت فيه[(5)].

وتبين أنّ (لما) إذا دخلت على الفعل الماضي اقتضت جملتين وجد ثانيهما مترتباً على وجود

---

(١) ينظر : الملاك ، ج٢ ، ص٥٢٦-٥٢٧ .

(٢) نظم الدرر ، ج٣ ، ص٥٥٧ ، ج٥ ، ص٥٥٦ ، وقد استفاد مما قاله الزمخشري في : ج٣ ، ص٤٥٧ .

(٣) مغني اللبيب ، ج١ ، ص٣٤-٣٥ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٤-٢٤٥ .

(5) ينظر : المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات ، ص٣٤٦ .

أولهما[1] ، وعلى هذا تكون الصياغة في آية سورة هود : ﴿ **وَلَما جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهم** ﴾ دالة على أنّ الاستياء ما كان إلا بعد وقوع فعل المجيء وتحققه ، بعد تقديم الضيافة لهم حدثت الإساءة عندما علم قومه بأمر ضيوفه فقدموا عليه ، وذلك بدلالة الآيات التالية لها : ﴿ **وَجَاءَه قَومه يهرَعونَ إلَيه** ﴾ .

أما زيادة (أن) بعد (لما) في آية سورة العنكبوت فـ (أن) الزائدة تفيد التأكيد ، وهنا وقعت بعد (لما) ، فدلت على وقوع الإساءة عقب وقت المجيء مباشرة ، حتى لا يكاد يوجد بينهما فاصل ، فلما كانت سياقات السورة الأولى أكثرها إجمالاً واختصاراً ، ناسبها حذف (أن) ، وأما الثانية فكان فيها تطويل يناسبه الزيادة .

الموضع الحادي عشر :

قال الحكيم البديع في سورة العنكبوت : ﴿ **وَإلَى مَديَنَ أَخَاهم شعَيباً فَقَالَ يا قَومِ اعبدوا اللهَ وَارجوا الْيومَ الآخرَ وَلاَ تعثَوا في الأَرضِ مفْسِدينَ** ﴾[2] ، وفي سورتي الأعراف وهود قال : ﴿ **وَإلَى مَديَنَ أَخَاهم شعَيباً قَالَ يا قَومِ اعبدواْ اللهَ ...** ﴾[3] .

موضع المتشابه : اختصاص آية العنكبوت في قصة شعيب بذكر الفاء في (فقال) . أما قصته عليه السلام في سورتي الأعراف وهود فذكرت بدون الفاء (قال) .

يقرر الإسكافي أن سورتي الأعراف وهود اتفقتا في بداية كلّ قصة ، فقال سبحانه : ﴿ **لَقَد أَرسَلْنا نوحاً إلَى قَومه** ﴾ ، وبعده : ﴿ **وَإلَى عَادٍ أَخَاهم هوداً** ﴾ ، وبعده : ﴿ **وَإلَى ثَمودَ أَخَاهم صَالحاً** ﴾ ، وبعده : ﴿ **وَإلَى مَديَنَ أَخَاهم شعَيباً** ﴾[4] ، " فلما تساوت هذه المعطوفات مع المعطوف عليها الأول ، فكان الفعل المضمر للمعطوف مثل المظهر الأول في التعلق بالمرسل والمرسل إليه "[5] .

وأما الأمر في العنكبوت فكان مختلفاً بعض الشيء ، حيث افتتحت قصة نوح بقوله : ﴿ **وَلَقَد أَرسَلْنا**

---

(1) ينظر : ابن هشام في مغني اللبيب ، ج1 ، ص280 .

(2) سورة العنكبوت : الآية (36) .

(3) سورة الأعراف : الآية (85) ، وسورة هود : الآية (84) .

(4) الآيات في الأعراف (59 ، 65 ، 73 ، 85) ، والآيات في سورة هود (25 ، 50 ، 61 ، 84) .

(5) درة التنزيل وغرة التأويل ، ص164 .

نوحاً إلى قومه فلبثَ فيهم .. ﴾ [1]، ثم اختلف نسق ما جاء بعدها من قصة إبراهيم ولوط ، فلم يكن المعطوف على نوح مثل المعطوف في السورتين ، حتى يصل إلى قصة شعيب التي توافق في نسقها ومعطوفها قصة نوح البعيدة عنها في الذكر ، فناسب التعليق بالفاء ، كما كانت الفاء في : ﴿ **فلبثَ فيهم** ﴾ [2].

ويوجز الكرماني ، فيكتفي بالقول : إن " قوله : ﴿ **وإلى مدينَ أخاهم شعيباً فقالَ** ﴾ [3] هو عطف على قوله : ﴿ **ولقد أرسلْنا نوحاً إلى قومه فلبثَ** ﴾ [4] "[5].

ولا يختلف الغرناطي عنهما في الرأي ، فيقول : إنه لما انفردت الآيتان من سورة العنكبوت - وهي آية إرسال نوح ، وآية إرسال شعيب عليهما السلام - بذكر ﴿ **أرسلْنا** ﴾ ظاهراً في نوح مضمراً في شعيب ، بينما كانت أخبار الرسل التي تخلّلهم خالية من ذلك ؛ ناسب تعلق حرف الغاية (الفاء) بـ (أرسلنا) في الأولى ﴿ **فلبثَ فيهم** ﴾ ، وفي الثانية ﴿ **فقالَ** ﴾ .

أما سورتا الأعراف وهود فقد ذكرت فيها أخبار الرسل على وتيرة واحدة من ذكر الرسل والمرسل إليهم ، بدءاً بأول قصة ، وهي قصة نوح الظاهر فيها لفظ ﴿ **أرسلْنا** ﴾ ، ثم أوجز ما بعده بغير الإفصاح ، فجاء كلٌ منها متحداً مع قصد السورة[6].

ويأتي ابن جماعة ليقرر ما قالوه ، فيذكر أن السياق القصصي لسورة هود كان خالياً من الفاء . أما سورة العنكبوت فقدم استخدام الفاء في القصص ، نحو : ﴿ **فلبثَ فيهم** ﴾ ، و ﴿ **فآمنَ له لوطٌ** ﴾ ، و ﴿ **فما كانَ جوابَ قومه** ﴾ ، فناسب هذا السياق مجيء الفاء (فقال)[7].

---

(1) سورة العنكبوت : الآية (١٤) .

(2) ينظر : المرجع السابق .

(3) سورة العنكبوت : الآية (٣٦) .

(4) سورة العنكبوت : الآية (١٤) .

(5) البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص١٤٩ .

(6) ينظر : الملاك ، ج١ ، ص٤٣٠ .

(7) ينظر : كشف المعاني في متشابه المثاني ، ص١٢٤ .

وتنتهي آراء العلماء الأربعة متفقة إلى أنّ وجود الفاء في العنكبوت وحذفها من الأعراف وهود مناسب للنسق القصصي الذي عطفت عليه .

ويضيف الدكتور عبد المجيد وجهاً مختلفاً قال فيه : إن الآيتين من سورتي الأعراف وهود كان فيهما تفصيل دقيق لكل ما يختص بقصة شعيب ، حيث استغرقت في الأعراف سبع آيات ، وفي هود عشر آيات ، فناسب بهذا حذف الفاء .

أما في سورة العنكبوت فلم تذكر تلك التفاصيل في الأعمال والحوار ، إنما اختصر ذلك اختصاراً شديداً ، وبهذا ناسب مجيء الفاء[1] .

وبناءً على ما ذكر فإن السياق هيأ الصيغة المناسبة له ، ففي الآيتين من سورتي الأعراف وهود جاء ذكر قصص الأنبياء مسبوقاً بالإرسال ، سواءً كان ظاهراً أو مقدراً ، فناسب هذا حذف الفاء ، كما أنهما فصلتا القول في قصص الأنبياء المذكورين ، ومن بينها قصة شعيب ، ووقفهما على أعمال القوم وعيوبهم ، والحوار الذي دار بينهم ؛ مما أغنى عن ذكر الفاء .

أما سورة العنكبوت فجاءت على خلاف ذلك ، فلم تسبق قصص الأنبياء المذكورين فيها بالإرسال ، ما عدا أول قصة ، وهي قصة نوح ، وآخر قصة هي قصة شعيب عليهما السلام . وذكر في الأولى التعقيب بالفاء ﴿ **فَلَبِثَ فيهم** ﴾ ، وناسبتها الثانية في التعقيب بالفاء ﴿ **فَقَالَ** ﴾ ، كما أنها اختصرت القول في قصة شعيب ، فناسب العطف (بالفاء) ، فسبحان الله محكم التنزيل .

الموضع الثاني عشر :

قال - سبحانه - : ﴿ **فَكَذبوه فَأَخَذَتهم الرجفَةُ فَأصبَحوا في دَارهم جَاثمينَ** ﴾[2] .

وفي هود قال : ﴿ **وَلَما جَاء أمرنَا نَجيّنَا شعَيباً وَالذينَ آمنواْ مَعَه بِرَحمَةٍ منا وَأَخَذَت الذينَ ظَلَمواْ الصيحَةُ فَأَصبَحواْ في دِيَارهم جَاثمينَ** ﴾[3] .

موضع المتشابه : الإفراد في ﴿ **دَارهم** ﴾ في العنكبوت ، والجمع في ﴿ **دِيَارهم** ﴾ في هود . يذكر الإسكافي هذا الموضع بين سورتي الأعراف وهود فيقول : إن التوحيد في الدار يكون على طريقتين ؛

---

(١) ينظر : المبنى والمعنى ، ص٩٨-٩٩ .

(٢) ينظر : سورة الأعراف : الآية (٩١) ، والآية (٧٨) في قوم صالح .

(٣) ينظر في نفس السورة : قصة صالح عليه السلام : آية (٦٧) جاءت بنفس اللفظ .

الأولى : أن يراد بدارهم بلدهم ، الثانية : أن يذهب مذهب الجنس في الدار ، نحو قول : دينارهم شر من درهمهم .

أما اختصاص كل موضع بما جاء عليه من توحيد أو جمع فأرجعه إلى سياق القصة والآيات التي تسبقه ، " فقال : إن الله تعالى وحد في كل مكان ذُكر في ابتدائه (وإلى) : ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُم صَالحاً** ﴾ ، ﴿ **وَإِلَى مَدَيَنَ أَخَاهُم شُعَيباً** ﴾ ، ولم يذكر إخراج النبي ومن آمن معه من بينهم ، فجعلهم بني أب واحد ، وجعلهم كذلك بني دار واحدة ، ورجا أيضاً أن يصيروا بالإيمان فرقة واحدة ، وكل موضع أخبر عن تفريقه بينهم وإخراج النبي ومن آمن منهم معه أخبر عنهم الإخبار الدال على تفرق شملهم ، وتشتت أمرهم ، وذهاب المعنى الذي كان يجمعهم لأب واحد ، ودار واحدة ، وأن يصيروا مع المؤمنين فرقة واحدة ، فقال سبحانه : ﴿ **فَلَما جَاءَ أَمرُنَا نَجينَا ..** ﴾ فوحد الدار "[(١)].

ثم علل ما قد يحتج به على رأيه من أنّ سورة الأعراف ذكرت خروج شعيب من بين أظهرهم والإخبار بتفرق شملهم ، ومع هذا جاء ذكر الدار موحداً ؟.

فأجاب على ذلك بأنه لم يتقدم هنا ذكر إخراجه من بينهم مع الذين آمنوا معه كما ذكر في سورة هود عند قصتي صالح وشعيب[(٢)].

ويرى الكرماني أنه وحد الدار ، حيث ذكر الرجفة ، وجمع مع الصيحة ، ثم علل مجيء الجمع مع الصيحة بأنها من السماء ، فهي أبلغ من الرجفة وأقوى ، فكل اتصل بما هو لائق[(٣)].

ويقف الرازي عند آية سورة العنكبوت ويعلل الإفراد والجمع في لفظ (ديار) بقوله : " وإنما اختلف اللفظ للطيفة ، وهي أن الرجفة هائلة في نفسها ، فلم يحتج إلى مهول ، وأما الصيحة فغير هائلة في نفسها ، لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى أحدثت الزلزلة في الأرض ذكر الديار بلفظ الجمع ؛ حتى تعلم هيبتها ، والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل أحد ، فلم يحتج إلى معظّم لأمرها "[(٤)].

---

(١) درة التنزيل ، ص١١٤ ، بتصرف .

(٢) ينظر : المرجع السابق .

(٣) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص٧٧ . الآيات التي ذكرها : آية (٧٨) من الأعراف ، وهي في قصة صالح عليه السلام ، والثانية : آية (٩٤) من سورة هود في قصة شعيب .

(٤) التفسير الكبير ، الرازي ، ج٢٥ ، ص٥٨ . ويتفق مع رأيه هو والكرماني بدر الدين بن جماعة في كشف المعاني ، ص١٠٥ ، كما أشار الزركشي في البرهان إلى هذا الموضع ، ج١ ، ص١٣٥ ، والبقاعي في نظم الدرر ، ج٣ ، ص٦٠ .

ويؤكد الغرناطي ما قاله الكرماني والرازي ، ويضيف إليهما : أن سورة هود ذكرت مرتكبات قوم شعيب وسوء ردهم عليه بما لم يذكر مثله في سورة الأعراف وكيف كان ﷺ يحسن الرد عليهم ؛ لهذا ناسب التعبير عن عذابهم وأخذهم بأعم مما ورد في غيرها . ولما لم يرد في غيرها مثل ما ورد في سورة هود من الدعاء والجواب ، ناسب اللفظ الأخف رعياً ؛ لإحراز النظم الجليل .

كما يضيف رأياً آخر ، وهو " في اختلاف الوارد فيما أُخذ به قوم شعيب ، وهو أن يكون المراد أخذهم بضرب من العذاب ؛ لقبح مرتكبهم وسوء ردهم على نبيهم "[(١)]. ثم يذكر آية سورة الشعراء في عذاب قوم شعيب : ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [(٢)]، وعلى هذا يكون قد تبين تدرج القرآن في ذكر عذابهم أولاً بالزلزلة ، ثم بالصيحة ، ومن ثَم عذاب الظلة[(٣)] .

الموضع الثالث عشر :

قال الحَكَم الشهيد سبحانه في سورة العنكبوت : ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [(٤)].

أما في الرعد فقال : ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** ﴾ [(٥)].

ومثلها في الإسراء : ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً** ﴾ [(٦)] [(٧)].

[(٧)] .

موضع المتشابه : قدم لفظ (شهيد) في الآيتين من سورتي الرعد والإسراء ، بينما تأخر اللفظ في آية سورة العنكبوت .

---

(١) ملاك التأويل ، ج١ ، ص٤٠٩ .

(٢) سورة الشعراء : الآية (١٨٩) .

(٣) ينظر : ملاك التأويل ، ج١ ، ص٤٠٩ . ويشير أبو السعود إلى هذا الموضع ، ولكن لم يزد على أن علّل الإفـراد لأمـن اللـبس ، ج٤ ، ص٢٥٩ . وهو في ذلك ينقل ما قاله الزمخشري .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٥٢) .

(٥) سورة الرعد : الآية (٤٣) .

(٦) سورة الإسراء : الآية (٩٦) .

(٧) وقدم (شهيد) أيضاً في سورة الأنعام : الآية (١٩) ، وسورة يونس : الآية (٢٩) ، وسورة الأحقاف : الآية (٨) .

وعلّق الكرماني على تقدم (شهيد) في سورتي الرعد والإسراء على أنها جاءت على الأصل ، أما في سورة العنكبوت فتأخر لفظ (شهيد) ؛ لأنه وصف بقوله : ﴿ **يَعلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ** ﴾ ، فطال ولم يجز الفصل به[1] .

أما البقاعي فيرجع المتشابه إلى غرض السورة وسياقها ، فقال : " ولما كانت العناية في هذه السورة - يقصد سورة العنكبوت - بذكر الناس وتفصيل أحوالهم ، ابتدأ بقوله : ﴿ **بَينِي وَبَينَكُم** ﴾ قبل قوله ﴿ **شَهِيداً** ﴾ ، بخلاف الرعد والأنعام ، ثم وصف الشهيد أو علّل كفايته "[2] ، ولم يعلّل في المقابل تقدم (شهيد) في الرعد والأنعام ، ولعله اكتفى بما قاله عند شرح كل آية .

وبهذا يتبين تناسب المبنى والمعنى وتوافقهما مع السياق ، فسورتا الرعد والإسراء كان محور حديثهما عن شخص الرسول ومجادلة أهل الشرك له وتحديهم وطلب الخوارق منه ؛ فناسب هذا ما جاء من توجيه رباني لمحمد ﷺ بإيكال أمره إلى الله تعالى ، فهو الحكم العدل بينه وبين المكذبين[3] .

أما سورة العنكبوت فقد ركّزت على أحوال الناس وافتتانهم ، وأوردت شواهد على ذلك من أحوال الأمم السابقة مع أنبيائهم ، كذلك ما كان من موقف المشركين مع الرسول ، فناسب الابتداء بقوله : ﴿ **بَينِي وَبَينَكُم** ﴾ قبل ﴿ **شَهِيداً** ﴾ ؛ لتفصيلها لأحوال الناس ، بالإضافة لمجيء الصفة التي تستلزم تقدم موصوفها .

الموضع الرابع عشر :

قال الحي الباقي في سورة العنكبوت : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرجَعُونَ** ﴾[4] .

وفي سورة الأنبياء قال : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوتِ وَنَبلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيرِ فِتنَةً وَإِلَينَا تُرجَعُونَ** ﴾[5] .

---

(١) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص١١٩ . ويتفق معه في الرأي بدر الدين بن جماعة في كشف المعاني ، ص١٣٥ . وأما الزركشي فقد اكتفى بالإشارة إلى موضع المتشابه ، ج١ ، ص١١٤ .

(٢) نظم الدرر ، ج٥ ، ص٥٧٠ .

(٣) ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، م٤ ، ج١٣ ، ص٢٠٦٦ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (٥٧) .

.[1]

موضع المتشابه : عبر بـ (ثُم) في العنكبوت ، و بـ (الواو) في الأنبياء .

انفرد الكرماني بذكر هذا الموضع فقال : " (ثُم) للتراخي ، والرجوع هو : الرجوع إلى الجنة أو النار ، وذلك في القيامة ، فخصت سورة العنكبوت به ، وخص هذه السورة - يقصد الأنبياء - بالواو لما حيل بين الكلامين بقوله : ﴿ **وَنبلُوكُم بِالشر وَالْخَير فتنَةً** ﴾ ، وإنما ذُكرا لتقدم ذكرهما ، فقام التراخي وناب الواو منابه "[2].

إذن لما كانت (ثُم) تفيد التراخي ، والواو لمطلق الجمع ، ناسب بذلك التعبير بـ (ثُم) في آية سورة العنكبوت ؛ لأنه قال : إنّ كل نفس كافرة كانت أو مؤمنة ستموت وينتهي عملها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ثم تلقى الله بعملها .

وأما العطف بـ (الواو) ؛ فلأنه ذكر بعد الإخبار بأنّ الموت مصير كل نفس : ﴿ **وَنبلُوكُم بِالشر وَالْخَير فتنَةً** ﴾ ، فناسب العطف عليها بالواو والرجوع إلى الله للحساب - والله أعلم - .

الموضع الخامس عشر :

قال العلي الودود في العنكبوت : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَملُوا الصالحَات لَنبوئَنهم منَ الْجَنة غُرَفاً تَجرِي من تَحتهَا الأَنهَار خَالدينَ فيهَا نِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾[3].

وفي آل عمران قال : ﴿ **أولَئكَ جَزَآؤهم مغفرَةٌ من ربهم وَجَنات تَجري من تَحتهَا الأَنهَار خَالدينَ فيهَا وَنِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾[4].

قال الإسكافي : آية سورة آل عمران مبنية على تداخل الأخبار ، " و ﴿ **أولَئكَ** ﴾ مبتدأ ، و ﴿ **جَزَاؤهم** ﴾ مبتدأ ثان ، و ﴿ **مَغفرَةٌ** ﴾ خبر المبتدأ الثاني ، وهو مع خبره خبر عن المبتدأ الأول ...

---

(١) سورة الأنبياء : الآية (٣٥) .
(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص١٢٨ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٥٨) .
(٤) سورة آل عمران : الآية (١٣٦) .

فنسقت الأخبار بعضها على بعض للتنبيه على النعم التي هدية لرجاء الراجين وأكملت بها منية المتمنين "[1] ، والخبر في مثل هذا المكان حقه العطف على ما قبله بالواو .

أما قوله في آية سورة العنكبوت فذُكر لمجيئها بدون الواو احتمالان ؛ الأول : أنّ ما قبلها مبني على درج واحد ، وهي جملة ابتداء وخبر في : ﴿ **وَالذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالحَات لَنبوئَنهم منَ الْجَنة غُرَفاً** ﴾ ، وجاءت ﴿ **نِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾ بدون واو لتشبه ما تقدم صفة بخبر ، ولم يجئ العطف لأنه لم يفصل في الجزاء كالأولى[2] .

أما الاحتمال الثاني ؛ وهو احتمال أن يكون ﴿ **نِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، أي : (ذلك نعم أجر العاملين)[3] .

وقرر الكرماني ما قاله الإسكافي واختصره بقوله في زيادة الواو في : ﴿ **وَنِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾ : " لأن الاتصال بما قبلها أكثر من غيرها ، وتقديره : ونعم أجر العاملين المغفرة والجنات والخلود "[4] .

وأما آية سورة العنكبوت فجاءت بغير واو ؛ لأن اتصالها بأول الآية أشد اتصالاً ، والتقدير : (وذلك نِعم أجر العالمين)[5] .

ويأتي ابن جماعة ليقول : إن آية سورة آل عمران سبقتها أوصاف للمؤمنين ، وهي : (للمتقين ، الذين ينفقون ، الكاظمين ، والعافين ، والذين إذا فعلوا ، ولم يصروا ، جزاؤهم مغفرة ، وجنات ، وخالدين) ، " وناسب ذلك العطف بالواو المؤذنة بالتعدد والتفخيم ، ولم يتقدم مثله في العنكبوت ، فجاءت بغير (واو) كأنه تمام الجملة "[6] .

ويعلق الطاهر على قطع الجملة عن العطف في آية سورة العنكبوت : ﴿ **نِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾ بأنها

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ، ص٥٥ ، بتصرف . وأعاد ما قاله في ، ص٢٤٤ في سورة العنكبوت .

(٢) ينظر : المرجع السابق ، بتحقيق : محمد آيدين ، الناشر : جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ج١ ، ص٤٠٠ ، هامش رقم (٣٢) .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص٤٩ ، ويشرح المحقق كلامه بنفس ما جاء عند الإسكافي .

(٥) ينظر : المرجع السابق . ويتبعهم في الرأي أبو جعفر الغرناطي ، إلا أن كلامه كان واضحاً في الملاك ، ج١ ، ص١٧٦ .

(٦) كشف المعاني في متشابه المثاني ، ص٨٠ .

جملة إنشاء وثناء وتعجيب على الأجر الذي أعطوه ، أما آية سورة آل عمران فذُكرت بالواو : ﴿ **وَنِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾ ؛ " تذييلاً لإنشاء مدح الجزاء . والمخصوص بالمدح محذوف ، تقديره (هو) . والواو للعطف على جملة ﴿ **جَزَآؤهم مغفرَةٌ** ﴾ ، فهو من عطف الإنشاء على الخبر "[1].

ومن ذلك يتبين أن السياق في آية آل عمران كان يقتضي العطف بالواو في ﴿ **وَنِعمَ أجر الْعَاملينَ** ﴾ ؛ لما سبقه من التفصيل في جزاء المؤمنين وأوصافهم .

أما سياق آية سورة العنكبوت فلم تفصل في الجزاء المعد للمؤمنين ، فناسب كلّ لفظ السياق الذي جاء فيه .

الموضع السادس عشر :

قال القابض الباسط في سورة العنكبوت : ﴿ **اللهُ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عبَاده وَيقْدر له إن اللهَ بِكُل شَيءٍ عَليم** ﴾[2].

أما في القصص فقال : ﴿ **وَأصبَحَ الذينَ تَمنوا مَكَانَه بِالأمسِ يَقُولُونَ وَيكَأن اللهَ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عبَاده وَيقْدر لَولا أن من اللهُ عَلَينَا لَخَسَفَ بِنَا وَيكَأنه لا يفْلح الْكَافرونَ** ﴾[3].

وفي غيرها قال : ﴿ **اللهُ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ وَيقَدر** ﴾[4].

موضع المتشابه : ذُكر لفظ ﴿ **عبَاده** ﴾ و (لـه) في سورة العنكبوت ، وفي سورة القصص جاء بلفظ ﴿ **عبَاده** ﴾ فقط ، وأما في غيرها فلم يذكر أياً من اللفظين .

يورد صاحب الدرة في هذا الموضع آية سورة العنكبوت ، والقصص ، والرعد ، والشورى .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، م٣ ، ج٤ ، ص٩٥ ، و م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٥) .

(٣) سورة القصص : الآية (٨٢) .

(٤) نحو : سورة الرعد : الآية (٢٦) ، وسورة الإسراء : الآية (٣٠) ، وسورة الروم : الآية (٣٧) ، وسورة سبأ : الآية (٣٦) ، وسورة وسورة الزمر : الآية (٥٢) ، وسورة الشورى : الآية (١٢) .

والجواب عنده : أنّ آية سورة العنكبوت جاءت بعد قوله : ﴿ **وَكَأين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإياكُم وَهوَ السميع العَليم** ﴾ [(١)]، أي أن الله رازق لجميع الحيوانات ، فمنها ما هو موسعٌ عليه ، ومنها ما هو مضيق عليه ، كذلك الأمر فينا ، ثم قال : ﴿ **اللهُ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عَبَاده وَيَقْدر لَه** ﴾ ، " فالهاء في (له) ترجع إلى ما شاء من عباده ، و (من يشاء) مفعول يبسط ، فكان من يقدر له هو من يبسط له في وقتين مختلفين ، فاقتضى هذا المكان هذا اللفظ الذي جاء فيه "[(٢)]. فكأن الشيخ يقول : إن المعنى في الآية بسط الرزق ، وتقديره يقع على نفس العبد ، ولكن في أوقات مختلفة .

وأما آية سورة القصص : ﴿ **وَيكَأن اللهَ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عَبَاده وَيَقْدر** ﴾ أي يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له ، ويقدر لمن يشاء قدره عليه ، فهو يقصد أنه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، ويقدره على من يشاء من آخرين .

أما الآيتان من سورتي الرعد والشورى فإنهما مقصورتان على ذكر البسط والقبض فحسب - أي عموم بسط الرزق وتقديره - ، ثم يذكر سياق كل آية[(٣)].

وينظر صاحب الملاك إلى الآيات التي تسبق موضع المتشابه ؛ فآية سورة العنكبوت سبقتها قصة إبراهيم وقوله لقومه : ﴿ **إنمَا تَعبدونَ من دون اللهِ أوثَاناً وَتَخلُقُونَ إفْكاً إن الذينَ تَعبدونَ من دون اللهِ لا يَملكُونَ لَكُم رِزقاً فَابتَغوا عندَ اللهِ الرزقَ ..** ﴾ [(٤)]، ثم آية ما ضرب الله به مثلاً لما عبِد من دون الله ، ثم الآية التي آنس بها عباده المؤمنين ، ثم قوله : ﴿ **وَكَأين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإياكُم وَهوَ السميع العَليم** ﴾ [(٥)]، فلما أخبر بأنه المنفرد بالرزق للعموم كما انفرد بخلقهم ، ناسب هذا تخصيصه في قوله : ﴿ **اللهُ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ من عَبَاده وَيَقْدر لَه** ﴾ ، والخطاب هنا يفهم أنه

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٠) .

(٢) الإسكافي ، ص٢٤٦ .

(٣) ينظر : المرجع السابق ، ويتفق معه الكرماني في البرهان ، ص١٥٠ ، وكذلك ابن جماعة في كشف المعاني ، ص١٦٣ ، مع اختلاف العبارات عند الشيخين .

(٤) سورة العنكبوت : الآية (١٧) .

(٥) سورة العنكبوت : الآية (٦٠) .

للمؤمنين[1] .

وأما آية سورة الرعد فكانت بخلاف هذا ، فلم يسبقها مثل ما تقدم آية العنكبوت ، والخطاب فيها لم يختص بالمؤمنين بدلالة ما سبقها .

وأما آية سورة القصص فجاءت على لسان من تمنوا حال قارون : ﴿ **وَيكَأن اللهَ يَبسطُ الرزقَ لِمَن يَشَاءُ من عِبَاده وَيقْدر** ﴾ ، وقد علموا أنّ الله هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ، وهو القابض له .

وتتفق آية الشورى مع آية الرعد في تعميم الخطاب في الرزق بسطه وقبضه للمؤمن والكافر ، وذلك بدلالة ما سبقه : ﴿ **لَه مَقَاليد السمَاوَات وَالأرض** ﴾[2] .

ويعلل صاحب التحرير والتنوير خلو آية الروم من لفظي (عباده) و (له) ؛ لأن الآية جمعت بين ضمير المشركين في أولها ﴿ **أوَلَم يَرَوا** ﴾ ، وبين كون الآيات للمؤمنين في آخرها ؛ لقوله : ﴿ **لآياتٍ لِقَومٍ يؤمنونَ** ﴾ ، وذلك في قوله : ﴿ **أوَلَم يَرَوا أن اللهَ يَبسطُ الرزقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدر إن في ذَلكَ لآياتٍ لِقَومٍ يؤمنونَ** ﴾[3] .

أما زيادة (له) بعد (ويقدر) في آية سورة العنكبوت دون الآيتين من سورتي الرعد والقصص ؛ فللتعريض بتبصير المؤمنين الذين ابتلوا في أموالهم من اعتداء المشركين ، كما أشارت الآية قبلها : ﴿ **وَكَأين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإياكُم وَهوَ السميع العَليم** ﴾[4][5] .

وعلى ضوء ما سبق نجد أنّ ما زاد في آية سورة العنكبوت اقتضاه السياق الذي جاءت فيه ، حيث قال الله تعالى : ﴿ **وَكَأين من دَابةٍ لا تَحملُ رِزقَهَا اللهُ يَرزقُهَا وَإياكُم وَهوَ السميع العَليم** ﴾[6] ، فهو حديث للعموم ، فكل حي من إنسان أو حيوان إنما رِزقُه ميسرٌ من الله ، ثم خصص القول في : ﴿ **اللهُ يَبسطُ الرزقَ لِمَن يَشَاءُ من عِبَاده وَيَقْدر لَه** ﴾ ، فأكد على أنه هو سبحانه القادر على تيسير

---

(١) ينظر : أبو جعفر الغرناطي ، ج٢ ، ص٥٦٦ .
(٢) ينظر : المرجع السابق .
(٣) سورة الروم : الآية (٣٧) .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٦٠) .
(٥) ينظر : الطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٧ .
(٦) سورة العنكبوت : الآية (٦٠) .

رزق العبد في فترة من الزمن وتقديره في زمنٍ آخر من حياته ، وهذا ما فُهم من الضمير في (له) العائد على (من يشاء) ، أما (عباده) ففيها تشريف لعباده المؤمنين ، وأنّ ما يصيبهم من فقر ليس لنقص ، إنما هي أقدار وابتلاءات يختبر بها الله قلوب الإيمان ، وما أعده لهم في الآخرة خير وأبقى .

أما سورة القصص فقد اقتصرت على قول : (عباده) دون ذكر الضمير ، وهي تعني أن الله ييسر رزقه لمن يشاء من العباد ، بينما يقدره لمن يشاء ، وليس تيسير الرزق تشريفاً لصاحبه ؛ ولا تقصيره نقصاً لصاحبه .

هذا ، وقد جاءت الآية على لسان من كان يتمنى ما لقارون من النعيم الدنيوي ، وحينما خسف اللهُ به وبماله الأرض ، علموا أنّ بسطَ الرزق وتقديره بيد الله .

أما الآيات التي ذُكرت في بعض السور ، والتي اقتصرت على قوله : ﴿ **اللهَ يَبسطُ الرزقَ لمَن يَشَاءُ وَيقْدر** ﴾ فإنه حديثٌ عام عن الرزق وتقديره لكل حي ، كما دلّت سياقات الآيات التي قبلها على هذا المعنى .

الموضع السابع عشر :

قال المحيي المميت في سورة العنكبوت : ﴿ **وَلئن سَألْتهم من نزلَ منَ السمَاءِ مَاءً فَأحَيا بِه الأرضَ من بَعد مَوتهَا لَيقُولُن اللهُ قُل الْحَمد لله بَلْ أكْثَرهم لا يَعقلُونَ** ﴾ [(١)] .

أما في سورة البقرة فقال : ﴿ **إن في خَلْق السمَاوَات وَالأرض وَاختلاف الليل وَالنهَار وَالْفُلْك التي تَجري في الْبَحر بِمَا يَنفَع الناسَ وَمَا أنزَلَ اللهُ منَ السمَاءِ من ماء فَأحَيا بِه الأرضَ بَعدَ مَوتهَا وَبَث فيهَا من كُل دَآبةٍ وَتَصريف الريَاح وَالسحَابِ الْمسَخر بَينَ السمَاء وَالأرض لآيَاتٍ لقَومٍ يَعقلُون** ﴾ [(٢)(٣)] .

وفي الآية من سورة العنكبوت مسألتان :

- <u>المسألة الأولى</u> : موضع المتشابه فيها : تفردت آية العنكبوت بدخول (من) على : ﴿ **بَعد مَوتهَا** ﴾ ، بينما في الآيات الأخرى جاءت بدون (من) .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٣) .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٦٤) .

(٣) وذكر على هذا النسق في سورة النحل : الآية (٦٥) ، وسورة الروم : الآية (٢٤) ، وسورة فاطر : الآية (٩) ، وسـورة الجاثيـة : الآية (٥) ، وغيرها ..

قال الإسكافي : إنه عبر ﴿ **مِن بَعدِ مَوتِهَا** ﴾ لتحقيق الكلام إذا لم يؤثر في غيره ؛ لأنه محدود بـ (من) ، وخص به التقرير لأنه من أماكنه . وأما آيتا سورة البقرة والجاثية : ﴿ **فَأَحيَا بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِهَا** ﴾ ليس فيها تقرير كالأولى ، وإن كانت تحمل معنى المحدود ، ولكن ليس له لفظ[(١)] .

ويتفق معه الكرماني في رأيه ، ويضيف عليه أن آية سورة العنكبوت وافقت ما قبلها ، وهو (من قبله)[(٢)] .

ويلتفت الغرناطي إلى وجه جديد من المتشابه في هذا الموضع ، فزيادة (من) في آية سورة العنكبوت إنما هي زيادة بيان وتأكيد ناسبت بها ما تقدم من قوله : ﴿ **مَن نَزلَ** ﴾ ، والفعل هنا يفيد المبالغة والتكثير ؛ لأنه على وزن (فعل) ، وهو يفيد أيضاً البيان والتأكيد ، فنوسب بينهما . وأما الآيتان من سورتي البقرة والجاثية فلم يقع فيهما لفظ المبالغة والتأكيد ، وإنما جاء بلفظ (أنزل) ، فلم يستدعِ هذا زيادة (من) ، فجاء كل لفظ مناسباً لما ورد فيه[(٣)] .

وتوجيه جديد يطلعنا عليه الشيخ ابن جماعة ، فيقول : إن إحياءَ الأرض إما أن يكون عقب موتها مباشرة ، أو بعد تراخي موتها مدة . وبدخول (من) أفادت آية العنكبوت المعنى الأول ، كما أنه ناسب ما تقدم من عموم رزق الله لخلقه .

أما الآيتان من سورتي البقرة والجاثية فجاءتا في سياق تعداد مظاهر قدرة الله ، فناسب ورود معنى إحياء الأرض بعد مدة طويلة من موتها[(٤)] .

إذن ، بالنظر إلى سياق كلّ آية نجد سياق آيات سورة العنكبوت اقتضى تفرد آيتها بزيادة (من) دون غيرها من آيات هذا السياق في القرآن الكريم ؛ فكان سياقها ضمن تقرير وحدانية الله وتفرده بصنع هذا الكون ، وإقرار المنكرين بأنّ الخالق والرازق الوحيد هو الله ، فإنّ إدراكهم يقتصر على المحسوسات الواضحة ، ولا ينفذ على مثل تلك الكليات المعقولة .

يقول البقاعي في ذلك : " وأشار بإثبات الجار إلى قرب الإنبات من زمان الممات ، وإلى أنهم لا يعلمون إلا الجزيئات الموجودة المحسوسة ، ولا تنفذ عقولهم إلى الكليات المعقولة نفوذ أهل الإيمان ليعلموا أنّ ما أوجده سبحانه بالفعل في وقت فهو موجود إما بإيجاده إذا أراد ، فالأرض حية بإحيائه

---

(١) ينظر : درة التنزيل ، ص٣٤٦ .

(٢) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص١٥٠ ، (من قبله) جزء من الآية (٤٨) .

(٣) ينظر : الملاك ، ج١ ، ص١٠١-١٠٢ .

(٤) ينظر : كشف المعاني ، ص١٦٤ .

سبحانه بسبب المطر في جميع الزمن الذي هو بعد الموت بالقوة ، كما أنها حية في بعضها بالفعل ، فقال : ﴿ **من بعد موتها** ﴾ ، فصارت خضراء تهتز بعد أن لم يكن بها شيء من ذلك "[1]، فهو المقدر للأسباب والمسببات ؛ فناسب كلّ هذا التعبير بـ (من) ، وليناسب في بنائها بناء ما سبقها من قوله : ﴿ **من نزلَ** ﴾ في التأكيد .

أما آية سورة البقرة فكان السياق فيها يتطلب ذكر ما هو سبب الحياة ، ولما كان هذا الإحياء يستغرق زمناً للعودة بعد الموت ، ناسب مجيؤها بدون (من) ، فقال : ﴿ **بعدَ موتها** ﴾ فقط[2].

ولا يختلف الطاهر بن عاشور كثيراً عما قاله الإسكافي ، فيقول : " ولما كان سياق الكلام هنا في مساق التقرير ، كان المقام مقتضياً للتأكيد بزيادة (من) في قوله : ﴿ **من بعد موتها** ﴾ إلجاءً لهم إلى الإقرار بأن فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم ؛ فلذلك لم يكن مقتضٍ لزيادة (من) في آية البقرة ، وفي آية الجاثية ﴿ **فأحيا به الأرضَ بعدَ موتها** ﴾ "[3].

- المسألة الثانية : اختلاف فاصلة الآية ، ففي العنكبوت : ﴿ **يعقلُونَ** ﴾ ، وفي لقمان : ﴿ **يعلمونَ** ﴾ . فقال الخالق الحميد في محكم التنزيل في سورة العنكبوت : ﴿ **وَلَئن سَأَلْتهم من نزلَ منَ السمَاءِ مَاءً فَأَحيَا بِه الأَرضَ من بعد موتهَا لَيقُولُن اللهُ قُلِ الْحَمد لله بلْ أَكْثَرهم لا يعقلُونَ** ﴾[4].

وفي سورة لقمان قال : ﴿ **وَلَئن سَأَلْتهم من خَلَقَ السمَاوَات وَالأَرضَ لَيقُولُن اللهُ قُلِ الْحَمد لله بلْ أَكْثَرهم لا يعلمونَ** ﴾[5].

موضع المتشابه : أن قال في العنكبوت : ﴿ **لا يعقلُونَ** ﴾ ، وفي لقمان : ﴿ **لا يعلمونَ** ﴾ .

---

(١) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٧٦ .
(٢) ينظر : المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٩٦ .
(٣) التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٢٩ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٦٣) .
(٥) سورة لقمان : الآية (٢٥) .

يجيب الخطيب على ذلك بأن الآية الأولى - من سورة العنكبوت - كانت تتحدث عن البعث والإحياء بعد الموت ، فاستعمل معها : ﴿ **لاَ يعقلُونَ** ﴾ ، أي : لا يفهمون عن هذا الفعل مثله .

ثم قال فيما يخص آية لقمان أنها ليست كسابقتها ؛ لأن الكفار فيها مقرون بأن الله وحده خالق السموات والأرض ، وهم يعلمون ذلك ويثبتون معه آلهة أخرى ، فكأنهم لا يعلمون ؛ لذا قال : ﴿ **بَلْ أَكْثَرهم لاَ يعلَمونَ** ﴾ ، فإن عبدوا الأصنام عبادة تحق لمن خلق السموات والأرض بإقرارهم ، فكأنهم لم يعلموا ما أقروا به ، وثبت معلوم لهم[1] .

ويعلّق الألوسي على آية سورة لقمان بقوله : " ﴿ **بَلْ أَكْثَرهم لاَ يعلَمونَ** ﴾ أن ذلك يلزمهم ، قيل : وفيه إيغال حسن ، كأنه قال سبحانه : وإن جهلهم انتهى إلى أن لا يعلموا أنّ الحمد لله ما موقعه في هذا المقام ، وقد مر تمام الكلام في نظير الآية في العنكبوت "[2] . وكان قد علّق على آية سورة العنكبوت بقوله : " ﴿ **بَلْ أَكْثَرهم لاَ يعقلُونَ** ﴾ ما يقولون ، وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد ، أو : ﴿ **لاَ يعقلُونَ** ﴾ شيئاً من الأشياء ، فلذلك ﴿ **لاَ يعلَمونَ** ﴾ بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته ، قيل : إضراب عن جهلهم الخاص في الإتيان بما هو حجة عليهم إلى أنّ ذلك لأنهم مسلوبو العقول ، فلا يبعد عنهم مثله "[3] .

وأما ابن عاشور فيجد في اختلاف التعبيرين تفنناً في المخالفة بين القصتين مع اتحاد المعنى[4] .

وننتهي بذلك إلى القول بأنه تعالى قال في خاتمة آية العنكبوت : ﴿ **بَلْ أَكْثَرهم لاَ يعقلُونَ** ﴾ ، فيصفهم بانعدام الفهم ، حيثُ عطّلوا عقولهم عن رؤية الحق واتباعه رغم إقرارهم به ، فقد سبق وأن أقروا بوحدانية الله وخلقه للسموات والأرض ، إلا أنهم انصرفوا عن ذلك الحق ، ثم يعودون للإقرار بأن الله منزل الماء ومحيي الأرض الميتة ، ومع هذا يعرضون ، فهذا دليلٌ على بهيمية تفكيرهم ؛ فناسب اللفظ السياق الذي جاء فيه ومهد له .

---

(١) ينظر : درة التنزيل ، ص٢٤٨ . أما الكرماني فلم يذكر هذا الموضع .

(٢) روح المعاني ، ج٢١ ، ص٩٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢١ ، ص١٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص١٧٩ .

أما آية سورة لقمان فوصفهم بقوله تعالى : ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ ، فلما كان منهم الإقرار ومع هذا لا يعملون بما يعلمون ، فكانوا كمن لا علم له أصلاً ، وهذا من متناقضات أفعالهم . فمهد السياق لما يناسبه من اللفظ ، فسبحان الله أحكم القائلين .

الموضع الثامن عشر :

قال الواجد الماجد سبحانه في سورة العنكبوت : ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [(١)] .

وسبقتها سورة الأنعام بقوله : ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [(٢)] .

موضع المتشابه : تقديم (اللهو) في العنكبوت ، و (اللعب) في الأنعام .

ومعنى اللعب : " هو فعل الصبيان يعقب التعب من غير فائدة "[(٣)]، وفيه هزل وانبساط[(٤)]. أما اللهو فهو : " الشيء الذي يلتزم به الإنسان ثم ينقضي ، وقيل : ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه "[(٥)].

ومن هذا يفهم أن اللعب يختص بالفترة الزمنية الأولى من عمر الإنسان ، بينما يأتي اللهو في الفترة الزمنية التي تعقب فترة الطفولة أو الصبا ، كما أن اللهو يشمل معنى اللعب .

وآية سورة العنكبوت اشتملت على اسم الإشارة ﴿ **وَمَا هَذِهِ** ﴾ دون الآيات الأخرى ، ويعلل الطاهر ذلك بأنّ اسم الإشارة أفاد تحقير الحياة الدنيا ، وقلّة الاكتراث بها ؛ ولأنه لم يتقدم الآية ما يقتضي تحقير الحياة الدنيا ، فقام اسم الإشارة بإفادة ذلك . أما حذفه من آية سورة الأنعام فلأنه تقدم قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ..** ﴾ فذكر فيها ما

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٤) .

(٢) سورة الأنعام : الآية (٣٢) .

(٣) التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط١ ، ص٢٤٦ .

(٤) ينظر : الطاهر بن عاشور ، م٤ ، ج٧ ، ص١٩٣ .

(٥) التعريفات ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، المحقق : د. محمد رضوان الداية ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، بيروت - دمشق ، ١٤١٠هـ ، ط١ ، ص٦٢٩ .

يظهر حياتهم الدنيا سدى[(١)] .

وأما سر تقديم (اللهو) على (اللعب) في آية سورة العنكبوت فيعلّله الكرماني بأنّ المراد (بالحياة الدنيا) زمن سريع لانقضاء قليل البقاء ، أما الحياة الآخرة فهي التي لا أمد لها ولا نهاية ؛ فبدأ بذكر (اللهو) لأنه في زمن الشباب ، وهو أكثر من زمان اللعب ، وهو زمان الصبا . وأما تقدم لفظ (اللعب) في أكثر آيات القرآن ؛ فلأن اللعب زمانه الصبا ، واللهو زمانه الشباب ، وزمن الصبا مقدم على زمن الشباب[(٢)] .

الموضع التاسع عشر :

قال - عز من قائل - في سورة العنكبوت : ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾[(٣)] .

وقال سبحانه في سورة النحل : ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾[(٤)] .

موضع المتشابه : قال في سورة العنكبوت باللام في : ﴿ **وَلِيَتَمَتَّعُوا** ﴾ ، وفي سورة النحل بالفاء : ﴿ **فَتَمَتَّعُوا** ﴾ .

يقول ابن جماعة : جاءت الآيات من سورتي النحل والروم " للمخاطبين ، فجاءت بغير (اللام) ، وفي العنكبوت للغائبين ، فناسب ذكر (اللام) فيه "[(٥)] . وآيات الخطاب في سورة النحل هي في قوله : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[(٦)] ، فناسب قوله : ﴿ **فَتَمَتَّعُوا** ﴾ . أما آية سورة العنكبوت فافتتحت بالإخبار عن الغائب في قوله : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى**

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، م١٠ ، ج٢١ ، ص٣١ .
(٢) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص٦٢-٦٣ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٦٦) .
(٤) سورة النحل : الآية (٥٥) .
(٥) كشف المعاني ، ص١٣١ .
(٦) سورة النحل : الآيتان (٥٣-٥٤) .

الْبَر إِذَا هم يشركُونَ ﴾ [1]، وكانت سائر الأفعال في الآية أجريت للغائب ، فناسب التعبير بقوله : ﴿ **لِيَتَمَتعوا** ﴾ .

الموضع العشرون :

قال الملك القدوس في سورة العنكبوت : ﴿ **أَولَم يَرَوا أَنا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيتَخَطف الناس من حَولِهِم أَفَبِالْبَاطِلِ يؤمنونَ وَبِنِعمَة اللهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ [2].

وفي النحل قال : ﴿ **وَاللهُ جَعَلَ لَكُم من أَنفُسِكُم أَزوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم من أَزوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم منَ الطيبَات أَفَبِالْبَاطِلِ يؤمنونَ وَبِنِعمَت اللهِ هم يَكْفُرُونَ** ﴾ [3].

موضع المتشابه : في سورة العنكبوت قال سبحانه : ﴿ **يَكْفُرُونَ** ﴾ بدون الضمير (هم) ، بخلاف سورة النحل ﴿ **هم يَكْفُرُونَ** ﴾ .

يقول صاحب البرهان : " قوله - سبحانه - : ﴿ **وَبِنِعمَت اللهِ هم يَكْفُرُونَ** ﴾ ، وفي العنكبوت : ﴿ **يَكْفُرُونَ** ﴾ بغير (هم) ؛ لأن في هذه السورة - أي سورة النحل - اتصل ﴿ **وَاللهُ جَعَلَ لَكُم من أَنفُسِكُم أَزوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم من أَزوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم منَ الطيبَات** ﴾ [4]، ثم عاد إلى الغيبة الغيبة ، فقال سبحانه : ﴿ **أَفَبِالْبَاطِلِ يؤمنونَ وَبِنِعمَت اللهِ هم يَكْفُرُونَ** ﴾ ، فلا بد من تقييده بهم ؛ لئلا تلتبس الغيبة بالخطاب ، والتاء بالباء .

وما في العنكبوت اتصل بآيات استمرت على الغيبة فيها كلها ، فلم يحتج إلى تقييده بالضمير "[5] .

ويذكر الألوسي في هذا الموضع من المتشابه خمسة آراء ؛ رأيان نسبهما إلى الخفاجي ، وثلاثة أخرى لم ينسبها إلى قائليها .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٥) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٧) .

(٣) سورة النحل : الآية (٧٢) .

(٤) سورة النحل : الآية (٧٢) .

(5) الكرماني ، ص١١٤ ، وقد استمد رأيه من الإسكافي ، ص١٩١ ، ووافقه ابن جماعة ، ص١٣٢ .

أما ما نسبه إلى الخفاجي فذكر الضمير (هم) في النحل ، فإنه لّما سبق في هذه السورة قوله تعالى : ﴿ ... **أَفَبِنِعمَةِ اللهِ يَجحَدونَ** ﴾ - أي يكفرون - ، فلو ذكر ما نحن فيه بدون ضمير لكانت الآية تكراراً بحسب الظاهر ، فأتى بالضمير الدالّ على المبالغة والتأكيد ليكون ترقياً في الذم .

وذكر وجهاً آخر فقال : آيات العنكبوت استمرت على الغيبة ، فلم يحتج إلى زيادة ضمير الغائب ، وأما الآية التي نحن فيها - أي في النحل - فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد ؛ لئلا يلتبس بالخطاب - ونرى في هذا التوجيه أنه مستمد بنصه من كلام الكرماني الذي هو تلخيص لكلام الإسكافي - .

أما الأوجه الثلاثة الأخرى فهي :

وقد يقال : إنما لم يأت في آية العنكبوت بالضمير وبني الفعل عليها استغناء - بتكرر ما يفيد كفر القوم بالمنعم ، مع قربه من تلك الآية - عن ذلك .

على أنه تقدم هناك - أي في العنكبوت - ما تستمد منه الجملتان أتم استمداد ، وإن كان فيه نوع بعد ومغايرة ما ، وذاك قوله تعالى : ﴿ ... **وَالذينَ آمَنوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَروا بِاللهِ أُولئكَ هم الْخَاسرونَ** ﴾ .

ولّما لم تكن آية النحل بهذه المرتبة جيء فيها بما يفيد التقوى .

أو يقال : إنه لّما كان سرد النعم هنا - أي في النحل - على وجه ظاهر في وصولها إليهم والامتنان بها عليهم ، كان ذلك أوفق بأن يؤتى بما يفيد كفرهم بها ، على وجه يشعر باستبعاد وقوعه منهم ، فجيء بالضمير فيه ، ولما لم يكن ما هنالك - أي في العنكبوت - كذلك لم يؤت فيه بما ذكر(١) .

---

(١) ينظر : روح المعاني ، ج١٤ ، ص١٩١-١٩٢ .

الخاتمة

وخلاصة ما توصلت إليه في هذا البحث ، والذي أقمته على تمهيد يتحدث عن علم المناسبة وتطور الكتابة فيه ، ثم ستة فصول ؛ الأول : وجوه التناسب في السورة ، الثاني : مقصود السورة الأعظم وأغراضه الكلية ، الثالث : وجوه النظم والتناسب في بناء الجملة ، الرابع : وجوه النظم والتناسب في بناء الجمل والفصول ، الفصل الخامس : وجوه النظم والتناسب في فواصل السورة ، السادس : المتشابه بين سورة العنكبوت وسور القرآن الأخرى .

فلما كان الموضوع (**أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت**) ، كان من الضروري أن يتم التركيز على الربط بين تركيب العبارة وتراكيب الجمل ، وما ترتب على هذا التركيب من تناسب بين تركيب الجملة ومعناها ، وبين تراكيب الجمل وما لها من معان من حيث كون الجمل الفعلية تحكي أحداثاً طارئة ، والاسمية تقرر حقائق ثابتة ، إلى جانب ما في الجمل الإنشائية من تناسب مع ما عبرت عنه من معان ، وكذا الفصل والوصل في بناء الجمل .

وعند تتبع الجمل في مقاطع السورة الثلاثة وجدت غلبة الجملة الفعلية على الجملة الاسمية ، ففي المقطع الأول عند الحديث عن سنة الابتلاء وموقف الناس - خطأً - منها ، من الجمل الفعلية : (أحسب الناس ، أن يتركوا ، أن يقولوا آمنا ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) .

وفي الابتلاء بالأقارب : (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) .

وفي تقرير الابتلاء أثر مقرر ثابت عبر بالجملة الاسمية (وهم لا يفتنون) ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [1]، جاء عدد الجمل الفعلية ثمانية جمل ، بينما كانت الجمل الاسمية جملتين فقط .

وفي المقطع الثاني عند عرض صور ابتلاء الأنبياء ودعوتهم أقوامهم ، كان من الجمل الفعلية ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام : (اعبدوا الله واتقوه ، فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه واشكروا له) ، وفي بيان انحرافهم وشركهم : (إنما تعبدون من دون الله أوثاناً ، وتخلقون إفكاً ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً) .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٠) .

ومن الجمل الفعلية في المقطع الثالث عند دعوة المؤمنين لمجادلة أهل الكتاب بالحسنى : (ولا تجادلوا ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا ، وأنزل إليكم) .

ولما كانت السورة تحكي عن ابتلاءات المؤمنين وأنها سنة قائمة ، كذلك تحكي الانحرافات عن الحق أو دعوة بعض الناس وإغوائهم للصد عن عبادة لله .

ثم عرضت لنماذج من ابتلاءات الأنبياء ، وتختتم بذكر ما أعده الله للمجاهدين لأنفسهم من الثواب ، فقد كان كل هذا يتناسب مع الأحداث الطارئة التي تقتضي غلبة الجملة الفعلية وسيطرتها .

وفي الفصل الثالث عند دراسة الأساليب الإنشائية تساوى في المقطع الأول عدد مرات تكرر أسلوبي الاستفهام والأمر ، وقد تناسب هذا مع ما تحدثت عنه آيات هذا المقطع ، فقد عرضت لعدة صور من فتنة المؤمنين .

أما في المقطع الثاني فكان الأمر مستعملاً أكثر على لسان بعض الأنبياء ، ويؤازره الاستفهام كما في قصة إبراهيم عليه السلام ، والتي تبدأ من الآية السادسة عشرة إلى الآية السابعة والعشرين ، فقد ذكر فيها عشرة أساليب أمر ، وأسلوب استفهام واحد . وكَثْرةُ هذا الأسلوب - الأمر - تتناسب مع ما يقتضيه حال هذا النبي مع قومه في دعوتهم ونصحهم وإرشادهم .

ثم يأتي المقطع الثالث بعشرة أساليب أمر يساندها سبعة أساليب استفهام ، وقد تناسب هذا مع ما تضمنته آيات هذا المقطع من الحجج القوية التي تؤكد وحدانية الله وتفرده في خلق وتدبير هذا الكون .

وفي فصل بناء الجمل جاءت دلالة الفصل - في غالب أحواله - على قوة العلاقة بين جملتين ، كأن يفصل بين جملتين ؛ لأن الثانية بدل من الأولى ، أو بيان لها ، أو توكيد ، أو استئناف بياني ، نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئات أن يَسبِقُونَا سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾ [(١)] .

جملة : ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ** ﴾ مفصولها ؛ لأنها استئناف ابتدائي مقرر لسنة أخرى من سنن الله ، وهي عدم إفلات من يعملون السيئات من عقاب الله ، وفيها تهديد ووعيد لأهل السيئات من المشركين .

ثم فصل الجملة الثانية في الآية فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **سَاء مَا يَحكُمونَ** ﴾ ؛ لأنها " مقررة لمعنى الإنكار في جملة ﴿ **أم حَسِبَ الذينَ يَعمَلُونَ السيئات** ﴾ ، فلها حكم التوكيد ؛ لذلك فصلت "[(٢)] .

ولكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيداً معنوياً ، فكان الفصل فيها لكمال الاتصال بين الجملتين .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤) .

(٢) ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٠٧ .

وقد يكون الفصل بين الجملتين لشبه كمـال الاتصـال ؛ حيـث جـاءت الجملـة الثانيـة : ﴿ سَاء مَا يَحكُمونَ ﴾ جواباً لسؤال محذوف فهم من الجملة الأولى ، فكأنه قيل : أأصابوا في ذلك أم أخطؤوا ؟ فكانت الإجابة : ﴿ سَاء مَا يَحكُمونَ ﴾ استئنافاً بيانياً ، " أي : ما أسوأ هذا الذي أوقعـوا الحكم به لأنفسهم "[1].

ويأتي الفصل أيضاً في نحو قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ الذينَ كَفَروا للذينَ آمَنـوا اتبِعـوا سَـبِيلَنا وَلْنحملْ خَطَايَاكُم وَمَا هم بِحَاملينَ من خَطَايَاهم من شَيءٍ إنهم لَكَاذبونَ ﴾[2]، فصـلت جملـة : ﴿ إنهم لَكَاذبونَ ﴾ ؛ لكمال الاتصال بين الجملتين ؛ حيث وقعت هذه الجملة بدل اشـتمال مـن : ﴿ وَمَا هم بِحَاملينَ من خَطَايَاهم من شَيءٍ ﴾ ، " فكان مضمون جملة : ﴿ إنهم لَكَـاذبونَ ﴾ ممـا اشتمل عليه مضمون جملة : ﴿ وَمَا هم بِحَاملينَ ﴾ ، وليس مضمون الثانية عين مضمون الأولى ، بـل الثانية أولى بالدلالة على أن كذبهم محقّق ، وأنه صفة لهم في خبرهم هذا وفي غيره "[3].

وبهذا تكون قوة العلاقة التي اقتضت الفصل هي مظهر واضح لأثر النظم في تناسب المعاني .

أما الوصل - أي العطف بالواو - فهو يقتضي المغايرة : أي كون المعطوف غير المعطوف عليه ؛ لكنه لا يتم إلا بمناسبة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَما أن جَاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهم وَضَـاقَ بِهم ذَرعاً وَقَالُوا لَا تَخَف وَلَا تحزَنْ إنا مَنجوكَ وَأهلَكَ إلا امرَأتَكَ كَانَت منَ الغَابِرينَ ﴾[4]، عطف في الآية جملة ﴿ وَقَالُوا لَا تَخَف وَلا تَحزَنْ ﴾ على ﴿ سيءَ بِهم وَضَاقَ بِهم ذَرعاً ﴾[5]، فالجملتـان خبريتان ، والعطف للتوسط بين الكمالين ، وجملة ﴿ لا تَخَف وَلا تَحزَنْ ﴾ مقول القول ، فهـي في محل نصب ؛ لأنها مفعول به ، وعطفت جملة ﴿ وَلا تَحزَنْ ﴾ على جملة ﴿ لا تَخَف ﴾ ؛ للتوسط بين الكمالين ؛ لكونهما إنشائيتين .

تميز شعيب عليه السلام في صبره على بلاء قومه ، وقـد جـاء ذكـره في قـول العزيـز الحكـيم :

---

(١) نظم الدرر ، للبقاعي ، ج٥ ، ص٥٣٧ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية (١٢) .
(٣) الطاهر بن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٢١ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية (٣٣) .
(٥) ينظر : ابن عاشور ، م١٠ ، ج٢٠ ، ص٢٤٥ .

﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُم شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ [1]، عطف ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُم شُعَيْباً** ﴾ على ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً** ﴾ ، أي : وأرسلنا إلى مدين[2]، ثم وجب الوصل بين الجمل الإنشائية في الآية : (اعبدوا الله ، وارجوا اليوم الآخر ، ولا تعثوا في الأرض) ؛ للتوسط بين الكمالين ؛ لاتفاق هذه الجملة في كونها إنشائية .

وفي الفصل الخامس من هذا البحث كان الحديث حول فاصلة الآية في سورة العنكبوت وعلاقتها بما قبلها ، وقد تنوعت هذه العلاقة بين (التمكين ، والإيغال ، والتصدير ، والتوشيح) ، وكلها تدلّ على تناسب بين الفاصلة وآياتها . فالتناسب موجود في جميع الفواصل ، لكنه أقوى في حال التمكين ، وقد كانت هذه العلاقة هي الأغلب في فواصل السورة .

وقد وجدت في فواصل المقطع الأول من السورة أنّ علاقة التوشيح كانت سائدة ، أما المقطع الثاني والثالث فقد كانت علاقة التمكين هي الأغلب .

ولقد ناسب مجيء كل منها مع ما يقتضيه كل مقطع ، فالتوشيح معناه : " أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تعرف منه قبل قراءتها "[3]، وهذا المعنى يلتقي مع واقع آيات المقطع الأول ، ففي قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [4]، كانت علاقة الفاصلة التوشيح ، حيث دلّ أول الكلام : ﴿ **فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا** ﴾ على آخره : ﴿ **وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ . كذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [5]، فقد دلّ أول الآية على فاصلتها : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

أما معنى التمكين : " أن يمهد للفاصلة قبلها تمكيناً تأتي به ممكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، ... متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً ، بحيث لو طرحت الفاصلة جانباً لاختلّ المعنى ... "[6]، فقد تناسب هذا المعنى مع آيات المقطعين الثاني والثالث ، حيث كانت آياتهما تمهد لمجيء الفاصلة ، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**

---

(1) سورة العنكبوت : الآية (٣٦) .

(2) ينظر : أبو حيان ، ج٧ ، ص١٤٧ .

(3) الفاصلة في القرآن ، لعبد الفتاح لاشين ، ص٤١ .

(4) سورة العنكبوت : الآية (٣) .

(5) سورة العنكبوت : الآية (٦) .

(6) المرجع السابق ، بتصرف .

إن ذلكَ عَلى الله يَسِير ﴾ [1]، فقد جاءت فاصلة الآية مبينة لما تضـمنه الاسـتفهام في أول الآيـة ، فكانت العلاقة بينهما التمكين . وكذلك في قول المولى ﷻ : ﴿ **وَقَالوا لَولا أنزلَ عَليه آيَات من ربه قُلْ إنمَا الْآيَات عندَ الله وَإنمَا أنا نَذير مبين** ﴾ [2]، مهد سياق الآية لفاصلتها : (إنما أنا نذير مـبين) ، فكانت علاقة الفاصلة بما سبقها (التمكين) .

وختم البحث بفصل المتشابه بين آيات سورة العنكبوت وآيات السور الأخرى ، وقـد أكـدت الدراسة تناسب كلّ تعبير مع ما هو فيه من معنى ، وما يحيط به مما سبقه وتلاه ، نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا هَذه الْحَيَاةُ الدنيَا إلا لَهو وَلَعب وَإن الدارَ الْآخرَةَ لَهيَ الْحَيَوَانُ لَو كَانوا يَعلَمونَ** ﴾ [3].

وقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدنيَا إلا لَعب وَلَهو وَللدار الآخرَةُ خَيـر للـذينَ يَتقُونَ أفَلَا تَعقلُونَ** ﴾ [4].

وسر تقدم (اللهو) في آية سورة العنكبوت أنّ المراد (بالحياة الدنيا) زمن سريع الانقضاء قليل البقاء ، أما (الحياة الآخرة) فهي التي لا أمد لها ولا نهاية ؛ فبدأ بذكر (اللهو) ؛ لأنه في زمن الشباب ، وهو أكثر من زمان اللعب ، وهو زمان الصبا ، فجاء كل تعبير متناسب مع وضعه وسياقه في سورته .

ومن التوصيات التي أتمنى تحققها :

١- الاهتمام بالجانب التطبيقي في دراسة الإعجاز ، ولاسيما في مرحلة البكالوريوس الجامعية .

٢- دراسة نصوص قرآنية دراسة تطبيقية لطلاب المرحلة الثانوية ليتذوقوا شيئاً من بلاغة القرآن المعجزة .

٣- توجه الأبحاث في مرحلتي (الماجستير والدكتوراه) إلى دراسة مشتبه النظم ، كأن يختار طالـب مشتبه النظم في سورتين ، أو يوازن بين دراسة عالمين ممن اشتغلوا بالمتشابه للدراسة في سـورة واحدة لدى كل منهما .

٤- تكليف الطلاب بحفظ قدر من القرآن الكريم في جميع مراحل التعليم ، والاهتمـام بـذلك في المرحلة الجامعية - لاسيما كلية اللغة العربية - فإن ذلك له أثره في تقويم اللسـان ، وتربيـة الذوق الذي يستشعر الجمال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (١٩) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٥٠) .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٦٤) .

(٤) سورة الأنعام : الآية (٣٢) .

الفهـــــارس

١ - فهرس المصادر والمراجع .

٢- فهرس الآيـات القرآنية .

٣- فهـرس الموضوعـات .

فهرس المصادر والمراجع

● القرآن الكريم .

١- الإتقان في علوم القرآن ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ، وهو محمد بن محمد العمادي ، الناشر : دار الفكر ، د.ط .

٣- أساس البلاغة ، للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان ، د.ط .

٤- أسباب نزول القرآن ، للإمام أبي الحسن علي الو احدي ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٥- أضواء البيان ، لمحمد الأمين محمد بن مختار الشنقيطي ، المحقق : مكتب البحوث والدراسات ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، د.ط .

٦- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، د.ط .

٧- الأمر والنهي ، د. محمود توفيق ، الناشر : مطبعة الأمانة ، مصر ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، د.ط .

٩- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، د. عبد الله شحاتة ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٦م .

١٠- إيجاز البيان في سور القرآن ، لمحمد علي الصابوني ، الناشر : مكتبة الغزالي ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١١- الإيضاح في علوم البلاغة ، للشيخ الخطيب القزويني ، تحقيق : بهيج غـزاوي ، الناشـر : دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م .

١٢- البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : عادل عبد الموجـود ، علي معوض ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٣- البرهان في ترتيب سور القران ، لابن الزبير الغرناطي ، تحقيق : محمد شعباني ، الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٤- البرهان في توجيه متشابه القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، المحقق : عبد القادر أحمد عطا ، الناشر : دار الكتب العربية ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٥- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، الناشر : المكتبة العصرية ، بيروت ، طبعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٦- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، لعبد المتعال الصعيدي ، الناشر : مكتبة الآداب القاهرة ، طبعـة : نهاية القرن ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

١٧- البلاغة فنونها وأفنانها ، للدكتور : فضل حسن عباس ، الناشر : دار الفرقان ، الأردن ، ط٧ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

١٨- التبيان في إعراب القرآن ، المؤلف : أبو البقاء العكبري ، المحقق : علي محمد البجاوي ، الناشـر : عيسى البابي الحلبي ، د.ط .

١٩- التبيان في تفسير غريب القرآن ، شهاب الدين محمد بن أحمد المصري ، تحقيق : فتحي أنـور ، دار الصحابة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ط١ .

٢٠- التحرير والتنوير ، لطاهر ابن عاشور ، الناشر : دار سحنون ، تونس ، د.ط .

٢١- الترتيب والتناسب في آيات القرآن وسوره ودلائل الإعجاز ، د. محمد رأفت سعيد ، الناشر : دار الوفاء ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٢٢- التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ط٤ .

٢٣- التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط١ .

٢٤- التعريفات ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، المحقق : د. محمد رضوان الداية ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، بيروت - دمشق ، ١٤١٠هـ ، ط١ .

٢٥- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ، للدكتور : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ١٩٩٩م .

٢٦- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ ، د.ط .

٢٧- التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، ط١ .

٢٨- تناسق الدرر في تناسب السور ، للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، الناشر : عالم التراث ، دمشق .

٢٩- تنزيل القرآن ، لابن شهاب الزهري ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، الناشر : دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ط٢ .

٣٠- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، و : د. محمد زغلول سلام ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ .

٣١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ١٤٠٥هـ .

٣٢- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الناشر : دار الشعب ، القاهرة ، د.ط .

٣٣- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف : السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق : د. يوسف الصميلي ، الناشر : المكتبة العصرية ، بيروت ، عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، د.ط .

٣٤- دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، عبد الجواد محمد طبق ، الناشر : دار الأرقم ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٣٥- دراسة في سورة العنكبوت ، الشيخ أحمد القطان ، ومحمد الزين ، الناشر : مكتبة السندس ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٣٦- درة التنزيل وغرة التأويل ، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ، المحقق : الشيخ خليل مأمون شيحا ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان ، ط١ .

٣٧- دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود شاكر ، الناشر : مكتبة الخانجي ، ط٢ .

٣٨- دلالات التراكيب ، الدكتور : محمد محمد أبو موسى ، الناشر : مكتبة وهبة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٣٩- روح المعاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، الناشر : دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ط .

٤٠- زاد المسير ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ط٣ .

٤١- شروح التلخيص ، لسعد الدين التفتازاني ، وابن يعقوب المغربي ، وبهاء الدين السبكي ، وفي الهامش : كتاب الإيضاح للخطيب القزويني ، وحاشية الدسوقي على شرح السعد ، الناشر : دار الإرشاد الإسلامي ، بيروت ، د.ط .

٤٢- صحيح البخاري ، المحقق : مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، د.ط .

٤٣- علم المعاني ، دراسة نقدية بلاغية ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، د.ط .

٤٤- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، لأحمد مصطفى المراغي ، الناشر : دار القلم ، بيروت ، د.ط .

٤٥- الفاصلة في القرآن ، للدكتور : محمد الحسناوي ، الناشر : دار عمار ، ط٢ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٤٦- فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، د.ط .

٤٧- الفهرست ، لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، د.ط .

٤٨- فواصل الآيات القرآنية ، د. كمال الدين عبد الغني المرسي ، الناشر : المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٤٩- في ظلال القرآن لسيد قطب ، الناشر : دار الشرق ، ط٩ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٥٠- قبس من نور القرآن الكريم ، لمحمد علي الصابوني ، الناشر : دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .

٥١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمـر الزمخشري ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٥٢- كشف المعاني في متشابه المثاني ، لبدر الدين بن جماعة ، تحقيق الدكتور : محمد محمـد داود ، الناشر : دار المنار ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٥٣- لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد ابن منظور المصري ، الناشر : دار صادر ، بيروت ، ط١ .

٥٤- المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم ، للدكتور : عبد المجيد ياسين المجيد ، الناشر : دار ابن حزم ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٥٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسـي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر : دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣هـ ـ - ١٩٩٣م ، ط١ .

٥٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، راجعها : محمد فؤاد عبد الباقي ، ضبطها : محمد سعيد اللحام ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٥٧- مغني اللبيب ، لأبي محمد عبد الله بن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشـر : مطبعة المدني ، د.ط .

٥٨- مفتاح العلوم ، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي ، تحقيق : نعيم زرزور ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٥٩- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم أبي الحسين بن محمد الأصفهاني ، المحقق : محمد سيد كيلاني ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت .

٦٠- المفصل في علوم البلاغة ، د. عيسى علي العـاكوب ، الناشـر : دار القلـم ، دبي ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٦١- ملاك التأويل ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي ، تحقيـق : محمـود كامل أحمد ، الناشر : دار النهضة العربية ، لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، د.ط .

٦٢- من أسرار التعبير في القرآن الفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لاشين ، الناشر : دار المريخ ، الطبعـة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الرياض .

٦٣- مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، الناشر : دار الفكـر ، لبنـان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ط١ .

٦٤- نظرة العجلان في أغراض القرآن ، لمحمد بن كمال أحمد الخطيب ، الناشر : المطبعة العصرية ، دمشق ، د.ط .

٦٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي ، تحقيـق : عبد الرزاق غالب المهدي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بـيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٦٦- النظم الفني في القرآن ، لعبد المتعال الصعيدي ، الناشر : مكتبة الآداب القاهرة ، د.ط .

فهـرس الآيـات القرآنيـة

الســـــورة	رقم الآية	الصفحة
(البقرة)		
﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ	١-٢	١٩
﴿ إن اللهَ لاَ يستحيي أَن يضرب مَثَلاً ما بعوضةً	٢٦	١٣٣
﴿ وإِذْ قَالَ إبراهيم رب اجعلْ هذَا بلَداً آمناً	١٢٦	١٠٠
﴿ ووصى بِها إبراهيم بنِيه	١٣٢	٥٦
﴿ إن في خلْقِ السماوات والأرضِ	١٦٤	٢٥٣
﴿ لله ما في السماوات وما في الأرضِ وإن تبدواْ	٢٨٤	٢٢٩
(آل عمران)		
﴿ ومن دخلَه كَانَ آمناً	٩٧	١٧
﴿ أُولَئك جزآؤهم مغفرةٌ من ربهم	١٣٦	٢٤٩
﴿ ونِعم أَجر الْعاملين	١٣٦	٢٤٩-٢٥٠
(النساء)		
﴿ يا أَيها الناس اتقُوا ربكُم	١	٦٧
(الأنعام)		
﴿ أَلَم يرواْ كَم أَهلَكْنا من قَبلهم من قَرن	٦	٢٢٦-٢٢٩
﴿ قُلْ سيرواْ في الأَرضِ ثُم انظُرواْ	١١	٢٢٧
الســـــورة	رقم الآية	الصفحة

﴿ حتى إذَا جاءتهم الساعةُ بغتةً قَالُواْ	٣١	٢٥٧
﴿ وما الْحياةُ الدنيا إلا لَعبٌ ولَهوٌ	٣٢	٢٦٥-٢٥٧
(الأعراف)		
﴿ الٓمٓصٓ ۝ كِتَٰبٌ	٢-١	١٩
﴿ ولَقَد جِئْناهم بِكتابٍ فَصلْناه علَى علْمٍ	٥٢	١٧٣
﴿ لَقَد أَرسلْنا نوحاً إِلَى قَومه فَقَالَ	٥٩	٢٤٣-٢٢٤
﴿ وإِلَى عاد أَخاهم هوداً	٦٥	٢٤٣
﴿ وإِلَى ثَمود أَخاهم صالحاً	٧٣	٢٤٥-٢٤٣
﴿ ولُوطاً إِذْ قَالَ لقَومه أَتأْتونَ الْفَاحشةَ	٨٠	٢٣٣-٢٣٢-١٥٥
﴿ إِنكُم لَتأْتونَ الرجالَ شهوةً من دون النساء	٨٢-٨١	٢٣٨-٢٣٥-٢٣٤
﴿ بلْ أَنتم قَومٌ مسرِفُونَ	٨٢-٨١	٢٣٧-٢٣٥
﴿ فَأَنجَيناه وأَهلَه إِلا امرأَته كَانت من الْغابِرِين	٨٣	٢٣٩
﴿ وإِلَى مدين أَخاهم شعيباً قَالَ يا قَومِ اعبدواْ اللّه	٨٥	٢٤٣
﴿ آيات مفَصلاَت	١٣٣	١٧٣
(هود)		
﴿ وما من دآبة في الأَرضِ إِلا علَى اللّهِ رِزقُها	٦	٦٠
﴿ يا نوح اهبِطْ بِسلاَمٍ	٤٨	٨٢
﴿ فَلَما جاءَ أَمرنا نجينا	٦٦	٢٤٦
﴿ ولَقَد جاءت رسلُنا إِبراهيم بِالْبشرى	٦٩	٢٤١
﴿ قَالُواْ لاَ تخف إِنا أُرسلْنا إِلَى قَومِ لُوط	٧٠	٢٤١
الســـ ـــ ـــ ـــورة	**رقم الآية**	**الصفحة**

﴿ ولَما جاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهم	٧٧	٢٤٠-٢٤١-٢٤٢
﴿ وجاءَه قَومه يهرعونَ إِلَيه	٧٨	٢٤٢
﴿ قَالُواْ يا لُوطُ إِنا رسلُ ربك لَن يصلُواْ إِلَيك	٨١	٢٤١
﴿ ولَما جاء أَمرنا نجينا شعيباً	٩٤	٢٤٥
(يوسف)		
﴿ فَلَما أَن جاء الْبشير أَلْقَاه علَى وجهه	٩٦	٨٥
(الرعد)		
﴿ اللّهُ يبسطُ الرزق لمن يشاءُ ويقَدر	٢٦	٢٥١-٢٥٣
﴿ ويقُولُ الذين كَفَرواْ لَست مرسلاً	٤٣	٢٤٧
(إبراهيم)		
﴿ وإِذْ قَالَ إِبراهيم رب اجعلْ هذَا الْبلَد آمناً	٣٥	١٠٠
(الحجر)		
﴿ إِن عبادي لَيس لَك علَيهِم سلْطَانٌ	٤٢	٨٥
﴿ إِنا أُرسلْنا إِلَى قَومٍ مجرِمين	٥٨	٢٤٠
﴿ إِنا لَمنجوهم أَجمعين	٥٩	٢٤٠
﴿ إِنا كَفَيناك الْمستهزِئين	٩٥	١٠
(النحل)		
﴿ وما بِكُم من نعمة فَمن اللّهِ	٥٣-٥٤	٢٥٨
﴿ ليكْفُرواْ بِما آتيناهم فَتمتعواْ	٥٥	٢٥٨
﴿ أَفَبِنعمة اللّهِ يجحدونَ	٧١	٢٥٩
الســـــورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
﴿ واللّهُ جعلَ لَكُم من أَنفُسِكُم أَزواجاً	٧٢	٢٥٩

(الإسراء)		
﴿ ولاَ تقْربواْ الزنى إنه كَانَ فَاحشةً	٣٢	٧٨
﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شهيداً بيني وبينكُم	٩٦	٢٤٧
(مريم)		
﴿ واشتعلَ الرأس شيباً	٤	٢
﴿ يا يحيى خذ الْكتاب بِقُوة	٢١	٥٥
(طه)		
﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ	١-٢	١٩
﴿ وفَتناك فُتوناً	٤٠	٢٧
(الأنبياء)		
﴿ كُل نفْسٍ ذَائقَةُ الْموت ونبلُوكُم بِالشر والْخيرِ	٣٥	٢٤٨
﴿ ونبلُوكُم بِالشر والْخيرِ فتنةً	٣٥	٢٤٨-٢٤٩
﴿ حرقُوه وانصروا آلهتكُم إِن كُنتم فَاعلين	٦٨	١٩١
﴿ قَالُوا حرقُوه وانصروا آلهتكُم	٦٨-٦٩	٦٤
(المؤمنون)		
﴿ ولَقَد خلَقْنا الإِنسانَ من سلالَة من طينٍ	١٢-١٤	٢٢٥
﴿ ولَقَد خلَقْنا فَوقَكُم سبع طَرائق	١٧	٢٢٥
﴿ وعلَيها وعلَى الْفُلْك تحملُونَ	٢٢	٢٢٦-٢٢٧

السـ ـ ـ ـورة	رقم الآية	الصفحة
(الفرقان)		
﴿ وقَالَ الرسولُ يا رب إِن قَومي	٣٠	٨٣

(الشعراء)		
﴿ طسم تلْك آيات الْكتابِ الْمبِينِ	١-٢	١٣
﴿ أتأتونَ الذكْرانَ من الْعالَمين	١٦٥	٤٤
﴿ فَكذبوه فَأخذَهم عذَاب يومِ الظلة	١٨٩	٢٤٦
(النمل)		
﴿ فَلَما جاءَتهم آياتنا مبصرةً	١٣	٢٣٤
﴿ فَإِذَا هم فَرِيقَان يختصمونَ	٤٥	٢٣٧
﴿ ولُوطاً إِذْ قَالَ لقَومه أَتأْتون الْفَاحشةَ	٥٤	٢٣٢-٢٣٥
﴿ أئنكُم لَتأْتونَ الرجالَ شهوةً من دون النساء	٥٥-٥٦	٢٣٤-٢٣٥-٢٣٨
﴿ بلْ أَنتم قَومٌ تجهلُونَ	٥٥-٥٦	٢٣٦
﴿ فَأَنجَيناه وأَهلَه إِلا امرأَته قَدرناها من الْغابِرِين	٥٧	٢٣٩
(القصص)		
﴿ إِن فرعونَ علاَ في الأَرضِ	٤	١٣
﴿ علا في الأَرضِ وجعلَ أَهلَها شيعاً	٤	١٣
﴿ قَالَ رب إِني ظَلَمت نفْسِي	٣٦	٨٢
﴿ فَأَخذْناه وجنوده فَنبذْناهم في الْيم	٤٠	١٣
﴿ إِنك لا تهدي من أَحببت	٥٦	١٧
﴿ إِن نتبِعِ الْهدى معك نتخطف من أَرضنا	٥٧	١٧
السـ ـ ـ ـورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
﴿ أَولَم نمكن لهم حرماً آمناً	٥٧	١٧
﴿ وقَالُوا إِن نتبِعِ الْهدى معك نتخطف من أَرضنا	٥٧	١٧

﴿ يجبى إليه ثمرات كل شيء	٥٧	١٧
﴿ إنما أوتيته على علم عندي	٧٨	١٤
﴿ فخسفنا به وبداره الأرض	٨١	١٤
﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس	٨٢	٢٥٠
﴿ ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده	٨٢	٢٥١-٢٥٢
﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد	٨٥	١٤-١٦
﴿ وادع إلى ربك	٨٧	١٥
﴿ ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو	٨٨	١٦
(العنكبوت)		
﴿ الم ۞ أحسب الناس أن يتركوا	١-١٣	١٤-٢٨-١٤٣-١٧٧-١٧٨
﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا	٢-٣	١٢-١٥-١٦-٢٠-٢٧-٣٧-٣٨-٨٦-١٠٠-١٠٢-١٢٣
﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا	٣	١٤٤-١٧٩-١٨١
﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله	٣	١٣-٢٧-٣١-٥٥-٨٣-٨٧-١٠١-١٤٣-١٤٤-١٧٨-٢٢٥-٢٦٤
﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات	٤	٣٩-١٠١-١٠٣-١٢٤-١٤٤-١٤٥-١٧٩-٢٣١-٢٦٢
الســـــورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
﴿ فإن أجل الله لآت	٥	٨٨
﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت	٥	١١-٢٨-٨٨-١٢٥-

السـ ـ ـ ـورة	رقم الآية	الصفحة
		١٤٥-١٧٧-١٧٩
﴿ إن اللهَ لَغنِي عنِ الْعالَمين	٦	١٨٠
﴿ ومن جاهد فَإنما يجاهد لنفْسِه	٦	٨٩-١٤٥-١٤٦-١٨٠-٢٢٣-٢٦٤
﴿ لَنكفرن عنهم سيئَاتهم	٧	٢٩
﴿ والذين آمنوا وعملُوا الصالحات لَنكفرن عنهم	٧-٩	٨٩-١٤٦-١٨٠-٢٢٠-٢٢٢
﴿ ولَنجزِينهم أحسن الذي كَانوا يعملُونَ	٧	١٤٦-٢٢٢
﴿ إلَي مرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِما كُنتم تعملُونَ	٨	٥٦-١٤٧
﴿ وإِن جاهداك لتشرِك بِي ما لَيس لَك بِه علْمٌ	٨	٢٩-٧٨-١٤٧-٢٢٣
﴿ ووصينا الْإِنسانَ بِوالديه حسناً	٨	٥٥-٥٦-٧٨-١٠٣-١٢٥-١٤٦-١٤٧-١٨٠-٢١٩
﴿ والذين آمنوا وعملُوا الصالحات لَندخلَنهم	٩	٩٠-١٤٧
﴿ أولَيس الله بِأَعلَم بِما في صدورِ الْعالَمين	١٠	٢٩-٤١-١٠٥-١٨١
﴿ جعلَ فتنةَ الناسِ كَعذَابِ اللَّهِ	١٠	٢٩-١٢٦
﴿ فَإِذَا أُوذي في اللَّهِ جعلَ فتنةَ الناسِ	١٠	٢٩-١٤٨
﴿ ولَئن جاء نصرٌ من ربك لَيقُولُن	١٠	٢٩-٩١-١٤٨
﴿ ومن الناسِ من يقُولُ آمنا بِاللَّهِ	١٠-١١	٤٠-٩١-١٠٤-١٢٦-١٤٨-١٤٩-١٨١-٢٦١
﴿ ولَيعلَمن اللَّهُ الذين آمنوا ولَيعلَمن الْمنافقين	١١	٣٠-١٤٨-١٨١
﴿ اتبِعوا سبِيلَنا ولْنحملْ خطَاياكُم	١٢	٥٧-١٤٩

﴿ وقَالَ الذين كَفَروا للذين آمنوا اتبِعوا سبِيلَنا	١٢-١٣	٣٠-٥٦-٩٢-١٠٥-١٢٧-١٤٨-١٨١-٢٦٣
﴿ وما هم بِحاملين من خطَاياهم من شيءٍ	١٢	٥٧-١٠٦-١٤٩-١٨٢
﴿ ولَيحملُن أَثْقَالَهم وأَثْقَالاً مع أَثْقالهم	١٣	٢٨-٩٢-١٢٧-١٢٨-١٤٣-١٤٩
﴿ ولَيسأَلُن يوم الْقيامة عما كَانوا يفْترونَ	١٣	٢٨-٣٠-٩٢-١٥٠
﴿ فَأَخذَهم الطوفَانُ وهم ظَالمونَ	١٤	٩٣
﴿ وتلْك الأَمثَالُ نضربها للناسِ وما يعقلُها	١٤	١٥١-٢٠١-٢٠٢
﴿ ولَقَد أَرسلْنا نوحاً إِلَى قَومه فَلَبِثَ فيهم	١٤-١٥	٣١-٩٣-١٥١-١٥٨-١٨٣-١٨٧-١٩٥-٢٢٥-٢٢٧-٢٤٣-٢٤٤
﴿ فَأَنجَيناه وأَصحاب السفينة	١٥	١٠٦-١٩٨
﴿ ذَلكُم خير لكُم إِن كُنتم تعلَمونَ	١٦	٥٩
﴿ وإِبراهيم إِذْ قَالَ لقَومه اعبدوا اللَّه واتقُوه	١٦	٥٨-١٠٧-١٥١-١٨٨
﴿ إِن الذين تعبدونَ من دون اللَّه لاَ يملكُونَ	١٧	٥٩
﴿ إِنما تعبدونَ من دون اللَّه أَوثَاناً وتخلُقُونَ إِفْكاً	١٧	١١-٥٩-١٠٧-١٢٨-١٥١-٢٥١
﴿ فَابتغوا عند اللَّه الرزق	١٧	٥٩-٦٠-١٢٨-١٥٢
﴿ وإِن تكَذِّبوا فَقَد كَذَّب أُمم من قَبلكُم	١٨	٤١-١٥٢
﴿ إِن ذَلك علَى اللَّه يسِير	١٩	١٨٤
﴿ أَولَم يروا كَيف يبدئ اللَّه الْخلْق ثُم يعيده	١٩-٢٣	٢٢-٤١-٤٢-٦٢-١٠٨-١٥٢-١٨٣-١٨٤-١٨٨-٢٢٦-٢٦٤
السـ ـ ـ ـورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
﴿ إِن اللَّه علَى كُل شيءٍ قَدير	٢٠	١٨٤-١٨٩

السـ ـ ـ ـورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ قُلْ سيروا في الأرضِ فَانظُروا كيف بدأ الْخلْق	٢٠	٦٠-٦١-١٥٣-١٨٩-٢٢٧
﴿ يعذب من يشاءُ ويرحم من يشاءُ	٢١	١٥٣-١٨٩-٢٢٩
﴿ وما أنتم بِمعجِزين في الأرضِ ولا في السماء	٢٢	١٠٩-١٥٤-١٨٩-١٩١-٢٣٠-٢٣١
﴿ وما لَكُم من دون اللهِ من ولي ولاَ نصيرٍ	٢٢	١٠٩-١٨٩
﴿ أُولَئك يئسوا من رحمتي	٢٣	١٢٨-١٥٤-١٨٤
﴿ والذين كَفَروا بِآيات الله ولِقَائه	٢٣	١١٠-١٢٨-١٥٤-١٩٠
﴿ فَأنجَاه اللهُ من النارِ	٢٤	١٥٤
﴿ فَما كَانَ جواب قَومه إلا أن قَالُوا اقْتلُوه	٢٤-٢٧	٦٤-١٥٤-١٩٠
﴿ وقَالَ إنما اتخذْتم من دون اللهِ أَوثَاناً	٢٥	١٥٥-١٩١
﴿ إني مهاجِرٌ إِلَى ربي	٢٦	١١١-١٢٩-١٨٥
﴿ فَآمن لَه لُوطٌ وقَالَ إني مهاجِرٌ إِلَى ربي	٢٦	١١١-١٢٩-١٥٥-١٨٥-١٩٢-٢٤٤
﴿ وقَالَ إني مهاجِرٌ إِلَى ربي	٢٦	١٥٥
﴿ وإنه في الآخرة لَمن الصالحين	٢٧	١١٣-١٩٢
﴿ وجعلْنا في ذُريته النبوةَ والْكتاب	٢٧	١١٣
﴿ ووهبنا لَه إسحاق ويعقُوب	٢٧	٣١-١١٢-١٥٥-١٩٢
﴿ ولُوطاً إِذْ قَالَ لقَومه إنكُم لَتأتُونَ الْفَاحشَةَ	٢٨-٣٠	٩٤-١٥٥-١٩٣-١٩٧-٢٣٢
﴿ ائْتنا بِعذَابِ اللهِ إن كُنت من الصادقين	٢٩	٨٣
﴿ أئنكُم لَتأْتونَ الرجالَ وتقْطَعونَ السبِيلَ	٢٩	٣١-٤٣-٦٦-٩٥-١٣٠-

		١٥٦-١٩٣-٢٣٤-٢٣٥-٢٣٦
﴿ فما كانَ جواب قومه إلا أن قالُوا ائتنا	٢٩	٤٤
﴿ وتأتونَ في ناديكُم الْمنكر	٢٩	٢٣٦
﴿ قالَ رب انصرنِي علَى الْقَومِ الْمفْسِدين	٣٠	٧٩-٨٢-١٥٦-١٩٤
﴿ إن أهلَها كانوا ظَالمين	٣١	١٥٧-١٩٥
﴿ إنا مهلكُو أهلِ هذه الْقَرية	٣١	٩٥-١٩٧
﴿ ولَما جاءت رسلُنا إبراهيم بِالْبشرى	٣١-٣٥	١١٣-١٥٦-١٩٤-١٩٥-٢٤١
﴿ إلا امرأته كانت من الْغابِرِين	٣٢	١٩٥-١٩٦-٢٣٩-٢٤٠
﴿ قالَ إن فيها لُوطاً قالُوا نحن أعلَم بِمن فيها	٣٢	٩٥-١٥٧-١٩٥-٢٣٩
﴿ قالُوا نحن أعلَم بِمن فيها	٣٢	١٥٧
﴿ إنا منجوك وأهلَك	٣٣	١٥٧
﴿ سيءَ بِهِم وضاق بِهِم ذَرعاً	٣٣	١٥٧-٢٤٢
﴿ ولَما أن جاءت رسلُنا لُوطاً سيءَ بِهِم	٣٣-٣٥	٧٩-٩٦-١١٥-١٥٧-١٩٦-٢٤٠-٢٤١-٢٦٣
﴿ إنا منزِلُونَ علَى أهلِ هذه الْقَرية	٣٤	٦٦-٨٣-١١٦-١٥٨-١٩٧
﴿ ولَقَد تركْنا منها آيةً بينةً لقَومٍ يعقلُونَ	٣٥	١٥٨
﴿ اعبدوا الله وارجوا الْيوم الآخر	٣٦	٦٨

الســـــورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وإِلَى مدين أخاهم شعيباً فَقَالَ يا قَومِ اعبدوا الله	٣٦-٣٧	٦٧-٨٠-٨٤-١١٧-١٥٨-١٩٨-٢٤٣-٢٤٤-

		٢٤٥-٢٦٤
﴿ ولا تعثَوا في الأرضِ مفْسِدين	٣٦	١١٧-١٩٨
﴿ فَأخذَتهم الرجفَةُ فَأصبحوا في دارِهم جاثمين	٣٧	٣٢-١٣١
﴿ فَأصبحوا في دارِهم جاثمينَ	٣٧	١٩٨
﴿ فَكذبوه فَأخذَتهم الرجفَةُ	٣٧	١٣١-١٩٨-٢٤٥
﴿ وزين لَهم الشيطَانُ أعمالَهم	٣٨	١١٨
﴿ وعاداً وثَمود وقَد تبين لَكُم من مساكنِهم	٣٨-٤٠	١١٧-١٥٨-١٥٩-١٩٩
﴿ وقَد تبين لَكُم من مساكنِهم	٣٨	١٥٩
﴿ وقَارونَ وفرعونَ وهامانَ	٣٩	١٥٩-١٩٩
﴿ ولَقَد جاءهم موسى بِالْبينات	٣٩	١١٨
﴿ فَكُلا أخذْنا بِذَنبِه	٤٠	١٥٩-٢٠٠
﴿ مثَلُ الذين اتخذُوا من دون اللهِ أولياء	٤١-٤٣	١٠-١١-٣٢-١١٩-١٣١-١٣٢-١٥٩-١٦٠-٢٠١
﴿ وإِن أوهن الْبيوت لَبيت الْعنكَبوت	٤١	١٢٠-١٦٠
﴿ إِن اللَه يعلَم ما يدعونَ من دونِه من شيءٍ	٤٢	١٦٠-١٨٥-١٨٦-٢٠١
﴿ وما يعقلُها إِلا الْعالمونَ	٤٣	٢٠٢
﴿ إِن في ذَلك لآيةً للْمؤمنين	٤٤	١٦١
﴿ خلَق اللهُ السماوات والأرض بِالْحق	٤٤-٦٩	٣٢-٣٣-١٦١-٢٠٣-٢٠٥
الســـــورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
﴿ اتلُ ما أُوحي إِلَيك من الْكتابِ وأَقمِ الصلاةَ	٤٥	٣١-٣٢-٦٨-٦٩-٨١-١٦١-١٦٢-١٨٣-٢٠٥

﴿ إن الصلاةَ تنهى عنِ الْفَحشاء والْمنكرِ	٤٥	٦٩-١٦٢
﴿ واللهُ يعلم ما تصنعونَ	٤٥	٢٠٥
﴿ ولَذكْر اللهِ أكْبر	٤٥	١٦٢
﴿ وإِلَهنا وإِلَهكُم واحدٌ	٤٦	٢٠٦
﴿ وقُولُوا آمنا بِالذي أُنزِلَ إِلَينا وأُنزِلَ إِلَيكُم	٤٦	٧١
﴿ ولاَ تجادلُوا أَهلَ الْكتابِ إِلا بِالتي هي أَحسن	٤٦	٢٠-٣٣-٧٠-٨٠-٨١- ١٦٢-٢٠٦-٢٢٠
﴿ ونحن لَه مسلمونَ	٤٦	٢٠٦
﴿ وكَذَلك أَنزلْنا إِلَيك الْكتاب	٤٧-٥٢	٣٤-١٢١-١٦٣-٢٠٦
﴿ وما يجحد بِآياتنا إِلا الْكَافرونَ	٤٧	١٢١-١٦٤-٢٠٦
﴿ إِذاً لارتاب الْمبطلُونَ	٤٨	١٢١-١٦٤
﴿ وما كُنت تتلُو من قَبله من كتابٍ	٤٨	٣٤-١٢١-١٦٣-١٦٤- ٢٠٧
﴿ بلْ هو آياتٌ بيناتٌ في صدورِ الذين أُوتوا الْعلْم	٤٩	١٦٤-٢٠٧
﴿ إِنما أَنا نذيرٌ مبِينٌ	٥٠	٢٠٨
﴿ قُلْ إِنما الآيات عند اللهِ	٥٠	٧١-١٦٤
﴿ وقَالُوا لَولاَ أُنزِلَ علَيه آياتٌ من ربه	٥٠	٤٥-٧١-١٦٤-١٦٥- ١٦٦-٢٠٨-٢٦٥
﴿ أَولَم يكْفهِم أَنا أَنزلْنا علَيك الْكتاب	٥١	٤٥-١٦٥-٢٠٨
﴿ أُولَئك هم الْخَاسرونَ	٥٢	٢٠٩
الســـــورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
﴿ قُلْ كَفَى بِالله بينِي وبينكُم شهيداً	٥٢	٧٢-١٣٣-١٦٥-٢٠٨- ٢٤٧

﴿ والذين آمنوا بِالْباطلِ وكَفَروا بِاللهِ	٥٢	٤٩-١٦٥-١٦٧-٢٦٠
﴿ يعلَم ما في السماوات والأرضِ	٥٢	٢٤٧
﴿ ولَولاَ أجلٌ مسمى لَجاءَهم العذَاب	٥٣	١٦٦
﴿ ولَيأْتينهم بغتةً وهم لاَ يشعرونَ	٥٣	٩٧-١٦٦
﴿ ويستعجِلُونك بِالْعذَابِ	٥٣-٥٥	٣٤-٩٦-١٣٤-١٦٦-٢٠٩
﴿ وإِن جهنم لَمحيطَةٌ بِالْكَافرِين	٥٤	١٣٤-١٦٦-٢١٠
﴿ يستعجِلُونك بِالْعذَابِ وإِن جهنم	٥٤	٣٤-٧٣-١٣٤-١٦٦-٢١٠
﴿ ذُوقُوا ما كُنتم تعملُونَ	٥٥	٢١٠
﴿ يوم يغشاهم الْعذَاب من فَوقهم	٥٥	٣٤-٧٣-١٣٥-١٦٧-٢١٠
﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعةٌ	٥٦-٦٠	١٦-٢٨-٣٤-٧٤-٨٥-١٦٧-٢١١
﴿ كُل نفْسٍ ذَائقَةُ الْموت ثُم إِلَينا ترجعونَ	٥٧	٣٥-١٣٥-١٣٦-١٦٧-١٦٨-٢١١-٢٤٨
﴿ الْجنة غُرفاً تجري من تحتها الأنهار	٥٨-٥٩	٣٥
﴿ لَنبوئَنهم من الْجنة غُرفاً	٥٨	١٦٨
﴿ والذين آمنوا وعملُوا الصالحات لَنبوئَنهم	٥٨	١٢٢-١٦٧-١٨٠-٢١٢-٢٤٩
﴿ الذين صبروا وعلَى ربهم يتوكَّلُونَ	٥٩	١٢٢-١٦٨-٢١٢
الســـــورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
﴿ وعلَى ربهم يتوكَّلُونَ	٥٩	٢١٢
﴿ وكَأَين من دابة لاَ تحملُ رِزقَها	٦٠	٩٧-٩٨-١٣٦-١٦٨-

		١٦٩-٢٠٣-٢١٣-٢١٤- ٢٥١-٢٥٢-٢٥٣
﴿ ولئن سألْتهم من خلْق السماوات والأرض	٦١-٦٨	٤٧-٧٥-١٣٦-١٦٨- ١٦٩-٢١٣-٢٥٦
﴿ اللهُ يبسطُ الرزق لمن يشاءُ من عباده ويقْدر له	٦٢	٤٩-١٦٩-٢٠٣-٢٠٤- ٢١٤-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢- ٢٥٣
﴿ إن اللهَ بِكُل شيءٍ عليمٌ	٦٢	٢١٤
﴿ بلْ أكْثرهم لاَ يعقلُونَ	٦٣	٢١٤-٢٥٦
﴿ فَأحيا بِهِ الأرض بعد موتها	٦٣	٢٥٤
﴿ ولئن سألْتهم من نزلَ من السماءِ ماءً	٦٣	٤٩-٧٥-١٣٧-١٦٩- ٢١٤-٢٥٤-٢٥٥
﴿ وإن الدار الآخرةَ لَهِي الْحيوانُ	٦٤	٢٣-١٧٠
﴿ وما هذه الْحياةُ الدنيا إلا لَهوٌ ولَعبٌ	٦٤	٢٣-٣٥-٨٦-١٣٨- ١٧٠-٢١٥-٢٥٧-٢٦٥
﴿ فَإِذَا ركبوا في الْفُلْك دعوا اللهَ	٦٥	٣٥-٥٠-٧٧-١٧٠- ٢١٥-٢٥٨
﴿ ليكْفُروا بِما آتيناهم وليتمتعوا	٦٦	٧٦-١٣٨-١٧٠-٢١٣- ٢١٦-٢٥٨
﴿ أَفَبِالْباطل يؤمنونَ وبِنِعمة اللهِ يكْفُرونَ	٦٧	١٧٠-٢١٦-٢٦٠
﴿ أولَم يروا أنا جعلْنا حرماً آمناً	٦٧	٢١-١٨-٣٥-٥٠-١٣٩- ١٧٠-٢١٦-٢٥٩
السـ ـ ـ ـورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
﴿ أليس في جهنم مثْوى للْكافرين	٦٨	١٧١
﴿ ومن أظْلم ممن افْترى علَى اللهِ كَذباً	٦٨	٥٣-١٧١-٢١٦-٢١٧

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٦٩	١-١٢-٢١-٣٣-٣٥- ٩٨-١٦١-١٧١-٢١٧
﴿ وإن الله لمع المحسنين	٦٩	٢٢-١٧١-١٧٦-٢١٧
(الروم)		
﴿ الٓمٓ ۞ غُلبت الروم	١-٤	٢٠
﴿ غُلبت الروم ۞ في أدنى الأرض	٢-٤	٢٠-٢١
﴿ يعلمونَ ظاهراً من الحياة الدنيا	٧	٢٣
﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا	٩	٢٣-٢٤
﴿ أولم يروا أن الله يبسطُ الرزق	٣٧	٢٥٢
﴿ الله الذي خلقكم من ضعف	٥٤	٢٢-٢٣
(لقمان)		
﴿ وإذْ قالَ لُقْمانُ لابنِه وهو يعظُه	١٣	٢٢٠
﴿ أنْ اشكُر لي ولوالديك	١٤	٢٢١-٢٢٢
﴿ حملته أمه وهناً على وهنٍ	١٤	٢٢٠
﴿ ووصينا الإنسانَ بوالديه حملته أمه	١٤-١٥	٢١٩
﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي	١٥	٢٢٣
﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض	٢٥	٢٥٥
(السجدة)		
﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ	١-٢	١٩
الســـــورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
(يس)		
﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ	١-٢	١٩
(ص)		

﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ	١	١٩
(الزمر)		
﴿ له مقاليد السماوات والأرض	٦٣	٢٥٢
(غافر)		
﴿ إذ الأغلال في أعناقهم	٧١-٧٣	١٧٤
(فصلت)		
﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	١-٢	١٩
(الشورى)		
﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم	٣٠	٢٣٠-٢٣١
﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم	٣١	٢٣١
(الزخرف)		
﴿ وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون	٨٨	٨٣
(الجاثية)		
﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات	٢١	
(الأحقاف)		
﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً	١٥	٢١٩
﴿ رب أوزعني أنْ أشكُر نعمتك	١٥	٢٢١
الســـــورة	**رقم الآية**	**الصفحة**
(محمد)		
﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب	٤	٥٥
(القمر)		
﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر	١٧	١٧٤
(الطلاق)		

﴿ لينفق ذُو سعة من سعته	٧	٥٥
(العلق)		
﴿ اقْرأْ بِاسمِ ربك الذي خلَق	١-٥	٦

فهـرس الموضوعـات

الموضوعـــات	ص
ملخص الرسالة (عربي)	أ
ملخص الرسالة (إنجليزي)	ب
المقدمة	١
التمهيد	٤
الفصل الأول : وجوه التناسب في السورة	٩-٢٤
أ / التناسب بين السورة واسمها	١٠
ب/ المناسبة بين فاتحة سورة العنكبوت وخاتمتها	١٢
جـ/ المناسبة بين سورة العنكبوت وسورة القصص	١٢
١- تناسب فاتحة السورتين	١٢
٢- تناسب خاتمة سورة القصص مع فاتحة سورة العنكبوت	١٤
٣- تناسب الخاتمة فيهما	١٦
٤- معان تتناجى في داخل السورتين	١٧
د / المناسبة بين سورة العنكبوت والروم	١٨
١- تناسب فاتحة السورتين	١٩
٢- تناسب فاتحة سورة الروم مع بعض آيات سورة العنكبوت	٢٠
٣- معان تتناجى في داخل السورتين	٢٢
الفصل الثاني : مقصود السورة الأعظم وأغراضها الكلية	٢٥-٣٥
مقصود السورة الأعظم	٢٦
الأغراض الكلية لسورة العنكبوت	٢٨
الغرض الأول : الابتلاء سنة قائمة منذ الأزل	٢٨

الغرض الثاني : عرض نماذج من ابتلاءات الأنبياء	٣١
الغرض الثالث : التقاء الحق الذي جاء في هذا الكتاب مع الحق الذي قامت عليه السموات والأرض	٣٣
الفصل الثالث : وجوه النظم والتناسب في بناء الجملة	٣٦-١٣٩
أولاً : الاستفهام	٣٧
ثانياً : الأمر	٥٤
ثالثاً : النهي	٧٧
رابعاً : النداء	٨١
خامساً : التوكيد	٨٥
سادساً : التعريف والتنكير	٩٩
سابعاً : الصور البيانية	١٢٣
الفصل الرابع : وجوه النظم والتناسب في بناء الجمل والفصول	١٤٠-١٧١
تعريف الفصل والوصل	١٤١
مواضع الفصل	١٤١
الفصل الخامس : وجوه التناسب في فواصل السورة	١٧٢-٢١٧
تعريف الفاصلة	١٧٣
أثر الفاصلة	١٧٤
أ / تناسب الفاصلة مع مضمون السورة	١٧٦
ب/ تناسب الفاصلة مع المعنى العام للمقطع الذي هي فيه	١٧٧
الغرض الأول : الابتلاء سنة قائمة منذ الأزل	١٧٧
علاقة الفاصلة بآيتها في آيات هذا المقطع	١٧٧
الغرض الثاني : عرض نماذج من ابتلاءات الأنبياء	١٨٣
علاقة الفاصلة بآيتها في آيات هذا المقطع	١٨٧
الغرض الثالث : هو التقاء الحق الذي جاء في هذا الكتاب مع الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض	١٨٧
العلاقة بين الفاصلة وآيتها في آيات هذا المقطع	٢٠٥

الموضوعـــات **ص**

الفصل السادس : في المتشابه بين آيات العنكبوت وآيات سور أخرى	٢١٨-٢٦١
الخاتمة	٢٦١
الفهـارس	٢٦٦-٢٩٢
فهرس المصادر والمراجع	٢٦٧
فهرس الآيات القرآنية	٢٧٣
فهرس الموضوعات	٢٩٠